سبعة قصاصين أمريكيين

إعداد: وليام أوكنور

ترجمة: أحمد كمال يونس



دار المعارف

سبعة قصاصين أمريكيين

سبعة قصاصين أمريكيين

إعداد: ويليام أوكنور

ترجمة: أحمد كمال يونس



دار المعارف

SEVEN MODERN AMERICAN NOVELISTS:
AN INTRODUCTION Edited by **William Van O'Connor**

الناشر: دار المعارف ـ ١١١٩ كورنيش النيل ـ القاهرة ج.م.ع.

المقــدمة

بقلم
وليم فان أكنر William Van O'Connor

ننتظر من كاتب القصة، أن يلم بحبكة وفن القصة كى يعيننا على كشف ناحية من نواحى الحياة نجهلها من قبل، أو على الأقل لا نعرفها بنفس الصورة التــى يبرزها الكاتب، فنعرف جانبا يتضمن شيئا يعتقد الكاتب أنه يحتوى حقيقة تطابق نزعاتنا وسلوكنا. كما أننا ننتظر من كاتب القصة، أن يكشف لنا عن مــوضوعات من واقع الحياة قد غابت عنا فى غمار حركة الحياة. لذلك ينبغى عليه أن يمعــن النظر فيجعل منها سببا حيّا. كما أن الموضوع الذى يختاره الــكاتب، يجــب أن يكون موضوعا حيّا فيه نضال عنيف، وليس مستسلما لرأى بعينه. متضمنا جــانبا غامضا مازال فى دور التكوين. موضوعا فيه صراع حتى ولو حاقت به الهزيمة.

وحتي يتم ذلك على الكاتب ألا يكشف مقدما عن المعنى الــذى يــكمن خلف الموضوع الذى اختاره، بل يكشف ذلك كلما تطورت القصة، حتى إذا ماتم الكتاب يظهر موضوع القصة تامّا كاملا، وربما يكون الكاتب قــد أخفــى بعض أجــزاء الحقائق مكتفيا بإظهار حكمة وتوجيه.

ولذلك نتوقع من الكاتب قصصا مبهرة تدل على ذكاء حاد. مثل قصة الــكابتن ذى النظرات التى تنم عن الجنون الذى يلاحق الحوت حتي يموت. كما رأى جون مارشر John Marcher فى حلمه أن القدر يحتفظ له بشىء هام، وكذلك هستر برين Hester Prynne وعلى صدرها حرف «A» الوضاء وهو يعيش فى مجتمع ملــىء بالخطيئة بين الغابة والمحيط، أو مول فلاندرز Moll Flanders ، التى تشبه قــطعة

الفلين، والتى لم تسمح لتجاربها بأن تغرقها. أو جو كريســتماس Joe Christmas الذى كان يعيش فى مجتمع رفض الاعتراف بآدميته حيث واجه أخيـرا جـوانا بيردن Joanna Burden التى تجسد الوحشية، وليواجه أيضا نهاية رجـولته بـل نهاية حياته.

إننا نريد قصة تبدأ بداية طيبة حيث يظهر عنصر الاثارة من ابتـدائها أو فى صفحاتها الأولى بحيث تسحب قدمى القارئ حتى يسبح طالبا النجـاة لحيـاته العزيزة فى بحر من الخيال الذى أوجده الكاتب. إن الكاتب فوكنر Faulkner قـد أجاد هذه البداية. فنرى لينا Lena فى بداية القصة حيرى فى شهر أغسطس، فهى تجلس على جانب الطريق، فترى عربة مقبلة نحوها فتفكر: هل أقطع المسافة إلى «ألاباما» سيرا على الأقدام؟ ما أقسى هذا، وكذلك نجد همنجـواى Hemingway وقد أجاد هذه الطريقة أيضا، ففى الصفحة الأولى من قصته (وداعـا للسـلاح) يصور جنديا يسير فى الطريق وقد غطاه التراب الذى غطى أيضا أوراق الشـجر، وقد علمنا أن أوراق الأشجار قد تساقطت مبكرا فى هذا الخريف. لقد دلتنا الفقرة الأولى ــ وإن لم تفصح ــ عما سيحدث بعد ذلك، فقبيل نهاية صيف هذه السنة كنا نعيش فى منزل بقرية تطل على نهر فى واد فسيح ينتهى إلى جبال. وكان مـن السهل رؤية الحصباء فى قاع النهر، كما نلحظ صخورا متفتتـة علـى الجـانبين ناصعة البياض فى ضوء الشمس، وكذا الماء فى زرقة صافية يجـرى فى القنـاة. والجنود تمر أمام المنزل وقد أثاروا التراب فكسا أوراق الأشجار وجذورها، ولهذا سقطت أوراق الشجر مبكرة بسبب إثارة الأتربة لمرور الجنـود واهتـزازها إذا ما هب النسيم ثم يتلاشى كل شيء ولا تبقى سوى أوراق الأشجار ملقـاة علـى الأرض.

لقد كان الوادى غنيا بالمحاصيل تتراءى فيه بساتين الفاكهة، ثم نـرى علـى البعد الجبال السمراء العارية، ولكن القتال كان دائرا فى الجبال، وعندما يسـدل الليل أستاره كنا نرى الأضواء التى تحدثها المدفعية، وكانت نيران المدافع تظهر كأضواء فصل الصيف، ولكن الليالى كانت باردة.

هطلت الأمطار بصفة مستمرة فى فصل الشتاء، ومعها جاءت الكوليرا، وأخيرا أوقفت ولكن بعد أن تركت وراءها سبعة آلاف جندى موتى.

إننا نتوقع أن نرى شخصيات ممن تعيش فى ذاكرتنا، وإن كان ذلك من النادر. يقول إ. م فورستر E. M. Forster ربما كانت الحبكة والقصة لهما المكانة الممتازة بالنسبة لفن كتابة الرواية ولكن الانسان يحب دائما أن يرى شخصية ما تنبض بالحياة «كما أضاف كذلك» أن هناك بعض الشخصيات التى تعيش فى الذهن حتى بعد الانتهاء من قراءة الكتاب، والبعض الآخر يعيش فقط فى صفحات الكتاب، ثم ينتهى ذكرها بمجرد أن ينتهى الانسان من قراءة الكتاب. فكثير من شخصيات إديث وارتن Edith Wharton، تموت بمجرد أن تقفل الكتاب، فى حين أن هناك شخصيات تنبض بالحياة، وتعيش متداخلة كلما توغلنا فى القراءة.

إن كل شخصية حية إنما تمثل مبدأ وقوة وحالة وروحا. فإن حركة مثل هذه الشخصيات فى القصة أمر لابد منه. هناك شىء مبهم وبسيط ومقدر عليهم. أما الشخصيات الأقل أهمية فإنما تعيش بفضل المواقف التى تشترك فيها، وفى مهارة الروائى فى الكتابة وفضل القارئ عن (ماذا حدث؟)، ولعل الشخصيات التى رسمها نثأنيل وست Nathanael West، تنتمى إلى هذا الصنف.

ينبغى على القارئ أن يتمكن من (سماع) الشخصية وكذا (رؤيتها)، وربما كان جاى جاتسبى Jay Gatsby، بملابسه الكثيرة والمزركشة أقل ذكرا ما لم تسمعه يقول: أولد سبورت Old Sport.

«دخلت بعد أن أحدثت كل جلبة ممكنة فى المطبخ حتى لم يبق أى شىء فى مكانه إلا الموقد، ولكنى لا أعتقد أنهما سمعا شيئا. فقد كانا جالسين على الفراش كل على طرف منه، كما لو أن هناك سؤالا شغلهما، أو أنه ملأ جو الغرفة بعد أن زال كل أثر للحرج، لقد غمر الدمع وجه ديزى Daisy عندما دخلت قفزت وانتصبت واقفة، ثم أخذت تجفف دموعها بمنديلها أمام المرآة، بينما كان تغير مكبوت عند جاتسباى Gatsby، ولكن وجهه أشرق ودون أن ينطق بكلمة، أو يأتى

بإشارة تدل على الفرح، وقد تحول إلى شخص بادى السرور ثم قال: أهلا أولـد سبورت Old Sport، قالها وكأنه لم يرنى منذ وقت طويل. فتوقفت هنيهة فقد كان يمد يده ليصافحنى (لقد توقف المطر) وعندما أدرك ما أتحدث عنه قال: أحقـا توقف المطر؟ لقد نفذت إلى الغرفة خيوط من أشعة الشمس، ثم ابتسـم وأشرق كالضوء، وأعاد ذكر النبأ على ديزى Daisy قائلا: لقد توقف المطر. هل تتخيلين ذلك؟ قالت: أنا سعيدة يا جاى، وكان فى رنة صوتها المفعـم بـالألم وبـالجمال المعذب ما ينم عن السعادة الهابطة عليها دون انتظار، وقال: إنى أرغب أن تأتى أنت وديزى Daisy إلى منزلى لكى أريكما المكان فتجيبه هل أنت على يقين مـن رغبتك فى حضورنا؟ بالتأكيد يا أولد سبورت Old Sport.

بعض الكتّاب من أمثال توماس ولف Thomas Wolfe وهمنجواى Hemingway، يعتبرون من كتّاب الدرجة الأولى، فهم يرسمون أبطالهم. وهم فى حالات إحساس مختلفة بحيث تدور من حولهم الشخصيات الأخرى كل حسب قدر علاقته بالبطل. ولذلك فإنهم كثيرا مانزعوا إلى تكرار نفس القصة فى رواياتهم. ولكن هناك مـن الكتّاب مثل وليم فوكنر William Faulkner على سبيل المثال، من ليس من طبعـه خلق مجموعة من الشخصيات المختلفة، بل كل مـن هـذه الشـخصيات يعيش بمفرده دون أن يكون بقاؤه بالقصة بسبب علاقته بالبطل فقط.

إن الشخصية الخالدة حقا كما قال هنرى جيمس Henry James فى وضوح هى أن يكون الشكل الخارجى متلائما مع كيانه النفسى كما هو الحال وعلـى سـبيل المثال فى شخصية جو جارجرى Joe Gargery، وماجوتسش Magwitch السـجين، والمستر جاجرز Jaggers عند ديكنز Dickens. فإن هذه الشخصيات نراها ونشعر بها فهى تنساب من خلال الحركة كالتيار الكهربى. فقد كان لمظهرهم تأثير واضح على حركة وشعور بيب Pip، فكل منهم أصبح جزءا من بيب، ولكن مـن إلهـام حياته هو لقد كتب جيمس James مثل هـذه الشـخصية فى مس بـردرو Miss Bordereau (جوليانا Juliana)، فى رواية (أوراق اسبرن The Aspern Papers)، فقد رسم الظهور الجسدى للسيدة العجوز على خلفية من الشعور بـالماضى البـارد.

فعندما نعرف فى الفترة التالية أن هذه العجوز (الجيزيون)، وهى مجرد جسد ينبض ذات عقلية متوقدة، ولكنها جشعة. متهكمة وحاقدة، ولكن عندما نسمعها وهى تضحك هنا فقط ندرك أن جيمس James قد نجح فى رسم شخصية خالدة. فبفضل اختلاف المواقف طوال الرواية بالاثارة والتشويق، فسرعان ما انجذب الكاتب الزائر وابنة الأخت التى لاجاذبية لها، وربط نفسه بها بحيث لا فكاك له. فهى التى تطلق الحركة كما تفعل الريح القوية فى الشراع الثقيل. إنها هى التى تمنح القصة سيرها المنغم المنظوم.

هناك كثير من الشخصيات فى روايات فوكنر Faulkner يكون فيها البناء الخارجى والبناء النفسى وحدة متكاملة، فمثلا فى المنظر الأخير من رواية (الصوت والغضب Sound and Fury)، نرى لستر Luster شخصية صبورة ومجدة ولكنها فجة، وبنجى Benjy الغارق فى أحلامه، وجاسون Jason ذا النفس الوضيعة الحاقدة. وتنتهى القصة بحيث نرى كل شخصية داخل القصة ولكنها بارزة شامخة فى الزمان والمكان.

اقتربوا من الميدان بحيث ينتصب تمثال لجندى اتحادى مرسلا نظراته من تحت يده الرخامية إلى الفضاء والرياح. ألقى لستر Luster نظرة على التمثال، ثم هوى بسوطه على ظهر حصانه الصبور كوينى Queenie بعد أن جال ببصره فى الميدان قائلا : هذه عربة المستر جاسون Jason، ثم رأى مجموعة من الزنوج فصاح متسائلا : ماذا يفعل هؤلاء الجنود هنا يا بن Ben؟، ماذا تقول؟ قال بن Ben وقد نظر إلى الخلف، وكان بن جالسا وممسكا فى يديه بزهرة وينظر بعينين مضطربتين، فأهوى لستر Luster بسوطه مرة أخرى على حصانه ثم أداره جهة اليسار من التمثال على حين كان بن Ben جالسا فى دهشة تامة وكان خافت الصوت، ثم أخذ هذا الصوت فى الارتفاع وكان مفعما بالخوف والدهشة، وبعينين ملأهما الألم، وانعقد لسانه كان مجرد صوت.. أخذت عينا لستر Luster تدوران إلى الخلف لفترة، ثم قال : «يا إلهى.... اصمت.... يا إلهى» ثم دار ثانية وأهوى

على جواده بالسوط فاندفع الجواد فى سرعة إلى الأمام فى حين أخذ صوت «بن» يرتفع حتى بلغ طبقة حادة. فأخذ لستر Luster يضحك وهو ممسك بطرف اللجام وقد مال إلى الأمام فى الوقت الذى تقدم فيه جاسون Jason عبر الميـدان، ثـم صعد على درج العربة وبضربة من ظهر يده نحى ليستر جانبا وأخذ اللجام وجذبه مرتين وضرب ظهر الجواد، ثم كرر الضرب فأسرع الجواد فى حين كان بن يصرخ فيه بغضب. فمال إلى اليمين من ناحية التمثال ثم ضرب «لستر» علـى رأسـه بقبضة يده.. ثم قال: ألا تعرف سوى أن تدور به إلى اليسار؟ ثم التفـت إلـى الخلف وضرب بن فكسر عنق الزهرة ثم قال: «اصمت» ثم سحب الجـواد إلـى الخلف. وقفز هابطا وقال: «اذهب إلى الجحيم. إذا رأيتك مرة أخـرى تتخـطى هذه البوابة معه سأقتلك».

نعم قال لستر Luster وأخذ اللجام وضرب الجواد بالجزء المتدلى منه وصـاح «هيا... هيا بسرعة بحق السماء»، ودوى صوت بن، وتحـرك الجـواد وأخـذت حوافره تضرب الأرض فى انتظام وفجأة سكت بن نظر لستر خلفه بسرعة واستمرت العربة فى السير. فتدلت الزهرة المحطمة فوق يد بن وأخذت عيناه تنظر الفضاء، فى حين أخذت تمر فى رفق واجهات المنازل وأفاريز الشوارع مـرة أخـرى مـن اليسار إلى اليمين وكذا الأعمدة والأشجار والنوافذ والأبواب واللافتات كانت كلها تمر كل فى دوره.

إن كاتب القصة يعلم أنه صديق لجنّى (عفريت). فإشارة من «الجنى» يـرتفع الدخان من الأرض فينظر المرء بشىء من الدقة ليرى شابا مغلق الفم، وهو يدخل حانة «ليلية فى أسبانيا، ويرى النذل (الجرسون)، وهو ينظف غطاء المنضدة وهو يبتسم. إنه «همنجواى» الذى يكتب هذا. يملأ «الجنى» شدقيه بالهواء ثم ينفخ السحاب بعيدا. ثم تأتى سحابة أخرى فننظر بدقة لنرى شابا نحيلا ذا شعر أحمر خفيف مرتديا رداء مخططا له عينان زرقاوان كعيون الأوز، وشفتان غليظتان وهو يجلس فى صالون فندق قذر. إنه ضارب الطبلة واليوم هو أحد أيام شهر نـوفمبر عام ١٩١٠. وانفتح باب المصعد محدثا صوتا وظهرت منه فتاة مرتدية (جـونلة)

طويلة. والواضح أنها فقيرة، ومن المحتمل أن تكون حضرت من «شيكاغو» للبحث عن عمل. وهنا يحاول (الطبال) أن يتقدم نحوها. نعم تقول إن هذا هو تيودور دريزر Theodore Dreiser.

ليس من شك فى أن كل كاتب قصة يختلف عن الآخر، ولكن يمكن معرفته. لقد تختلف الشخصيات من كاتب إلى آخر، كما تتغير المناظر الخلفية، ولكن تبقى الرؤية الشخصية. وكلما تغيرت القصة من كاتب إلى آخر، لكن تبقى شخصية الكاتب كما هى. ولا يبز أحد : إديت وارتن Edith Wharton. وسنكلير لويس Sinclair Lewis وتوماس ولف Thomas Wolfe وف. فتزجيرالد F. Scott Fitzgerald وإرنست همنجواى Ernest Hemingway ونثنال وست Nathanael West فى إحداث التجارب بين القارئ وبين العالم الذى يخلقونه.

عادة نتصور أن كاتب القصة يسيطر على الزمن، ويجيد وصف السماء والطقس، ومر الساعات، والبقعة التى تلوث المنضدة المصنوعة من خشب الجوز، وكذا أضواء الشارع والعربات، وقصات الشعر، ودبوس رابطة العنق، وفى نفس الوقت ينبغى عليه أن يعطى قصته بعدا آخر، هو التسلسل الزمنى لكل حركة بشكل ملحوظ، وكذا الزمن العام خارج القصة. هل هو عام ١٧٩٧ أو ١٨٣٢ أو ١٩٦٠. وأن التوفيق فى إنجاز الزمن العام فى القصة يعتبر الاختيار النهائى لمقدرة الكاتب الدائمة.

ويمكننا القول بأن قصص فتز جيرالد Fitzgerald تعتبر قصصا تشغل حيزا معينا من الزمن لذلك فهى تهم المتخصصين فقط والمؤرخين المثقفين. ومن الجائز أن تكون كل أو معظم روايات سنكلر لويس Sinclair Lewis من هذا الصنف، ولكن من الجائز أيضا ألا تكون قصتا «ولا كاثر» Willa Cather منزل الأستاذ وعدوى المميث من هذا النوع.

فلا ينبغى علينا أن نطلب من الروائيين الأمريكيين أكثر أو أقل مما نطلبه من الروائيين الأوربيين، أو نضعهم موضع المقارنة مع من سبقوهم من الكتاب العظام

بأن يكونوا مثلا مثل: جين أوســتين Jane Austen أو شــارل ديــكنز Charles Dickens، أو هرمان ميلفيــل Herman Melville، أو نثــانيل هــوثرن Nathanael Hawthorne.

ومنذ أن تولى هنرى جيمس Henry James وفورد مادوكس فورد Ford Madox Ford إصدار المراسيم، فإن كثيرا من القصص اســتخدمت فيهــا (الصــنعة) و (التأثيرية) و (وجهة النظر) وسهلت جميع هذه الأفكار التحدث عن القصة ومن المؤكد أنها ساعدت بعض الكتاب على تعلم حرفتهم: متــى كان وليــم فــوكنر William Faulkner سيجد تأثيريته، كما ظهرت فى قصة (الصوت والغضــب)، أو كتاب Absalom Absalom الذى ألفه «جوزيف»، إن لم يكن قد درس كونراد مارلو Conrad Marlow، نعم من المحتمل حقا أن يكون قد تعلم واستفاد كثيــرًا مــن (مرتفعات وذرنج) لاميلى برونتيه Emily Bronte، فحين يكون الانســان شــابا، يصبح من السهل عليه تجاهل (الجيل القديم)، ولكن ت. س. أليوت T.S. Eliot فى معرض النهى عن هذا الاتجاه قال: يجب ألا نفخر بأننا نعرف أكثر ممن سبقنا، لأن هؤلاء هم أصل معرفتنا. نعم من المحتمل جدا أن تكون هــذه المــلاحظة صحيحة. فقد بدأت حركة المحدثين فى العودة إلى التاريخ أصبح من السهل أن نلاحظ أن القصة الحديثة ما هى إلا جزء من تقاليد طويلة. فمثــلا كان شــارل ديكنز Charles Dickens يوصف (بالعاطفى)، وربما كان كذلك، ولكن أيــن هــذه القصة التى أبدعت فى تصوير خلق جو للضجيج والخلــط المــوجود فى المــدن الحديثة أكثر من قصة «التوقيعات العظمى»؟

إن لندن لفرجينا وولف Virginia Woolf، أو نيويورك لجون. د. بــاسوس John Dos Passos، لم تكن بهذا الوضوح، أما وصف جويس Joyce لدبلن المشلولة، فهو مختلف جدًا.

لقد تعلم كاتب القصة فى القرن العشرين أن يجمع فى حذق الأطراف المبعثــرة لقصته، وأن يبرر بكل دقة تركيزه فى أثناء سرد القصة. مع أنه لم يوفق كل مــن

هنرى جيمس Henry James، أو سكوت فتزجيرالد Scott Fitzgerald، فى الاحتفاظ دائما فى سرد القصة كما فعلت إميلى بسرونت Emily Brontë فى (مـرتفعات ويذرنج)، فإن شعورها بالانسان (داخليا وخارجيّا) قد وضعها قريبة جـدا مـن (اكتشافات) د. هـ. لورانس D. H. Lawrence.

إن رؤية الكاتب للعالم، يجب أن تكون شاملة. وكما قيل لنا دائما إنه يجب أن تكون مقدمات عالم الكتاب، يجب أن تؤدى إلى الحبكة وإلـى الخلفيـة وإلـى الشخصية وإلى الأسلوب وإلى النتائج الفلسفية. فعالم همنجواى، كما يتصـوره عالم شامل دائم الصراع والحرب. وعالم هردى Hardy، فى روايتـه Tess of the d'Urbervilles، ورواية Jude The Obscure هو أيضا عالم شامل حتى أن الأحجار والمقاعد والأسرة مظلمة وكذلك كان نور السحر.

والذى يهمنا فى هذا الموضوع أن كتّاب القرن العشرين ليسوا أقل مقدرة عـن أسلافهم البارزين. حقا إن بعضا منهم كانوا كذلك. بل إن الفن الحقيقـى فى أى فترة زمنية كان يتميز ببعض الخصائص، وإن القصاصين العظام يعرفون دائمـا كيف يروون قصتهم. إن الشروط الأدبية تتغير وتذهب وتجىء. إننا نميـل إلـى اعتبار رأى جورج إليوت George Eliot فى أن القصة عبارة عن مـؤلف واسـع المعرفة، نميل إلى اعتباره ادعاء مؤلما بعض الشىء ولكن.. يجب أن نعترف بأن إلمامها بالخصائص الانسانية تفوق كثيرا معرفة فرجينا وولف Virginia Woolf فى هذا المجال، وكذا إرنست همنجواى Ernest Hemingway. فحين نقـرأ قصـتها فغالبا ما نكبت غضبنا ونقول إن هذه النظرة النافذة إلى النفس البشريـة بـرغم قسوتها فى بعض الأحيان إنها نظرة ضخمة.

وإذن فالخلاصة هى أن الروائيين فى حقبة مـا، يشـتركون فى الـكثير مـع الروائيين فى حقبة أخرى، وأن النظرة السطحية للكتّاب المتعاصرين تدل على أن الواحد منهم قريب من الآخر، ولكن الكتّاب العظام هم الذى يتركون معـاصريهم ليعيشوا فى نظام آخر من الزمن.

كثيرا ما يظلم التاريخ وبالمثل يظلم التاريخ الأدبـــي كذلك. لــذلك نجـد أن المتحمسين لمؤلف ما أو لقصة ما، يرى هؤلاء ضرورة استخدام منظف (كمنظف الفضة)، حتى يجلوا ما علق بها ليظهر المعدن النفيس. أما إذا كان معدن الفضة حقا نفيسا فسيعترف الآخر بذلك، وربما كان حتما علينا أن نحتمل النقاد، بل وفى بعض الأحيان نشكرهم.

إديت وارتن EDITH WHARTON

بقلم
لويس اوكنكلوس Louis Auchincloss

اعتاد أصدقاء إديت وارتن Edith Wharton، أن يضفوا عليها عبارات الاطناب كما فعل ذلك فى البداية هنرى جيمس ويصورونها وكأنها صقر ذهبى من قصر مغامرات ليبعث الاضطراب بين الطيور الأليفة التى تسعى فى فناء الجرن. لقد توارت (المرأة) تقريبا فى موكب مدح نشاطاتها وملكاتها: الحدائق المعتنى بها والمشترية فى حنان، والبيت المرتب أجزاؤه فى عناية فائقة والسيارة الفارهة السريعة (المشتراة بمقدم أتعاب كتب الطبع)، وهى تحمل صاحبتها الملمة بعدة لغات مع رفقائها المخلصين، وهى تقطع الطريق فى أوربا، حيث الجمال المنتشر فى الريف يستطيع المرء أن يتخيل الغرف التى أعيد تأثيثها والحديقة التى نسقت من جديد، هذا كله لكى يطابق الصورة التى رسمتها فى كتابها (تزيين المنازل) والفيلات الايطالية وحدائقها، وليس من شك فى أن تلك المرأة كما وصفتها بيرسى لوبوك Percy Lubbock وهى إحدى صديقاتها بباريس، إنها نضرة ونظيفة، والسلة فى ذراعها، والمقص فى يدها وهى تستعد لعملها اليومى لتقطف ورود الأمس، كل هذا رمز لتكريس النفس والعمل على تجميل هذا الكوكب الذى تعيش عليه. إن هذه الصورة تختلف تماما عن الصورة المنطبعة فى أذهان بعض النقاد الأمريكيين من أنها امرأة عجوز غنية مدعية. ولكن يستطيع الانسان أن يرى كيف جاءت الصورتان: فالاتقان والكمال يغضب، كما أنه يجذب ويسترعى الانتباه سواء كان فى القصة أو فى الحياة. ولقد شكا بعض معارف السيدة وارتن Wharton من أن ذوقها فى تأثيث المنزل كان بالغ الجودة وأن لغتها الفرنسية كانت بالغة الدقة

فى التعبير. كذلك وجد بعض نقادها أن أبطالها وبطلاتها يبالغون كثيرا فى الأناقة وفى التعبير عن الاعجاب ببعض النكرات فى الأدب والفن، وحتى قراؤها أنفسهم لا يعلمون أى شىء عنها. إن البناء المتألق لثقافتها، يرسو على قصصها كما لو أنه العصير السكرى الذى يتقطر من أسفل الفطيرة. إن هذه الملاحظة الهامة قد تخفى خلفها الأوصاف الرقيقة الحية للأشياء الحسية والمناظر الخلقية، وهذه الصفات والأوصاف التى غالبا ما تطغى على الحركة لأنها تبرزها حتى فى المواقف الدرامية الشديدة التوتر كأنها قطعة قماش من الحرير الدمشقى معلقة على الحائط. أو صورة إيطالية بسيطة. لقد قال إدموند ولسن Edmund Wilson : إن السيدة «وارتن» لم تكن رائدة التنسيق الداخلى للمنزل فحسب بل كانت شاعرة البيت أيضا.

إن مثل هذا النوع من الثقافة لم يكن مألوفا فى جيلها فسيدات هذا الجيل فى نيويورك أو نيوبورت Newport قد تتلمذن على مربين، وكن قد تعلمن أساسيات اللغات (الألمانية والفرنسية والايطالية)، وكن يستعملنها فى غالب الأحايين فى حفلات العشاء أكثر من استعمالها فى قراءة الكتب، وهؤلاء النسوة لم يتعودن تمضية أوقاتهن كما كانت تفعل إديث نيوبود جونز Edith Newbold Jones فى مكتبات آبائهن، أو يكتبن خفية وهن فى السادسة عشرة دواوين شعر. والحقيقة أن القلة النادرة لوجود هذا النوع من النابهين بين عائلة فردريك جونز Frederic Jones قد بعث الارتياح عند صاحب خرافة قديمة وهى خرافة لا أساس لها من الصحة. إن إديث Edith وهى ابنة أستاذ شقيقها الانجليزى الذى كان شابا ذا مواهب متوسطة فى الرسم، وقد قتله الهنود فى الغرب. ونظرية هذه الخرافة تنبع من نفس التفكير الذى لا يتصور أن شكسبير قد ولد فى ستراتفورد. أما أنا فإنى أستطيع فى يسر وسهولة أن أتصور أن لوكريتيا ستيفنز جونز Lucretia Stevens Rhinelander Jones ، وهى حفيدة لأحد الثوار الوطنيين وسيدة من سيدات المجتمع المحافظ فى المدينة الصغيرة وقتذاك (مدينة نيويورك) لها ابنة شرعية على هذا الذكاء النادر. ولما كانت إديث Edith تصغر كثيرا إخوتها فمن المحتمل

جدا أن تكون قد نشأت مدللة كما ينشأ الابن الأوحد. وهذا يفسر كيف أنها كانت تمضى الساعات الطوال بمفردها فى مكتبة أبيها فى شارع ٢٣ غرب.

لقد ذكرت إديت فى مذكراتها: أنه من حسن الطالع أنها منعت (على أسس أخلاقية) من قراءة المواد التافهة التى كانت سائدة فى هذا الوقت. ولهذا لم يصرفها أى شىء عن قراءة المؤلفات الكلاسيكية العامرة بها أرفف مكتبة أبيها. فكان من الواضح كما تقرر هى: أنه بالرغم من أننى لا أعرف كيف أن فتاة صغيرة يتاح لها قراءة التوراة وإنجيل حنا، وكتاب الدراما الاليزابثيين، ولا تشتاق لقراءة هوايت ميلفيل Whyte Melville أو حتى رودا براوتون Rhoda Broughton. إن القائمة الجادة من الكتب التى قرأتها فى مستهل عمرها تعنى كلها بالتاريخ والشعر ولا يوجد بينها من المؤلفين الأمريكيين سوى برسكوت Prescott وبركمان Parkman ولنجفلو Longfellow، وإيرفنج Irving. أما ميلفيل Melville، وهيرمان Herman (الذى كان ابن عم فان رانسلارز Van Rensselares) الذى كان مهيئا بسبب نسبه للظهور فى أرقى المجتمعات. ولكنها لم تعرفهم، بل ولم تسمع بهم طوال شبابها. فقد كانت الثقافة والتعليم بالنسبة إلى عائلة جونز Jones ومن كان على شاكلتهم هى الثقافة الأوربية. فلم تكن أوربا منبعا للفنون فحسب، بل كانت المكان المناسب للاستشفاء وللحياة القليلة النفقات أيضا. فقد سافرت عائلة جونز إلى إيطاليا وفرنسا مصطحبين ابنتهم الصغيرة فى رحلة قليلة النفقات، بعد أن أصابهم التضخم المالى الذى حدث عقب الحرب الأهلية فأصاب العائلة بخسارة كبيرة، فأمضوا زيارتهم لأوربا فى الفنادق وأماكن المياه المعدنية ولم يخالطوا سوى من صادفهم من الأمريكيين وتابعيهم من الخدم. وبالرغم من ذلك فقد كان هناك ما يعوض الفتاة الصغيرة المرهفة الحس، فذهبت إلى الريف وتجولت خلال مقابر (أبيان واى Appian Way) وجمعت الأحجار القديمة والأصداف اللامعة من سفوح الجبال (جبل بلاتين Palatine)، ورأت الامبراطورة «أوجينى Eugenie» فى قصرها ومعها الامبراطور ومجموعة من ضباط الحرس بملابسهم البراقة. وفى هذا الوقت كان الكاتب هنرى جيمس Henry James يجوب أوربا ويعيش فى الفنادق

ويجمع المواد التى أودعها فى قصصه العالمية. لقد تركت هـذه الـزيارة وهـذه التجربة الأوربية أثرا لا يمحى فى كل من الكاتبين. ولكن الأثر الذى ترك بصماته على إديث Edith ككاتبة، فهو الذى أمدها بموضوعات أهم أعمالها التى لم تـأت من مكتبة أبيها، ولا من زيارتها لأوربا، بل مـن رؤيتهـا المبـاشرة والـواعية والواضحة للمجتمع الذى كان موجودا فى نيويورك حيث كانت الأسرة تعيش.

فمنذ عام ١٨٦٢، وهو عام مولدها وحتى عشرين سنة بعد ذلك كانـت إديـت Edith تعيش فى مجتمع صغير محدود ولكنه واع رزين ومتماسك. ينتمى أهله إلى أصل هولندى وإنجليزى. شوارع المدينة متشابهة المبانى تحـوى العـديد مـن الأماكن لشرب الكاكاو.. ولكن هذا المجتمع لم يهتم كثيرا بالفنون، ولا كان يـأبه بما يقدمه لنجفلو Long fellow وبرايانت Bryant من أفكار. كان يفضل الموسيقى العادية التى يستمع لها فى أكاديميـة المـوسيقى، وإن كان يحتقـر السـياسة والاشتغال بها. وكان من عادة الرجال اصطحاب زوجاتهم فى أوقات الفراغ لتناول الطعام الشهى خارج المنازل ويشربون Newbold Madeira, Jones Claret وكانـت إديت وهى مازالت شابة تشعر تماما بإهمال الناس وعدم قـدرتهم علـى تـذوق الجمال فى الفنون. فقد رأت فى هذا المجتمع مجتمعا جامدا سفيها. ولما تقـدمت بها السن وأصبحت امرأة، رأت فى المجتمع الذى يحيط بها أنه فقد القيـم، وإن كانت ترى أن فضائله مازالت تتركز فى تمسك الناس بالتعليم والعـادات الـطيبة وكذا الأمانة فى الأعمال التجارية والاستقامة فى الأنشطة الخاصة.

وقد كانت فتاة فى مستهل حياتها عرفت بالخجل الشديد الذى لازمهـا طـوال حياتها، إلا أن هذا الخجل قد تغلف فيما بعد بغلاف مـن (الـرسميات). لقـد تزوجت وهى فى الثالثة والعشرين فأصبحت أقل ميـلا للخجـل وإن كان ذلك فى الظاهر فقط وسبب هذا يرجع لرغبتها فى مسايرة الحيـاة الاجتمـاعية آنـذاك. أما الزوج إدوارد روبن وارتن Edward Robbin Wharton فكان رجلا سهلا لطيف المعشر. وكان من مدينة «بوسطن» ولم يدع يوما ما بانتمائه إلى رجـال الفـكر،

ولكنه كان محبا لزوجته التى كانت تصغره كثيرا حتى أنه كان يحتفظ دائما بورقة مالية من فئة الألف دولار ليشترى لها أى شيء تطلبه بوسى.

لقد عاشا فى مدينة نيويورك وفى نيوبورت، وكان من عادتهما السفر سنويا لأوربا وحيث لم يرزقا أطفالا، فلم يكن هناك ما يعوق حياتهما الاجتماعية أو نـزهاتهما المعتادة إلا أنه كان من الواضح أن هذا الأسلوب من الحياة، مـا كان ليـرضى عقلية قد تحصنت ضد كتابات رودا بـراوتون Rhoda Broughton عـن طـريق استيعابها للجمل التى تضمنتها (الغابات ذات الأشجار الخاصة) لذلك نجـد أن الزوجة الشابة بدأت فى الكتابة: قصيدة من الشعر هنا أو هناك وقصـة قصـيرة عاطفية ذات نهاية مثيرة، ثم كتاب جاد عن التنسيق الداخلى داخل المنزل، ثـم وصفا للرحلات وأخيرا قصة تاريخية. وفى مذكراتها نجد إشارة إلى أن التجـاءها إلى الكتابة جاء طبيعيًا كعبث الأطفال على الورق الأسمر. ولكن إدمونت ولسـون Edmund Wilson يرى أن إديث لجأت إلى الكتابة بسبب زواجها غيـر المتـكافئ وكذا تنفيذا لنصيحة الدكتور ميشل S. Weir Mitchell، وهـو مـن رواد أطبـاء الأعصاب عند النساء، وقد كان هو نفسه من كتاب الرواية. أما وايـن انـدروز Wayne Androws فقد نشر أخيرا بعض المقتطفات من مذكراتهاالتى تعترف فيها بأنها لم تستطع تحمل (الوحدة الأخلاقية) التى شعرت بهـا فى أثنـاء زواجهـا إلا بفضل هذا العالم الذى عاشت فيه بخيالها. ومهما يكن من أمر فقد مرت فترة زمنية وجيل كامل بين (هذا العبث على الورق الأسمر)، وبين أول جزء نشر لهـا من القصص وهى عندئذ فى السابعة والثلاثين.

وفى القصص التى نشرت عام١٨٩٩ تحت عنوان (أعـظم ميـل The greater inclination) وماتلاها من قصص نشرت تحت عنوان (لحظات حاسمة) نلاحظ فيها طعم قصص جيمس James عن المعاصرين من الفنانين والكتّاب، مطابقة لأحداث تجرى على خلفيات أوربية معالجة قضية الاغراء الذى يتعرض له الفنان الجـاد من جانب النجاح المادى، وكذلك التأثير المذهل الذى يواجه الفنان من جـانب

الفنون القديمة لحضارات غنية. لذلك كانت كل هذه القصص تدل على المهارة والدقة، وتحوى الكثير من المتعة حين قراءتها، فيما عدا بعض الهنات الصغيرة. أما فى قصصها (The Pelican و The Rembrandt و The Angel at the Grave) فقد ظهرت السيدة وارتن وقد سيطرت سيطرة كاملة على أسلوبها حتى كان نثرها نثرا وضاء ولامعا كأى قصاص أمريكى آخر. فهو أسلوب رصين ثابت الأركان، قوى ناعم ومباشر وسلس رقراق. لقد كان هذا الأسلوب أداة طيعة ساعدها على التعبير عن النظرة الواضحة غير المبهمة. وأظهر عقليتها المحللة، والفكاهة اللاذعة التى تتصدى لأقل عجرفة أو ادعاء. وكثيرا ما تتعجب كيف أن أسلوبها فى الكتاب أصبح يتكيف ليتناسب وجميع استخداماته. أما الشعر الذى كتبته السيدة وارتن والذى نشرته فى ثلاثة مجلدات، فكان من أبرز عيوبه أن أسلوبه متشابه سواء أأضحك أم خلا من الضحك، لهذا كان شعرا مملا يبالغ فى الزخرفة تماما مثل شعر المبتدئات اللائى يبحثن عن الملذات بعيدا عن مغريات الحياة الأجتماعية. ولكن الشعر أمر شخصى محض لذلك كانت السيدة وارتن كغيرها من الأشخاص المثقفين تميل أن تكون مبتذلة حسبما تكون حالتها النفسية.

كانت قصتها الأولى (وادى القرار The Valley of Decision والتى ظهرت عام ١٩٠٢ وكان عمرها أربعين عاما، وقد اتخذت جميع مناظرها من إيطاليا، (إذ كانت إيطاليا فى هذا الوقت مصدرا لشخصيات بعض القصص التاريخية الانجليزية والأمريكية) أما قصتها رومولا (Romola)، فكانت أجود مما كتبته جورج إيليوت، إذ كانت تحتوى على ثمرات تجاربها التى نجدها موزعة على مدى صفحات القصة ولم تحاول الكاتبة جمعها فى (ملعقة) والحدة ليشربها القارئ كما يشرب الدواء.

ولكن بالرغم من أنها تمكنت من الاحتفاظ بشكل واضح بروح ولون القرن الثامن عشر. فإن شيئا لا يستطع إنقاذ القصة من شخصياتها الباهتة اللون والذى يشبه لون الأموات. إنها تشبه المسرحية ذات المناظر الجميلة المتقنة غاية

الاتقان ولكن الممثلين فيها يقفون فى وسط خشبة المسرح، وقد تحجـروا وركزوا أبصارهم على الملقن وفيما عدا هذا الجزء الذى يصـور أودو Odo حيـن كان صبيًا وهو يزور قلعة أجداده المبنية فى الجبال، ثم تراه بعد ذلك فى بهـو كبيـر لعرض الصور عندما يواجه صور أسلافه الذين انحدروا من أصول مختلفة، هنـا فقط نلحظ الربط الحقيقى بين الشخصيات والمناظر. وعلى أى حال فالقصة تعتبر مجالا لاهتمام دارسى الكاتبة. إذ أن القصة تتنبأ بالتقاليد السياسية والاجتماعية التى ستكون محور اهتمام الكاتبة فيما بعد أودو Odo يدخل الاصلاح فى بيانورا Pianura ليجد نفسه الرائد. ثم يجد نفسه بعد ذلك سـجينا لحـكم الارهـاب. فالكاتبة تريد أن تقول إنها تخشى أن يكون إصلاح (البالوعات) المطلوب بشـدة ربما يكون سببا فى انهيار المدنيات عليها.

وفى العامين التاليين نلاحظ أن الكاتبة مازالت تمر بعـدة تجـارب. وفى عـام ١٩٠٣ نشرت قصة (الملجأ Sanctuary)، وهى قصة تهكمية يـظهر فيهـا تـأثير بورجيه P. Bourget، وجيمس James، ففى الجزء الأول من هـذه القصـة (وإن كانت تافهة ولكنها جذابة)، نرى كيت بيتن Kate Peyton ترغب فى الـزواج مـن رجل نصاب وكذاب لكى يصبح لها ولد، وتصبح هى أما (إن هذة القصة عبـارة عن تقليد سخيف لموضوع سبق أن طرقه بورجيه من قبل). وفى الجزء الثانى كان الابن وقد بلغ الخامسة والعشرين من عمره وصار متخلفا أخلاقيا. فـأرادت الأم أن تحول دون ارتكابه لعملية تزوير بشعة فراحت تغمره بموجات من العطف على طريقة جيمس.

أما فى عام ١٩٠٤ فقد نشرت كتابا آخر هو (الرجل المحترم)، فقد ضم عـددا من القصص القصيرة التى لا تختلف عن قصصها السابقة فيمـا عـدا قصـة (المدعى)، إذ ظهرت فى هذه القصة ما يدل على تقدم الكاتبة فى تطوير شـخصية الرجل وهى الشخصية التى سادت كل قصصها فيما بعد. الرجل البارد والمثقف والأرستقراطى الأنانى الذى يعيش على دماء ونشاط البسطاء من الناس. والقصة

تسفر قرب نهايتها عن خدعة ماهرة، إذ يكتشف «المدعى» أن خطيبته التى كانت صديقة له لمدة طويلة لم تكن عشيقته هو. وسنقابل هذا الموضوع مـرة ثـانية. وما أن حلت سنة ١٩٠٥ حتى كانت السيدة وارتـن قـد نضـجت كروائيـة وقد ظهر لنا ذلك فى قصتها (بيت اللهـو The House of Mirth) والتـى نشرت فى نفس العام. فقد كانت، أولا: قد أتمت دراسة المجتمع الذى عاشت فيه، وثـانيا: فقد جمعت المواد التى بنت عليها القصة. فصورت لنا القصة العادات والتقـاليد السائدة حينذاك، وفى الوقت نفسه كانت القصة هجوما على المجتمع الذى عايشته ورأت تصرفات أصحاب الملايين الجدد وكانت تسميهم (الغـزاة)، وهـم الـذين جمعوا ثرواتهم بعد الحرب الأهلية. فقد تدفقت الأموال والثروات علـى مـدينة نيويورك وظهر ذلك واضحا فى وجهات المنازل والبيوت والشوارع وكانـت تبـدو وكأنها مهرجان أكثر صخبا من شوارع باريس. إن أفراد عائلة فـان رانسـيلارز Van Rensselaers وعائلة رينيلاندر Rhinelander (وهما عائلتان قـديمتان وذاتـا ثراء) كانوا يذوبون حسرة لغنى أفراد عائلة فاندربلت Vanderbilt، وهـى عـائلة جديدة قد بزت الجميع ثراء. إذ فى دنيا الدولار فإن الرصيد الأكبر فى البنوك هو الذى يرجح الكفة دائما. إن نيوبورت كما وصفها «جيمس» أيام طفـولته كانـت تعيش عصرها الذهبى. كانت كيد بيضاء تمتلئ فجـأة بـالذهب ولـكنها تقبض بالأصابع وبشدة على سبائك الذهب التى تقدم لها. إن القصور البيضـاء التـى كانت منتشرة فى ضاحية Upjohn تخفى خلف جدرانها الكثير من مظاهر الثـراء والمادية، مثل ما كان معروضا فى الأبهاء الرخامية فى قصر Richard Norris Hunt. رأت السيدة وارتن كل ذلك بوضوح تام، أن الغزاة والمدافعين قـد اضـطروا فى نهاية الأمر إلى المبالغة فى إغراق حياتهم فى الرقصات الصاخبة. وإلـى جـانب ذلك فقد رأت أيضا الفرصة الكبيرة للتهكم من هذا التناقض الـذى نتـج عـن المعركة وخاصة فى مراحلها الأخيرة بين فريقى الأغنياء والفقراء الذين ألقت بهم المقادير تحت أقدامهم إذ كان الفقراء هم ضحية هذه الهدنة التى تمـت بيـن الفريقين.

كانت ليلى بارت Lily Bart بطلة قصة (قصر اللهـو)، هـى نتـاج للـطرفين (الأغنياء القدماء، والأغنياء الجدد) فقد كان أبوها ينتمى إلـى عـائلة Peniston و Stepney، واستطاعت أمها وهى امرأة عادية جدا أن تدفعه إلى الثراء الـذى فقده فيما بعد. تيتمت ليلى وقذف بها فى خضم المجتمع وكان شراعهـا فى هـذا البحر الزاخر، هو جمالها وما تتمتع به من جاذبية، ولكن هذا الشراع لا سـكان له. وما إن مضى وقت قصير على ذلك حتى تملكها شعور بالاحتقار والغثيان مـن هذه الحياة اللاهية، واجتاح قلبها شعور غامض بأنه لابد وأن تكون هناك حيـاة أفضل من تلك التى دفعت إليها. فعملت ليلى كسكرتيرة اجتماعية عند صديقاتها ذوات الثراء، تكتب لهن ملاحظاتهن، فأصبحت كستار يختفين خلفـه مـن شـك وفضول أزواجهن، ولكن تلك الصديقات لم تفهمن كنه احتقارها هذا، حتى أنهـا أبت الاستفادة من المواقف المحرجة للشبان الأغنياء. كما أساء أهلها أنفسـهم، وهم قوم محترمون وينتمون إلى العائلات القديمة. أساءوا فهمها، وهـم يـرونها تدخن وتلعب الميسر، أو بصحبة رجل متزوج. لهذا وجدت ليلى نفسها بين شقى الرحى. فهى لا تستطيع أن تقنع نفسها بالزواج من روزدال Rosedale (وهو رجل سوقى) من أجل ملايينه، أو من لورانس سلدم Laurance Seldem، وهـو رجـل غامض، فلقد كانت دائما ترجئ قراراتها أملا فى الأفضل. ولكنها كانت فى الـوقت نفسه تبحث عن التسرية والترويح عن نفسها. ولكنا كنا نحس منذ البداية بـأنها امرأة مَحكوم عليها، إذ كانت لا تملك سوى جمالها. ومـا جـدوى ذلك فى عـالم لا يحترم سوى المال، ولا يفهم سوى النفاق! أما الشخصيات الأخرى فى الـرواية فهى تنتمى إلى مجتمع نيويورك القديم والحديث تتحد كلها فى الحقد والانتقـام والرغبة فى الاحتقار والتصغير. فنجد مثلا جريس ستبنى Grace Stepney تجد فى نشر الشائعات وتلفيق الأقوال ضدها، والسيدة بنسيتون تحرمها من الارث. أمـا برتادورسيت Bertha Dorset فقد تركتها وحيدة فى ميناء أجنبى كما حـاول جس ترينور Gus Trenor غوايتها والايقاع بها فى حبائله، وإن كانت زوجته قد ادعـت أنه نجح فى ذلك. نشاهد كل ذلك ويتملكنا شىء من الخوف المـؤلم وليلـى Lily

تصارع كى تكيف نفسها بأعجوبة على الأوضاع، وتضطر أن تهبط بمستوى معيشتها المرة بعد المرة. حقا إنه صراع شاق، فهى أولا وأخيرا، امرأة فقيرة عزلاء فى هذه الحلبة حتى انتهى بها الأمر إلى تسوية الأمور، والتهاون مع الصعوبات، فقررت الزواج من روزدال Rosedal، ولكن هذا القرار جاء متأخرا فقد رفض هو الزواج منها. فاضطرت أن تقبل وظيفة بائعة قبعات ثم وقعت فريسة لادمان الحبوب المخدرة، وحين ما تنتهى من قراءة هذه القصة تحس شعورا عميقا بأن هذه المدينة الفظيعة والغارقة فى الصراعات، لم يكن بها سيدة سوى ليلى.

وفى قصة (بيت اللهو) صورت الكاتبة جميع مستويات المجتمع وكشفت عن كل مستوى بدقة فائقة. هذه الدقة التى لا يقدر عليها إلا بروست Proust الذى كانت تكن له إعجابا شديدا. تتبع الكاتبة هبوط ليلى التدريجى من بلمونت Bellomont على نهر الهدسن والقصور المبنية فى الريف، كل ذلك فى دنيا أخذ القديم فيها يمتزج بالجديد، ثم إلى البهو الصغير لعائلة جورمر Gormer، هذه العائلة التى برغم ثرائها ما زالت فى حاجة إلى جمع الأتباع من حولها، وكذا جمع أدعياء الفكر فى دنيا كارى فيشر Carry Fisher التى تتظاهر بالعطف وتبنى النابهين فى حين هى فى الحقيقة تعيش على الكسب لمساعدة الطامعين فى الترقى على سلم المجتمع. ثم إلى فندق «نورما هاتش Norma Hatch». هذه المرأة التى كانت تعيش على هامش المجتمع تحيط بها السمعة السيئة من كل جانب. لقد أدركت ليلى أن المال هو القاسم المشترك الذى يجمع بين هذه العوالم وأما الفرق بين عالم وعالم فيكمن فى قوة رائحة المال الذى يختفى خلفه. لقد تعرضت الكاتبة لاتهام فان ويك بروكس Van Wyck Brooks فى أنها تجهل الغرب الأمريكى. وقد يكون هذا الاتهام صحيحا. ولكنها كانت لديها كمية وقدر من المعلومات الأكيدة عن أين كانت تذهب أموال الحدود، أما ليلى بارت Lily Bart، فإننا نراها وهى تشاهد هذا الموكب وهو يمر (موكب عربات أصدقائها القدامى) فى طريقه ذهابا وجيئة فى الشارع الخامس (عربة السيدة فان اسبورغ Mrs. Van Osburgh وعربة السيدة هاتس Mrs. Hatch).

لاأظن أن الكاتبة كانت تقصد أن يقيم لورانس سيلدنم Laurance Seldenm أكبـــر المحاكمات لليلى، ولكنها تركت هذا الانطباع فى النفس، بيد أنه كان رجلا أصيلا فهو محام أعزب لايحمل هموما، دخله يكاد يكفى متطلبات حياة رجل أعزب. إنــه يمضى أمسياته عندما يفرغ من قضاياه ويتناول عشاءه فى وسط المجتمــع الــذى حرص دائما على التهكم عليه والتندر به. وكانت ليلى تدرك تماما موقفه الحيادى من معركة الصراع بين الحياة والموت فى هذا المجتمع. هذا الصراع الذى كانت نفسها مشتبكة فيه، ولم تكن تطلب منه سوى أن يلمس يــدها فى حنــان، إلا فى أوقات الأزمات. وأن يمس شفتيها بقبلة صغيرة. وفى آخر الأمر نجد أن ســيلدن يقرر أن يطلبها للزواج، ولكن عرضه هذا جاء متأخرا كما كان عرضها لــروزيدال متأخرا أيضا. ولم يبق لديه مايفعله سوى أن يركع بجوار سريرها ليــطبع علــى شفتيها الباردتين بسبب الموت آخر قبلة صغيرة. إن موقف السيدة «وارتن» من نوعية الرجال الذين على شاكلة سيلدن موقف محير حقا. فقد كان من الممكن أن يكون سيلدن رجلا شريرا فى رواية (المدعى) أو يكون البطل فى قصة (بيت اللهو) إذ أن الكاتبة حرصت من أجله فى آخر القصة وخاصة حين كان يدين سلوك Lily Bart حرصت على أن تبين أن جميع الظواهر كانت تؤيد سيلدن فى إدانته هــذه. ربما كانت تتخيله عاشقا مخدوعا على طريقة شــكسبير فى «عــطيل Othello» أو بوستموس Posthumus مثلا. ولكن الاختلاف هنا واضــح وبيــن فــإن كلا مــن شخصيتى «شكسبير» مندفعين نحو تصور الأسوأ، ومرجعه إلى عنف مشاعرهما. أما سيلدن فإن المظاهر لم تخدعه، ولم يكن يملك عينين لتذرفا الدمع سريعا. لهذا فإنى أميل إلى القول بأن الكاتبة كانت تقصد فى الواقع أن تجعل شخصية سيلدن بطل القصة برغم أنه لايظهر مشاعره بسهولة. ولكن منعها من ذلك فكرتها السيئة عن الرجال بوجه عام، حتى يصبحوا أبطال قصة. فلما أخذت ليلى على ســيلدن أنه يمضى وقتا طويلا فى مجتمع هو نفسه قد اعترف باحتقاره له، كان ذلك كما لو أن الكاتبة نفسها قد أخذت مكانا فى القصة لتعبر عن احتقارها لهذا المجتمــع، ولم تقصد أن يشاركها القراء فى هذا الاحتقار.

إن شخصية سيلدن المحيرة تدفعنا حتما إلى النظر فى الصداقات العميقة التى قامت فى حياة السيدة وارتن نفسها فقد روت فى مذكراتها مايلى:

فى السنوات التى سبقت الزواج قامت صداقة بينى وبين شاب يدعى ولتر برى Walter Berry، وكان ابنا لصديق قديم للعائلة وإن كان ابن عم من بعيد، وبرغم هذه الفقرة الحريصة فى وصف هذه الصداقة، فإن هناك قصة تروى ذلك أنه حين تقدم للزواج منها رفض طلبه بحجة أنه غير كفء لها. فإن كانت هذه القصة صحيحة فإن ذلك يفسر لنا اتسام تصرفات ولتر وما شابها من برود حيال الفتاة فى مستقبل الأيام كنوع من الانتقام لهذا الرفض. لقد صار ولتر صديقا لشبان العائلة. وفى إحدى زياراته لبيتهم فى نيوبورت Newport عرضت على الفتى كومة من الأوراق التى كتبتها الآنسة وارتن. وقد هالها سماع موجة من الضحك الصاخب، ولم تخطئ أذناها فى تمييز صاحب الضحك فهى تعرفه جيدا. وبعد أن مرت فترة وجيزة قال لها بهدوء: «دعينا نرى ماذا يمكن أن نفعله» وجلس إلى جوارها، وحاول إعادة ترتيب الكومة لتصبح كتابا. وبعد سنوات من هذا الحادث اعترفت بأنها قد تعلمت من هذا الحادث كل شىء عن كتابة اللغة الانجليزية المختصرة.

لقد كان من المحتمل أن يكون قد تملكها إعجاب كبير لبرى Berry بالرغم من أنى لاأصدق ذلك لقد عرفنى حين كان عقلى وروحى جائعين وعطشانين فأشبعهما إلى آخر الزمان. كان من الواضح حقا أنه هيأ لها الصحبة الفكرية والروحية. هذه الصحبة التى لم تجدها مع أدوار وارتن Edward Wharton، فقد كان هذا الرجل ينكمش كلما زادت كتاباتها شهرة. لقد أصبح شيئا ضئيلا فى حياتها حتى أن «كونسولو فاندربلت بلسان Consuelo Vanderbilt Balsan وصفه بأنه مثل «السايس أكثر منه زميل يسير خلفها وكأنها تملكه»، تحت طائلة هذه الظروف كان من المنتظر أن تقع فى حب برى Berry، ولكن ذلك لم يتضح إلا بحلول عام ١٩٠٨ وقد كانت فى السادسة والأربعين من عمرها حين بدأ يظهر ذلك فى

مذكراتها: «إنى أشتاق إليك كما أشتاق أن أكون لك صديقا لقلبـــى. كجنــاحين يضمانك فى الظلام، أو كعبير حديقة حفية يلف من يمــر بهــا وهـــو فى طــريقه المجهول»، إن النغمة فى هذه العبارة وفى غيرها ربما تــؤكد ظــل الـكثير مــن المقربين منها من أنها لم تجد منه فى مقابل ذلك ســوى الصــداقة. لقــد قــال الكثيرون إن برى حين جعلها تكتفى بالدور الذى اختارته لنفسها، وهو دور لمسة الأجنحة وعبير الحديقة بأن تقف عند هذا الحد، وعلى أن تكون هذه العبــارات مجرد ألفاظ فقط، ولكنها كأى امرأة كانت تود فيما هو أبعد: «لقد آلمتنى وخيبت ظنى. ولما تركتنى زاد شعورى بأنى ملكك»، ولما سافر إلـــى القــاهرة ليتــولى منصب قاض فى المحاكم المختلفة لم تستطع الكاتبة تحمــل هـــذا البعــاد. «آه يا معبودى يا حبى أنا أنت الذى منحتنى الحياة الحقيقية التى لم أكن أعرفها من قبل. كيف لى أن أواجه الساعات والأيام الطوال؟!» ويعجب الانسان مــن أنهــا استطاعت مواجهتها وأصبحت المراسلات بينهما فى النهاية فاترة. ولكن مــن أى نوع من الرجال كان برى هذا؟ من المحتمل جدا أن يــكون جيمس James قــد أعجب به وتمتع معه يتبادل الخطابات التى كان يشير فيها إلى الســيدة وارتــن باسم «الملاك المدمر»، ويرجع ذلك على ما يظن لزياراتها المفاجئة لأصدقائها فى أماكن عزلتهم الخاصة جدا. أما فى نظر أصدقائها فإن بيرى لم يكن جذابا إلـــى هذا الحد، وكان فى نظر بيرس لــوبوك Percy Lubbock رجــلا أنــانيا مــدعيا ومتغطرسا حتى أنه قال عنه فى صراحة واضحة: ما كان لأحد من أصــدقائها أن يتخيل أنها ــ وهى الأحسن دائما ــ أن تسلم قياد نفسها الجميلة والحرة إلـــى رجل مثل برى، وإن كنت لاأشك لحظة فى ذكائه ومقدرته. إلا أنـــى أســتطيع أن أؤكد أنه جاف الطبع ضيق الأفق بارد المزاج.

وكان رأى السيدة وارتن فى التهرب من مــواثيق الــزواج واضــح مـــطلقا. أما الطلاق (وإن كانت قد لجأت إليه بعد ذلك) فكانت تعتبره أمرا غير لائق وضد المجتمع. ذلك لأنه سبيل سهل لتشويه العلاقات بين الرجل والمرأة وإلى جــانب ذلك فإنها كانت ترى أن الخيانة الزوجية والزنى فى الخفاء شىء كريه يصــدمها

كأى أمر كريه ومنحط، كما كانت ترى أن الخروج على التقاليد سيؤدى فى النهاية إلى قيام علاقات غير شريفة. ولكن الغريب فى هذا أنها سترى فى هـذا، الـطريق الوحيد المناسب لها. فمثلا انظر إلى شخصية بـولينا تـرانت Paulina Trant فى قصة (خاتمة المطاف The long Run) عام ١٩١٦ فقد منحت الكاتبة كل عـطفها لهذه الشخصية عندما عرضت أن تضحى بروحها فى سبيل الحب. أما هلسـتون بيرك Halston Merrick ، وكما صورته الكاتبة فقد كان كبير الشبه ببرى، فقد كان يحاول إبعادها عن هذا. فقد بدا لنا أكثر العاشقين ضحالة وإسـفافا. هـذا فى الوقت الذى كانت فيه الكاتبة لاتزال تكن إعجابا شديدا نحو برى. نعـم كانـت لحظة من لحظات الانتقام لدى المرأة.

وبالرغم من نجاح قصة (بيت اللهو) فإن السيدة وارتن لم تعد لموضوع يتصل بنيويورك، وبقيت كذلك لمدة ثمانى سنوات. ربما كان ذلك يرجع لخوفها من نفـاد هذه الموضوعات إذا هى استمرت فى الكتابة عنها. أما عن قصتى (مدام تـرينز Madame de Treyns) و (ثمار الشجرة The fruit of the tree) فبرغم اختـلافهما اختلافا جذريًا فقد ظهرتا فى عام ١٩٠٧. وكانت القصة الأولى تدور حول الأبرياء فى الخارج وكانت القصة رقيقة ودقيقة كقصص جيمس وعلى منواله وإن كانـت تمتاز بالحيوية والفكاهة.

القصة تصور لنا الصراع الذى نشب بين جون دورهام John Durham وهـو البطل الأمريكى، وهو يشبه شخصية كريسـتوفر نيـومان Christopher Newman التى كتبها جيمس James، وبين الباريسية الاستعراضية مدام دي ترينز Madame de Treyns ، وكان موضوع النزاع هو أخذ زوجها فاني فـرسبي Fanny Frisbee الفتاة الفقيرة الصغيرة. ومهما يكن من أمر فإننا نلاحظ فى هذه القصة ولآخر مرة أن الكاتبة قد وصفت المثل والمبادئ فى جانب الأمريكان حتـى أن «مـدام دى ترينز» قد اعترفت ضمنا بذلك التفوق الخلقى للأمريكان حين قـالت : «آه أيهـا الرجل الطيب»، ولكننا سنجد الكاتبة بكل أسف فى قصصها التى كتبتها بعد ذلك ستصور الأمريكان بأنهم المفسدون وليسوا ضحايا الفساد.

تعتبر قصة «ثمار الشجرة The fruit of the tree»، تجربة فى ميـدان جـديد (قصص الاصلاح). لقد بدأت السيدة وارتن فى هذه القصة عمـلا ببحـث واع. ابتدأته بجولة فى مصنع بالقرب من منزلها الـريفى فى بلـدة «لـونكس Lenox» بمقاطعة ماشوستس، ولكنا نراها قد فقدت الاهتمام بموضوع البحث، وتهـالكت على موضوع آخر مثير للجدل. فلكى تتمكن من رسم شخصية مـدير المصـنع والممرضة المدرية طبقا للأنماط التى تراها فى دنياها، نجدها قد منحت كلا منهما عائلة قديمة أرستقراطية محترمة فقدت ثروتها منذ وقت قريب. وبهذا تكون الكاتبة قد أحاطت هذا الجزء من الكتاب بجو غريب، جو المجتمع الممسـوخ، ويـكون القارئ قد جذب اهتمامه أمهرست Amherst المدير المغرور الذى تزوج من أرملة صاحب المصنع عندما أساء فهم زوجته ومشاعرها، وفسرها علـى أنهـا مجـرد حماس لمطالب العمال، فوقع بذلك فى محنة الجهل، خاصة وأنه ظن أن فى مقدوره الاشتراك معها فى عمل واحد من أجل الاصلاح، وعند هذه النقطة غيرت السيدة وارتن الموضوع كله. إذ نرى السـيدة بسى أمهـرست Bessie Amherst ـ وقـد استولى عليها السأم من العمل ـ قد فسرت اهتمام زوجها بالاصلاح علـى أنـه إهمال جارح لشخصها، فامتطت جوادها وجرت به فى سرعة كبيرة فى طريق غطتها الثلوج حتى سقطت من فوقه وأصيبت بجراح فى ظهرها. هذه الجراح لم تبرأ منها قط، وكتب عليها أن تتعذب بسببها عذابا أليما ولفترة طويلة. وهنا تتحول القصة إلى قصة قتل بطىء على طريقة بورجيه Bourget عندما اختصرت إبرة الممرضة الماهرة حياة السيدة بسى Bessie برغم أن هذه الممرضة تنحدر من أسرة مرموقة فى المجتمع.

إن الكاتبة السيدة وارتن قد تناولت الموضوعين فى براعة فائقة. غير أن القصة سقطت بين هذين الموضوعين. فقد اختفت تدريجيا مناظر القصـة وإن بقيـت الشخصيات. فشخصية بسى أمهرست شخصية أنانية وكسولة سهلة الانقياد. تنقاد فى يسر لأى رجل يحاول أن يفهمها. ولكنها على أية حال شخصية مسـلية حتـى أنها تساعد على استمرار قراءة القصة حتى اليـوم. وعلـى الـرغم مـن أن

الاصلاحات قد تمت، وأن القتل البطىء بسبب المـرض وإن كان غيـر قـانونى إلا أنه توقف عن كونه فظيعا من الناحية الأخلاقية.

إن كتاب (الناسك والمرأة الحرون The Hermit and the wild woman الـذى نشرته الكاتبة عام ١٩٠٨ عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة كتبت بمهارة على طريقة جيمس، ومن بينها قصص عن الفنانين والمـدعين. أمـا مجمـوعة القصص التى بعنوان (حكايات عن رجال وأشـباح The Tales of Men & Ghosts) والتى ظهرت عام ١٩١٠ فقد اشتملت على بعض من قصص الاثارة الجيدة. من المعروف أن الخدعة إذا ظهرت فى نهاية القصة الجادة فإن ذلك يبعد القارئ عن الالتفات إلى التأثير الكلى للقصة، ومن ثم تصبح سطحية. أما فى قصص الأشباح فإن هذه الظاهرة (ظاهرة ظهور الخدعة فى نهاية القصة) فهى أمر مقرر لايمـكن الاستغناء عن وظيفته. إن الشاب الأعزب الأنانى الذى نـراه دائمـا فى قصص أديب وارتن كان أكثر وضوحا هذه المرة فى قصتها (العيون The Eyes)، منـه فى أى قصة أخرى طويلة أو قصيرة لها. يحكى كلفن Culvin لمجموعة من الصـبية وهم ملتفون حول النار وكان بين هؤلاء الصبية ذلك الصبى الصغير الذى يقـوم كلفن على رعايته. كان يتحدث عن العيون. عن العيون الهرمة والتى تدور فى مقل عميقة غائرة ولها غطاء لونه أحمر وتمتلئ بنظرات مخيفة. كل ذلك كان يتراءى له فى أثناء الليل حينما يكون قد أتى عملا سيئا فى أثناء يومه. وحين فرغ مـن سرد قصته لاحظ أمارات الفزع والخوف على وجه هذا الصبى الصغير والذى يتـولى رعايته والذى أراد أن يروى صباه بطبيعته الباردة الجافة فالتفت خلفه لينـظر فى المرآة وإذا به يجد فيها تلك العيون والنظرات التى كان يحكى عنها.

تعتبر قصص الأشباح التى كتبتها وارتن قصصا جامدة وغير متطورة. إذ أنها لم تتغير على مر السنين. لامن ناحية الطريقة أو من ناحية التأثير. فهذا النـوع من القصص يحتاج عند كتابته إلى مهارة خاصة فى كيفية سرد القصة حتـى فى أدق تفاصيلها دون الاستعانة بمشاكل المجتمع أو التوسع فى دراسـة النفسـيات

والأشخاص. إن هذه المهارة كانت تتمتع بها الكتبة ما فى ذلك من شك. وكانت الكاتبة تعتقد أن القدرة على رواية القصة وهى مقدرة أساسية لابد أن يمتلكها الكاتب كائن من كان، أما حنكة الكاتب فى قصص الأشباح فإنها تستند على عدم إدخال عنصر ما فوق الطبيعة إلا بالقدر الضرورى جدا لاشاعة الغموض فى جوانب القصة.

وعلى مر الزمن زاد عند الكاتبة شعور برفض التغيير الذى كان يطرأ على المجتمع، وسنرى أن هذا الشعور قد زاد مرارة فى كل أعمالها كلما تقدم بها السن. أما قصص الأشباح فقد نجت من هذا الشعور بحكم طبيعتها، وإن زادت سيطرتها على خيال القارئ وقدرتها المستمرة على بعث الرهبة فى فؤاده. ففى قصة (السيدة وجرس الوصيفة The Lady's Bell Maid)، وهى قصة من قصص المغامرات الأولى نجد أن الكاتبة قد وضعت فيها جرعة كبيرة (أكثر مما ينبغى) من الرعب (فالجرس) لم يكن وحده الباعث على الرعب، بل كان كذلك عودة ظهور شبح «إمّا ساكسون Emma Saxon». أما فى قصة «بذر الرمان The Pomegranate Seed». التى ظهرت بعد ذلك، سنرى أن الكاتبة صححت هذا الأمر. ففى هذه القصة نرى أن سعادة الزوجة الثانية تتحطم بعد أن تحولت حياتها إلى كابوس وذلك بسبب ظهور عدة خطابات مكتوبة بخط نسائى على المنضدة فى الصالة وعلى فترات غير منتظمة. هذه الخطابات كان يتسلمها الزوج وهو مضطرب ولم يبد أية رغبة فى مناقشة أمرها قط. فقد استولى عليهم الاعتقاد بأن هذه الرسائل كانت تأتى من الزوجة الأولى المتوفاة. كان هذا الاعتقاد يسيطر على كل من القارئ والزوجة الثانية فى نفس الوقت. وفى غمار هذا الشعور بالرعب الذى كنا نتقاسمه مع الزوجة الثانية لذلك تقبلنا اختفاء الزوج نهائيا. إن شبح الزوجة الأولى لم يظهر على مسرح الأحداث مطلقا وبذلك لم تصبح الخطابات قليلة الأهمية كما حدث فى ظهور شبح إمّا ساكسون فقلل من أهمية الجرس.

وفى مجموعة الأشباح التى ظهرت عام ١٩٣٧ قرب نهاية حياة الكاتبة. كان من بين هذه المجموعة والبالغ عددها إحدى عشرة قصة كان من بينها قصتان هما

أحسن هذه المجموعة. القصة الأولى بعنـوان «مس مـارى بـاسك Miss Mary Pask» والثانية باسم «المسحورة Bewitched». فكل من القصتين لم يتعاملا مـع القوى فوق الطبيعة بشكل مباشر وإنما كان هذا التعامل يتـم مـع مـظاهر تلك القوى. هنا نجد أن الكاتبة قد اختارت الطريق الأصعب. طريق إحلال الفـزع فى قلب القارئ دون الاستعانة بالأشباح. فنراها تلجأ إلى (الجـو) ليـوائم الشـؤم المتوقع. فمثلا وجه مارى باسك، يجب أن يكون أكثر بياضا وشحوبا مـن وجـه الشبح الحقيقى. فظهرت مارى كذلك فى تلك الليلة التى اكتنفها الضباب مـن كل جانب فى مقاطعة «بريتاينا». ونجد ذلك فى قصة «المسحورة Bewitched» أيضـا. فسكان «نيوانجليذ» كانوا أكثر هزالا وأشد قبحا من الشخصيات المـوجودة فى قصة «إيتان فروم Ethan Frome»، وذلك لكى تصبح النهاية شـديدة الفـظاعة. أما آخر تلك المجموعة وأحسنها على الاطلاق فكانت قصة «زجاجة البيريه Bottle of Perrier»، وتدور هذه القصة حول الكراهية والجريمة فى صحراء أفريقيا، حيث كان يعيش رجل إنجليزى غريب الأطوار فى حصن مهجور. ويعيش مـع خـادمه الخاص وبعض من الخدم العرب. وهنا يظهر بوضوح أسلوب الكاتبة. فقـد بلـغ أوجه ثرائه وسرعة تلبيته لخيالها عندما ترسم هذا المنظر الأفريقى. كانت فتـرة بعد الظهر معلقة فوق المكان مثل قطعة الجلد المشدود التى تفرد فـوق الـطبلة وإن كانت أكبر بكثير وكأنها مصنوعة من قماش ذهبى اللون يمتد عبر الأبـراج، ليصل إلى المراعى الذابلة اللون، والحظائر المتـرامية، وأشـجار النخيـل ذات الرءوس الثقيلة. وأخيرا تبدل اللون الذهبى وصار بنفسجيا وظهر الغرب كقـوس من البلور قابضا على الرمال الداكنة اللون. وهنا أبعد Medford أطياف الفـزع عن رأسه وخرج يتجول، ثم جاءت العبارة الأخيرة التى كشفت للقارئ عن مـكان جثة ألمادوهام Almedham، هذه الجملة التى كان يسمع لها صراخ دائـم مثـل الذى ينبعث من أوتار شتراوس Strauss فى أوبريت «سالومى Salome» كان القمر وهو يخطر عاليا فوق الأبراج، ويرسل سهام الضوء الباحثة فى جوانب هذا الغلام الآثم داخل البئر.

وفى عام ١٩١١ نشرت السيدة وارتن رواية قصيرة. ارتبط اسم الكاتبة بهذه الرواية بعد ذلك، حتى قيل: إن هذه الرواية هى التى كان لها الفضل الأول فيما وصلت إليه الكاتبة من مكانة أدبية فى تاريخ الأدب الأمريكى. وتعترف الكاتبة نفسها فى مذكراتها بأنها عندما كتبت رواية «إيتان فروم Ethan Frome» كانت تملك السيطرة الكاملة على عدة أدوات فنان مبدع. وكانت تفزع كثيرا من الاستمرار فى النجاح الذى جاءها بعد ذلك تماما مثلما كان يفزع جيمس James من جراء نجاح قصته «Daisy Miller» وكانت الكاتبة لا توافق النقاد على رأيهم بأن قصة «إيتان فروم Ethan Frome» كانت أجمل أعمالها. ولكن فى الحقيقة كانت هذه القصة من بين أجمل أعمالها. وعندما تخطر القصة على بالى فإنى أتصور لوحة زيتية صغيرة مرسومة بكل دقة وتفصيل لثلاثة أشخاص صامتين فى داخل مطبخ كوخ مظلم والثلوج تتساقط وتظهر لها ومضات من خلال النافذة وترى زينا Zeena وهى فى الوسطبوجهها الأبيض الشاحب النحيل. وعلى المنضدة انتشرت بقايا طبق مكسور. ولا أظننى اعتبرت هذه القصة فى مستوى قصة «The house of Mirth»، ذلك لأن القصة لم تكن سوى لوحة فنية ذات بعد واحد فقط. أما رواية «The house of Mirth» فكانت الكاتبة أعمق وأقدر فجاءت شخصية ليلى بارت Lily Bart، والمجتمع الذى كانت تعيش فيه مدروس كل زواياه. ولكن ليس من الانصاف أن تستمر فى المقارنة بين قصة طويلة وأخرى قصيرة، وإن كان النجاح العظيم الذى أصاب رواية «إيتان فروم» يستدعى الدفاع، لقد سادت فكرة بين النقاد إذ كانت تنظر بشىء من الشك والريبة لرحلات السيدة وارتن بين الفقراء والمحتاجين تلك الرحلات التى صورت من خلالها شخصية «إيتان فروم»، و The Bunner Sisters، وشخصية Sammer فقد رأى النقاد أن الكاتبة كانت ترسم هذه الشخصيات من مكان مرتفع، ومن مكانها هى كسيدة عظيمة تجلس فى سيارتها الفخمة. ولكنى لا أرى هذا الرأى. إذ أن هذه الفكرة كانت ستتغير حتما إذا كانت قد نشرت تحت اسم آخر. فإن ملاحظات السيدة وارتن الدقيقة كانت لا تتأثر بالمركز الاجتماعى لشخصياتها. ولكنا نرى أن الكاتبة لم توفق عندما

حاولت وصف الأشخاص والأماكن التى لم ترها، أو لم تقم بزيارتها. لذلك فـإنى شديد الاقتناع بأفكار إلزا بونر Eliza Bunner، وبمنظر المكتبة العامة المـرطوبة أفنت شارتى رويال Charity Royall فيها حياتها. أما السـبب فى أن شـخصيتى Bunner Sisters و Sammer جاءتا أقل إقناعا مثل ما كانت عليه شخصية «إيتـان فروم»، فإن ذلك لا يعود إلى ضعف الملاحظة أو الخيال عند الكاتبة وإنما يعـود فى الحقيقة إلى أن القارئ يشعر أكثر بحضور شخصية «إيتان فروم» وعندما رأت Charity Royall أقرباء أمها وهم على الجبل ملتفين حول بعضهم البعض فى غير ترتيب كقطيع الغنم ولم يجمعهم على هذا النحو إلا البؤس الشـديد، أو عنـدما توصف إيفالبين بونر Evalina Bunner المقارنة بعائلة هوخملار Hochmuller بأنها مثل «رسم كروكى باهت اللون من أثر سقوط الماء عليه وهو بجانب لوحة بـارعة من الكروم»، عندئذ سنرى وفى الحال المعنى المقصود مـن ذلك وسـنتخيل وفى الحال لوجودنا على هذا الجبل وفى حفل زواج إيفالينا وقد وضعت يـدها فى يـد السيدة وارتن، وإن كنا سنشعر بشىء من عدم الراحة والحرج لوجودنا هناك.

أما قصة «The Reef» والتى ظهرت عام ١٩١٢، فقد قوبلت باستحسان كبيـر خاصة من أصدقاء جيمس، وكانت صفة راسبتين (على طريقة Racine) هى التى قابل بها جيمس هذا العمل. فلقد كانت حقا كذلك، من حيث وحدة الصياغة والجو العام، وذلك عن طريق تركيز الكاتبة لحركة القصة فى حصن قديم له سقوف عالية ومبنى من الحجر الذى يميل لونه إلى الأصفر. وقد أحيط بضوء خافت بعد ظهر يوم من أيام شهر أكتوبر، فإن الحجرات التى كان يجرى فيها الحـوار الشـديد التوتر للشخصيات مثل مجموعة من لوحات «ولتر جاى Walter Gay» إنها قصـة هادئة جميلة. وإن كانت تترك فى النفس انطباع قصة مضحكة هـزلية، فـالسيدة ليبت Mrs.Leath أرملة على وشك الزواج من جورج دارو George Darrow وهـو رجل أعزب متقدم فى العمر، وقد كان أحد المعجبين القدامى بها. أما أوين Owen وهو ابن لزوجها المتوفى فقد كان يخطط لمشروع مماثل وهو الزواج مـن صـوفى فينر Sophy Viner مربية العائلة الجميلة. ولكن يتضح أن صوفى ودارو تـربطهما

علاقة غرامية سابقة مما أدى إلى غرق جميع الشخصيات فى بحر من اليأس والقنوط. ولكن إذا سلمنا أننا فى عام ١٩١٢، وأن مثل هذه العلاقة التى كانت تربط كلا من صوفى ودارو قد تكون سببا كافيا فى عدم كفاءة صوفى للزواج من أوين Owen فهل ياترى ستضحى السيدة لييت بسعادتها هى الأخرى، علما بأنها امرأة أمضت شبابها فى فرنسا؟ ولكن السيدة وارتن الكاتبة، قد أجابت على هذا السؤال فقالت: إن السيدة لييت وهى امرأة تتمتع بقدر كبير من الشعور المرهف الحساسية. إذ أن هذه العلاقة التى جمعت بين دارو وصوفى كانت تتم فى الوقت الذى كانت تعتقد فيه أن دارو يغمرها بفيض من رعايته. غير أنى لازلت لا أستطيع التخلص من الشك فإن جزءا من فظاعة الموقف على الأقل هو أن صوفى لم تكن سوى مربية. كان الفصل الأخير من القصة غير منسجم تماما مع بقية أجزاء القصة إذا كان هذا الفصل نشازا على النغمة. تذهب السيدة لييت إلى الفندق الذى تملكه أخت صوفى لكى تخبر صوفى بأنها تركت دارو فى غرفة مظلمة وغير مرتبة تنبعث فيها رائحة كريهة. تشاهد السيدة لييت هذه الشقيقة (شقيقة صوفى)، فى وضع شائن مع عشيقها (المدلك). وفى الحال نرى صوفى بعين الخيال وهى تصبح كأختها يوما ما. وحين علمت أن صوفى قد سافرت إلى الهند مع امرأة سيئة السمعة، بادرت بالخروج من الحجرة مسرعة، ومن المحتمل أن تكون قد عادت إلى دارو وإلى سعادتها.

أما الحكمة التى يمكن استخلاصها من هذه القصة فهى أن صوفى فينر، وهى عاملة تعتمد فى كسب قوتها على غيرها وتعيش على هامش المجتمع وليست جزءا حقيقيا من نسيجه. وكان من الممكن أن تسقط تحت أول تأثير سيئ إلى حياة العاهرة. فإذا كان من الممكن تبرير المشكلة التى أثارتها القصة باعتبار أنها مشكلة عامة تهم المجتمع كلية فى هذا الوقت. فإننا لا نستطيع تبرير عدم قراءة وجهة نظر الكاتبة فى هذه المشكلة ذلك لأنها ولأول مرة تبدو شديدة الحيطة وشديدة الحساسية تجاه الطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها، وهذا ما أخذه عليها أكثر نقادها قسوة.

وفى العام التالى أى عام ١٩١٣ ظهـرت روايــة The Custom of the Country وهى رواية من الروايات التى تصف العادات والنماذج البشرية فى المجتمع. كانت الشخصية الرئيسية فى هذا الصراع امرأة من القادمين الجدد إلــى نيــويورك، وكانت الضحية فى ذلك المجتمع نفسه. كانــت أنــدين ســبراج Undine Spragg شخصية مزدوجة فبقدر ما كانت عاطفية (عند الحكم على تصرفاتها)، فإنها كانت فى منتهى القسوة عندما تصدر هى حكمها على الآخرين، فالوالد عندها لم يــكن أكثر من دفتر شيكات. والزوج هو الطريق للتقدم فى المجتمع، والطفل تهديد لشكل المرأة وقوامها. إن القصة تروى لنا كيف أنها شقت طريقها حتى وصــلت إلــى مصاف العائلات القديمة فى نيويورك. والتى كانت شوكتهم قد ضــعفت بعــد أن تعامل وتفاهم أفرادها مع القادمين الجــدد مثــل عــائلات: مــارفيل Marvells و داجونت Dagonet حتى وصلت إلى مجتمع Faubowrg St. Germain وكان هذا المجتمع مغلقا تماما فى وجه القادمين الجدد. ولكن لم يكن لهذا الاختلاط بمجتمع المثقفين وأصحاب الفنون أى تأثير ليخفف من خشونة طباعها إذ لم تشعر فى يوم من الأيام بتعاسة الآخرين وهى تحتل هذا المكان الرفيع من المجتمع. ذلك لأنها لم تفكر مطلقا فى أن تنظر إلى الوراء. لقد نالت السيدة وارتن نجاحا عــظيما فى وصفها لهذا كله. لقد اتسم هذا الوصف بالقوة والحياة. كانــت انــدين Undine تضع نفسها بسوء تصرفاتها، وبخطأ تقديرها، ومدى فهمها الأمور مثلمــا فعلــت ليلى بارت ولكنها كانت تلجأ إلى مكرها وذكائها لانقاذ نفسها فى كل مرة. لقد كان من الطبيعى أن تعطف على ليلى فى قصة The house of Mirth أما فى قصة «The Custom of the Country» كان المجتمع هو الذى استأثر بالعطف، هذا المجتمــع الذى حاولت أندين Undine أن تحطمه.

إن العيب الذى شاب هذه القصة «The Custom of the Country» والذى مــن أجله لم تنل التقدير الذى نالته قصة «The Reef» هو أن السيدة وارتن كانت تكن كراهية شديدة لشخصية أندين Undine لأنها وجدت فيها تجسيدا للشيطان الذى جاء مع العالم الجديد، هذا العالم الذى اختفت فيه رقة النفس ودقة الحس وكرم

الحياة. تحت المد الكبير من الحياة النمطية عديمة الطعم المليئة بالمظهرية والتى ترجع أصولها إلى وسط وغرب أمريكا. لقد غمر هذا الطوفان مدينة نيويورك بكاملها ولم تعد أوربا نفسها فى مأمن منه. فنرى أن عائلة المركيز شلز Chelles لم تشعر بالاهانة بالقدر الكافى عندما أقدم على الزواج من أندين Undine. أما الكاتب جيمس فإنه يأخذ على السيدة وارتن أنها لم تطور موضوع العلاقة بين Chelles وأندين Undine وإنى أرى أن جيمس قد أخطأ فى هذا الرأى لأنه من المؤكد (كما هو واضح من القصة). إنه لا يمكن أن تقوم أى علاقة بينهما، ولكن الأمر الذى لم تنجح السيدة وارتن فى تبريره هو إمكان زواج شلز Chelles من Undine لأنها كانت امرأة قد بلغت حدا من الفظاعة لا يستقيم معه أن تصبح على علاقة ناجحة على هذا النحو ومع هذا العدد من الرجال. فقد كانت سوقيتها كفيلة بأن تهدم قدرتها على إغراء الرجال وفتنتهم.

قامت «ليلى بارت» برحلة واحدة فقط إلى أوربا طوال حياتها المملوءة بالمغامرات فى حين أن أندين Undine نصف حياتها هناك. فمن المحتمل جدا أن تكون السيدة وارتن قد قابلت فى أوربا النموذج الفعلى لهذه الشخصية. إذ كانت الكاتبة فى أثناء هذه الفترة تمضى وقتا قليلا فى وطنها الأصلى. لقد جذب انتباهها دائما نظام الحياة الفرنسية وروعتها. كما راقها كذلك المركز المرموق الذى يحتله المفكرون فى المجتمع الفرنسى. وكان هذا مخالفا تماما لما شاهدته فى نيويورك. وكان ذلك مرجعه أيضا إلى أنها تكن احتراما للتقاليد والعادات والمراسم الموروثة، وكان هذا يؤكد الثقة فى أن الكيان الحالى للمجتمع يقوم على أساس من الماضى. ومن ثم فإنه يستطيع الحفاظ على هذا الشكل فى المستقبل أيضا، حقيقة إن المجتمع فى نيويورك إبان شبابها كان يقوم على تقاليده الخاصة. غير أن الكاتبة كانت ترى أن هذه التقاليد لم تكن سوى قيود. فمثلا لم يعترف أصدقاؤها وأهلها بكتاباتها إلا على أنها شىء غامض، وعادة محرجة من الأفضل عدم التحدث عنها. حتى زوجها، وإن كان يفخر بطريقة صبيانية بنمو وازدياد شهرتها، فإنه كان مثل الآخرين لا يفهم المواضيع التى تتصل بالفكر. فلقد سألها

مرة حين قدمت إليه جزءا من الدراسة العظيمة التـــى كتبهـــا R.H. Lock عـــن الوراثة والتغيير. سألها قائلا: هل هذا الشيء وأمثاله يسرى عنك؟ ولقد ردت على هذا التساؤل فى يومياتها فى ألم ظاهر: لقد كانت هذه الاجــابة عــن أى شـــىء يستحق الذكر. آه ياللسخرية التى عشتها عشرين عاما. أنا لم أعد أحتمل أكثر من ذلك.

كانت هذه الصرخة النابعة من القلب. ففى عام ١٩٠٨ وقــد بلغــت الـكاتبة السادسة والأربعين من عمرها. ولكن الخلاص كان فى طـريقه إليهـا. وفى عــام ١٩١٠ باعت الأسرة منزل «Lenox» وانتقلت إلى فرنسا ليعيشـــوا فيهـــا عيشـــة دائمة. وفى نفس السنة أصيب ادوارد وارتن Edward Wharton بانهيار عصـــبى وضع بسببه فى مصحة للعلاج. وفى عام ١٩١٣ انفصلا بــالطلاق. وأخيــرا لقـــد وجدت العالم الذى امتزج فيه كل شيء: الوسط الرائع الرفعة المثقفة والمجتمـــع الذى احترم الماضى وأظهر شديد الاهتمام بالحاضر. حتى مدينة «لندن» أصبحت قريبة جدا منها وكانت على اتصال دائم بالكتاب الانجليز الــذين كانـــت تنشـــد الحوار معهم وتتمتع بكتاباتهم مثل: جيمس James ويـــورجيه Lubbock, Bourget وهوارد Howard وستيرجز Sturgis. أجل كلنا يستطيع أن يعى ويفهم جمال هذه الحياة ولكن ماهى العلاقة فى كل هذا بالحياة الأمريكية المعاصرة التـــى كانـــت شاغلها الشاغل ومهمتها الأولى؟ لقد رأينا أن جيمس فى سنواته الأخيرة قد خلق شخصياته فى عالم غريب اصطنعه من خياله. إذ ليس من اللازم على مـــن كتـــب شخصية ماجى فيرنير Maggi Verner و Milly Théale أن يكون على دراية بآخر مجريات الأمور وتطوراتها فى الناحية الأخرى من الأطلنطى، إذ يكفى أن يـــكون أمريكيا. أما بالنسبة للسيدة وارتن فالأمر يختلف إذ أنها تعنى بالحياة والعادات والتقاليد فى نيويورك، ومن ثم فهى فى حاجة إلى أكثر من حديث عابر مع صـــديق أو سائح.

وفى عام ١٩١٩ نشرت كتابا صغيرا عنوانه «French Ways & Their Meanings» وهو كتاب تافه بشكل ظاهر هو عبارة عن مجموعة مقالات كانت قد كتبت من قبل

لتعريف الجنود الأمريكيين القادمين إلى فرنسا إبان الحرب العالمية الأولى، بأخلاقيات وعادات حليفتهم ومضيفيهم. وفى هذا الكتاب نرى الكاتبة وقد عكفت على وصف الذوق الفرنسى، والاحترام والأمانة الفكرية، فجاءت الصورة التى برزت وبدون قصد أن فرنسا أمة ارتبطت بالماضى، وحياة وسلوكيات هذا الماضى. فقد قدمت الكاتبة إلى فرنسا بهذا الكتاب أعظم مجاملة وذلك عندما اعتبرت أن الأخلاقيات والعادات التى شدت انتباه الكاتبة فى الطبقة المثقفة المحترمة، هى الأخلاقيات والفضائل العامة والسائدة بين طبقات الشعب الفرنسى. إن المحيط المتمدين المهذب، الذى كانت تحيا فيه حياتها اليومية قد ظهر أثره فى وصفها الطويل لوطنها الجديد، فى حين لم يحظ وطنها القديم إلا بالقليل نسبيا. لذلك نراها تبدى ميلا فكريا نحو فرنسا وبنفس القدر تظلم أمريكا عندما تتحدث عنها. لقد جاء هذا الكتاب معبرا عن هذا التفاوت فنراها إذا تحدثت عن الثقافة الفرنسية تستحضر فى الحال «رتشليو والأكاديمية الفرنسية» على حين إذا ذكرت الثقافة فى أمريكا فلا يظهر أمامها سوى مدرسة البنات فى الوسط الغربى والتى (تدرس الفنون) فى عام. وعندما تأزمت الأمور بقرب اندلاع الحرب العالمية برهنت الكاتبة على أنها مواطنة فرنسية صادقة وإن لم يكن ذلك من الناحية القانونية. فقد أظهرت احتقارها لكل المهاجرين إلى فرنسا عندما اتخذوا طريقهم إلى الفرار إلى وطنهم الأصلى عندما ظهرت بوادر الخطر. فى صيف ١٩١٤ وهؤلاء هم الذين وصفتهم بعد ذلك فى كتابها (The Marne)، فمنذ البداية ربطت الكاتبة مصيرها بمصير البلد الذى تبناها، وأكبت على أداء الواجب من أجل اللاجئين والجرحى بحماس وكفاءة، فنالت وسام الشرق الذى تسلمته من الرئيس «بوانكريه». إن هذه الحرب فى نظرها (وهى نظرة بسيطة وثابتة) هى معركة تقاتل فيها فرنسا وهى مفردة دفاعا عن الحضارة ضد قوى الظلام. تلك كانت روح الحماس والوطنية التى كانت وراء اندفاع الفرنسيين إلى القتال والموت. ولكن لسوء الحظ لم يكن لهذه الروح مكان فى القصة. فإذا قرأنا فى الوقت الحاضر (The Marne) أو (A son at the front) التى ظهرت عام ١٩٢٣، فإننا

نخرج بشعور الشخص الذى يعثر فى حقيبة قديمة على بعض اللافتات التى تحض الناس على الانخراط فى الجيش.

لقد أدت الحرب أثرها على الحضارة، وكذا تدفق الأموال الأمريكية إلى انحطاط هذه الحضارة، وإلى تأجج الشعور بالحنين إلى الوطن عند الكاتبة ـ الحنين إلى دنيا نيويورك القديمة والهادئة ـ دنيا طفولتها ـ هذه الدنيا التى كانت صغيرة ومنعزلة. فنرى الكاتبة بعد فترة تكتب: «عندما كنت صغيرة اعتدت على رؤية الناس الذين نشأت بينهم وكأنهم وعاء خمر فارغ لم يصب أحد فيه أى نبيذ مرة أخرى. أما الآن فإنى أرى أنه من مزايا هذا الوعاء أنه مازال يحتفظ ببعض القطرات لنبيذ قديم لا تقدر على استساغها الحلوق الشابة».

لم يكن الماضى بالنسبة لها كله ورود. ولكنها فى هذه المرة لم تجزع لمشاهدة سوء الظن والتحايل المتفشى بين الناس وكل ما فعلته أنها أعادت صياغته. ففى قصة Autre Temps ، نرى أن السيدة ليدكوت Lidcote ، تطرد من المدينة لأنها هجرت زوجها وهربت مع عشيقها. ولكنها حين عادت إلى نيويورك بعد مرور جيل لكى تقف إلى جوار ابنتها التى اقترفت نفس الفعلة وجدت أن الزمن قد تغير وأن فى استطاعة ابنتها أن تتزوج ممن كان عشيقها. وأن الناس الذين سبق لهم وطردوا السيدة ليدكوت، قد استقبلوا الابنة. إذن لقد تبدلت نظرة الناس وتبدل الزمن تجاه الابنة. ولكن المجتمع ليس من عادته أن يعيد النظر فى أحكامه التى سبق وأصدرها ضد بعض الناس. فالعشاء مثلا ينقل إلى السيدة ليدكوت على صينية إلى أعلى المنزل حتى لا تحضر ولا تظهر بين الناس فى أثناء الحفل الذى أقيم احتفاء بالحبيبين الشابين. ومهما كان الأمر فقد كانت هناك حكمة أخرى أكثر دقة: هى أن السيدة ليدكوت برغم كثرة مشاكلها ومتاعبها كانت تعيش حياة أسهل وأيسر من حياة ابنتها التى حصلت على الطلاق ثم تزوجت دون صعوبات. لقد ظهرت السيدة ليدكوت وكأنها شخصية أتت من الماضى لتعيش مرة ثانية فى منفاها بأوربا، دون أن يداخلها أى لون من الحقد أو الكراهية حيث الزحام والتغير الدائم وروح التسامح وعدم المبالاة، وحيث لا مكان لأى شخص شكلته

الظروف الصعبة، أو حطمته نفسيا تحت ضغط الآخرين. لم يـكن كل هـذا إلا شعور جارف نحو كل جديد فبعد عشر سنوات نرى الكاتبة فى قصـة Twilight Sleep) قد ذهبت إلى أبعد من ذلك فتهاجم دنيا ما بعد الحـرب. هـذه الـدنيا التافهة والخالية من الآلام. فتتهكم بالسيدات وبنعومة حياتهن. فقد أصبح الماضى بالنسبة لها قيما جدا، لا لشىء، سوى أنه ماض. فمدينة نيويورك التى تعرفها فى طفولتها، والتى لا أبراج لها أو بواكى أو نافورات، أصبحت فى نـظرها شـديدة الجاذبية مثل مدينتى اطلانطيس وتروى Atlantis و Troy، إننا نشعر بـالامتنان لهذه الاتجاه، اتجاه إلى الاعتذار لجيل آبائها لأنه هو الـذى أعـطانا أحسـن رواياتها.

إن عنوان قصة «The Age of Innocence» يشير إلى مـدينة نيـويورك إبـان السبعينيات من القرن الماضى، حين كانت الكاتبة ماتزال فتاة صغيرة. وقد أعطى هذا العنوان للقصة طعما كطعم القصص التاريخية كما قال النقاد. أما الحقيقـة التى يعترف بها النقاد دائما فهى أن كتاب القصة، وقصص العـادات فى العصر الفكتورى، قد اختاروا فترة طفولتهم لتكون مجال قصصهم لذلك تراهم قد أظهروا ميلهم للعودة إلى الماضى القريب، حيث كانت الصراعات بين الطبقات الاجتماعية أكثر وضوحا. لقد كتبت قصة «The Age of Innocence» علـى طـريقة «Proust» التى ترتكز على إثارة الماضى. لذلك فنحن نرى مدينة نيويورك وهى مازالت بلـدة صغيرة وكذا نرى أن Newland Archer رجلا مدعيا وأعزب، وكالعادة محاميا، وقد وضع فى القصة كى نرى خير مساوئه الكامنة فى نفسه. إنه يملك الشعور الـكافى وكذا الخيال لكى يتطلع إلى اقتحام حواجز وسدود التقاليد التى كانت تحيط به، ولكنه كان من الضعف بحيث لم يستطع تخطيها. لقد كان يعلم منذ البـداية أن لا فرصة أمامه للنجاح وكان ذلك سبب شقائه وحزنه.

وكثيرا ما كانت الكاتبة تكثر من الثناء والمديح على مجتمعها القديم، خـاصة عندما كانت تؤكد أنه خلف هذا الجدار السميك من العادات والتقـاليد، تتفتـح أزهار رقيقة من العذاب الذى يدل على الصبر والتضحية بالنفس. فنرى نيـولاند

أرشر Newland Archer وإن كان قد تزوج من ماى ولاند May Welland فى الوقت الذى كان يحب فيه إيلن أولينسكا Ellen Olenska وأنه قد بنى فى قلبه معبدا ووضع فيه صورة إيلين يستمد منها القوة على تحمل الحياة الرتيبة الخالية من الأحداث. إن شخصية نيولاند تعتبر شخصية كاملة من حيث البناء وعلى ذلك تكون متميزة عن أى بطل أخر. فإذا راود القارئ أى شك فى هذا الرأى فما عليه إلا أن تقلب صفحات اليوميات الضخمة لجورج تمبلتن سترنج George Templeton Strong والتى نشرت بعد موت إديت وارتن بوقت طويل.

إن المقارنة بين يوميات سترنج وقصة «The Age of Innocence» أمر يستحق الاهتمام لأن هذه هى المرة الأولى التى كانت الكاتبة ترى فيها جميع الأحداث من خلال شخصية واحدة. لذلك كان الاهتمام مركزا فى شخصية نيولاند أرشر، ولقد لجأت الكاتبة لنفس الوسيلة فى كتابين نشرا بعد ذلك هما «The Children و The Mother's Recompense» حيث كان الاهتمام مركزا على شخصيتى Martin Bayne و Kate Clephene ونرى الكاتبة على نقيض James قد رفضت أن تحد من تعليقاتها على وجهات النظر الشخصية الرئيسية. لنظرة Archer للحياة نظرة محافظة وكانت بالنسبة للقارئ مملة، إلا أن الكاتبة لم تتوان لحظة للظهور من فوق كتف البطل وتطل على القارئ لتصف له كل المشاهد المبهمة والمسلية فى نيويورك والتى كانت يمكن أن تفوته لو لم تفعل هى ذلك. نعم. ربما كان جيمس لا يوافق على هذا. إذ ربما يدعى أن التطور الروحى لشخصية أرشر Archer مثله مثل شخصية لامبرت ستريزر Lambert Strether. فى قصته (The Ambassadors) كان سيصبح ذا معنى أكثر ثراء إذا نظر إليها من خلال عقلية أرشر Archer فقط. لقد كانت هذه أهم الاختلافات التى كانت بين «إديت وارتن» وجيمس James. فقد رفضت السيدة وارتن أن تخضع «التحركات الشاذة وغير المناسبة للحياة» إلى أية قاعدة لأن تلك كانت تشكل الخلفية لقصصها.

من الغريب أن نرى اسم الكاتبة وارتن مرتبطا دائما باسم جيمس هذا فى الوقت الذى كان الاختلاف بينهما واضحا فى طريقة كل منهما فى الاقتراب من

الفن وبالرغم من أثره الواضح وإن كان سطحيا فى أعمالها المبكرة. فقد كان كل منهما أمريكيا يعشق أوربا. وعند هذا يقف كل تشابه بينهمـا. فقـد كان جميس رقيقا ومتأملا وغير مباشر. أما وارتن فكانت تمتاز بالوضوح والصراحة: لقد تحدث Percy Lubbock عن بغضها وكراهيتها للأشياء المبهمة والمجردة. فقد كانت تكره الجدل حول المعانى الغامضة. كانت تكتب عن مشاكل نفسية واجتماعية محـددة وواضحة وقد تناولتها كذلك بطريقة محددة وواضحة المعـالم. كانـت عبـارتها واضحة لا تحتاج إلى إعادة قراءتها مرة أخرى، وهى مثل جيمس تعبـر بعمـق ووفرة عن مكنونات النفس. وبرغم الصداقة التى كانت بينهما فإن كلاهما لا يحب أى عمل يحبه الآخر. وكان جيمس يرى أنها كانت ناجحة جدّا فى الفتـرة التـى كانت هى تحت تأثيره مثل قصة The Reef فى حين هى كانـت تسـتنكر هـذا الاتجاه الفنى الذى ظهر فى السنوات الأخيرة من حياته. فقـد كانـت تـرى أن جيمس قد سخر فنه لخدمة حياته أكثر وأكثر هذه الحيـاة مـا هـى إلا الجـو الانسانى الذى نعيش ونتحرك فيه «فإذا كان على الكاتبة أن تنتسب وتتتلمذ على شخص ما فإن جورج إيليوت George Eliot هى أنسب هذه الأشـخاص لأنهـا تتميز بالأسلوب القوى الواضح، والمناظر العريضة، والاهتمام بالمسائل الأخلاقية بالاضافة إلى ما كان بينهما من علاقة.

ولما كانت السيدة وارتن قد اختارت لنفسها بعد الحرب أن تستمر فى الـكتابة عن الحياة الاجتماعية فى المدينة. وهى المدينة التى هجرتها ولم ترجع لزيارتها. ألم يكن من الأفضل لها أن تقصر الأربع قصص التى ظهرت عام ١٩٢٤ تحـت عنوان (Old Newyork)، يعادل نجاحها فى كتاب «The Age of Innocence» عندما استرجعت الجو العام الذى كان يسود القرن الماضى. ولكن كان اهتمامها بالأمور التى تدور من حولها. حتى أنه أنساها أنها لا تستطيع الكتابة عن الماضى فقـط. فما أيسر أن تنقل صورة العصر الذى كانت تعيش فيه وأن تبحث عـن أصـوله وأسباب العديد من الأشياء التى كانت تغضبها. لقد زادت أعباؤها المالية: بيـت فى شمال باريس واخر فى الريفيرا، كما أنها كانت تحتفظ باثنين وعشرين خـادما.

لقد كانت فى حاجة ماسة إلى عدد كبير من القراء وقد اضطرت إلى الكتابة عن الأمريكان المعاصرين حتى يمكنها الحصول على المبالغ الباهظة التى كانت تدفعها المجلات الأمريكية التى تهتم بالمرأة وشئونها فى ذلك الوقت.

إن قصة (The Glimpses of the Moon) والتى نشرت عام ١٩٢٢ كانت أول قصة مسلسلة ظهرت فى مجلة «The Pictorial Review». وتعتبر هذه القصة أول دليل على هبوط مستوى الكتابة وذوقها. حيث نرى على غلاف الكتاب رسما لفيلا إيطالية على بحيرة «كومو» وهى تسبح فى ضوء القمر ومن أول فصل يشعر القارئ بحالة كريهة تجعله يفرك عينيه ليعيد النظر ليتأكد من أنه يقرأ للكاتبة «إديث وارتن» فى هذه القصة يظهر Susy Lansing و Nick وهما أفاقان عالميان ومفلسان وقد تزوجا على أساس أن رباط الزوجية هذا قابل للانفصام يقابل فيه الزوج زوجة أخرى غنية. كما نرى شخصية البطل المدعى Nick. نراه يكتب قصة عن «الاسكندر الأكبر» فى آسيا لأن ذلك لايحتاج إلى بحث كبير. وهنا نجد أن كلا من القارئ والكاتبة ينظران إلى Nick من زاوية مختلفة تماما عن زاوية الآخر والقارئ يراه أفاقا لا يهدأ، ولكنه قانع بحياته فى بيوت الأصدقاء الأغنياء، على شرط أن تكف زوجته عن سرقة السيجار، وأن تصبح ستارا لخطايا زوجات هؤلاء الأثرياء المخدوعين. كانت قوانينه وأسلوبه تدور على هذين الشرطين. وعندما خرجت Susy على هذين الشرطين (وكانت تفعل ذلك من أجله فى كل مرة) تركها فى الحال ليجرى خلف امرأة غنية ورثت بعض المال. كان من المحال أن تتخيل كيف تمكنت الكاتبة من خلق شخصية مثل Nick، هذا. ثم تجعل منه بطلا لقصتها. ما لم نعتقد أن Nick هذا يمثل من وجهة نظرها المنحدر الذى وصل إليه الرجل المهذب على مدى السبعين عاما التى مضت على نشر The house of Mirth فهل كان فى إمكان أى فرد حتى Laurance Selden أن يهبط إلى مستوى Nick Lansing؟ هل سرقت Lily Bart السيجار ولو مرة واحدة؟ حقا إن الدنيا لم تسقط بعد تحت أقدام Nick & Susy Lansing ومن كان على شاكلتهما من الناس الذين يختفون خلف الفراء الغالى والمجوهرات واليخوت. لقد كان اهتمام الكاتبة

بالكشف عن النذالة والسفالة وتعريتهما سببا فى هبوط قدرتها على التمييز والادراك. ولكن من حسن الحظ أن جاءت قصصها الأربع التى تلت The Glimpses of the Moon أقل صراحة فى كشف الخروج على الذوق العام. وإن كانت هذه القصص الأربع لم تبلغ المستوى الذى وصلت إليه الكاتبة. إلا أنها لم تكن سيئة. ولكن من المؤسف أن ترى الكاتبة تلقى الذنب كله (بسبب عدم الاستقرار الذى عاناه عالم ما بعد الحرب) على عاتق وكاهل وطنها الأصلى. فنلاحظ أن شكواها كانت تعلو وترتفع فى كل كتاب يأتى بعد الآخر حتى أصبح كل شيء عبر الأطلنطى قد اصطبغ بالغلظة والسخف. فالأمريكيون عند توقفهم قليلا عن جمع الثروة يصبحون مغفلين تجاه الدجل الدينى والطبى. إن حماسهم الشديد للحياة جعلت مدنهم غابات من ناطحات السحاب الممقوتة. حتى وجوه الأمريكان أنفسهم قالت عنها «لا تعبير فيها كأنها كرات قدم» قد صنعت فى مصنع واحد فكل فرد يشبه الآخر. ما أطول السنين التى يجب أن تمر قبل أن يصبحوا أفرادا كل له هيئته التى تميزه عن الآخرين.

أما Kate Clephane فى رواية (The Mother's Recompense) (التى نشرت عام ١٩٢٥) نراها تعود ثانية إلى مجتمع نيويورك والذى سبق أن لفظها من قبل كما فعل مع السيدة ليدكوت Lidcote فى قصة «Autre temps» لنجد المجتمع قد تغير وأنها تستطيع أن تعيد النظر فى حكمها السابق. فقد تقبلها الناس بصورة حسنة وهم الذين سبق لهم مقاطعتها. حتى أنها لاحظت أن قوة تحملهم للحفاظ على مبادئهم قد ضعفت عدا شخص واحد فى نيويورك لا يزال يتمتع بنسيج قوى من الأخلاق. هذا الشخص هو ابنتها. هذه الفتاة التى تشعرالقارئ بأنها مصنوعة من خشب. فلما علمت Kate أن ابنتها على وشك أن تتزوج من رجل كان عشيقا للأم فى يوم من الأيام الماضية. ولم تكن الفتاة على علم بهذه الحقيقة حاولت Kate بكل قوة أن تحول دون إتمام هذا الزواج ودون أن تطلع الفتاة على السبب، وأخيرا استسلمت الأم للأمر الواقع لتجنب ابنتها «الألم» ولكن Kate قد جنبت ابنتها هذه الآلام. وآثرت به نفسها بعد أن رفضت الزواج من معجب قديم

أصابته الدهشة. وإن كانت دهشة مؤقتة خاصة عندما سمع اعترافاتها ومغامراتها السابقة.

لقد استنكرت السيدة وارتن رأى النقاد عندما لم يوافقوا على نهاية القصة. وقالت إن هناك كمية من سوء الفهم العميق يحيط بها، وأشارت إلى أن دليل التضحية عند Kate صورة هذا البيت من الشعر الذى كتبه Shelley فى إحدى صفحات روايته الأولى « الحزن شىء ناعم » ولكن أرى سلوك Kate هذا إنما يرجع إلى أن شعورا قويا يشبه شعور الفرد الذى تحطمت حياته تحت عجلة التعذيب على يد جيل قاس. لقد استولى عليها هذا الشعور لدرجة أنها كانت تنظر إلى زواج Anne بأنه أمر فظيع. إن كل ما كانت تكره فى الدنيا الجديدة ليس هو وقوع هذه الفظائع، وإنما كان عدم اكتراث الناس بها. لقد وضعت Anne فى موقف وجدت فيه نفسها تتزوج من رجل كانت له سابق علاقة مع أمها. ولذلك ذهبت الأم لتعيش وحيدة فى قرية صغيرة فى الريفيرا دون رعاية حتى من هذا المعجب السالف الذكر. وذلك تكفيرا عما حدث. فهؤلاء الذين تمسكوا بالماضى ومقاييسه المتزمتة، لا شك أنهم مستعدون للمعاناة فى وحدتهم دون أن يتوقعوا أى عطف أو تفهم من الآخرين. ولكن ذلك لم يكن (الألم الخالص) لأن Kate قد صممت أن تضع وجهها فى باقة هذه الوحدة لتستنشق عبيرا لم تعرفه قط ابنتها.

كانت السيدة وارتن حتى الآن مكتفية بمناوشة الحياة فى أمريكا. أما فى الحقيقة فقد كانت تعد نفسها لدراسة أكثر قربا لما وقع من تغيير فى المجتمع الأمريكى، لقد عثرت على ضالتها حينما وجدت هذا النموذج (من الناس) الذى اعتبرته مثلا لضحية المجتمع الجديد، بل ذهبت فى الاعتقاد أنه الجرثومة نفسها لأمراض المجتمع. ففى قصة (Twilight Sleep) نرى أن Pauline Manford ابنة لأحد الغزاة الجدد الأثرياء الذين وفدوا على نيويورك لقد تزوجت من Arthur Wayant الذى ينتمى إلى إحدى العائلات القديمة. ولكن غيرهما الزمن، فبعد أن كانت الزوجة تسير خلف زوجها، وكانت خشنة الطباع. أصبحت قديرة، ولكن باهتة الأخلاق. بنت حياتها بإلقاء الخطب العامة وإقامة الحفلات لأغراض لم

تحاول هى نفسها أن تفهمها. فما Wayant هذا الرجل الرزين المهـذب حسـن الهندام، الخبير فى اللوحات الفنية والخزف، قد انحط وأصبح مخلوقا غبيا يعيش على الشائعات وترويجها. لقد أقام علاقة مريبة مع خادمة عجوز لأم زوجته فطلقته زوجته من أجل ذلك. هذا نتاج المزج بين المجتمع القديم والجـديد. إن هـذا المزج قد كلف كلا منهما ثمنا باهظا هو فقدان شخصيتهما الحقيقية. اجتـازت Paul هذه المحنة وعاشت حياة أفضل من Wayant ولكن حيـاتها كانـت مليئـة بالقلق، وخالية من أى هدف. لقد عاشت فى خوف دائم وهى ترى عائلتها تنحـط أخلاقيا يوما بعد يوم.. إن القادمين الجدد الفـاتحين لمـدينة نيـويورك؛ وكذلك بناتهم كانوا يشتركون فى خلة واحدة، هى أن الآباء كانوا يهتمون اهتماما بـالغا بأعمالهم وكسب المال، أما البنات فكن مهتمات بالأسباب. وكان نتيجة لـذلك أن أعمالهم ونشاطهم المحموم، قد حجب عنهم رؤية الأشياء الجميلة ذات المعنـى المفيد فى هذه الدنيا التى تحيط بهم. إن السيدة وارتن. وهى تخلـق شـخصية السيدة مانفورد Mrs. Manford كانت تدور فقط مـن حـول ظـاهرة اجتمـاعية أمريكية. هى ظاهرة امرأة الجمعيات والخطب والاجتماعات. هى ظاهرة المـرأة المتزوجة من رجل أعمال لا يهمه سوى عمله، وهى من ناحيتها تبحث لهـا عـن ملجأ فى «أتوبيا Utopia» مؤملة أن تقابل فيها نوعا من السعادة والجمال. لو أن السيدة وارتن عاشت فترة أطول فى أمريكا، لكان من المحتمل جدا أن تقابل أمثالا ونماذج عديدة لهذه المرأة. فهى لم تكن أكثر من صـورة كاريـكاتورية للمـرأة الأمريكية التى كانت تغشى الاجتماعات لتخطب فيها عن النسل والعائلة فى حيـن هى تقابل أولادها بموعد سابق عن طريق سكرتيرة. إن قصـة Twilight كانـت مطرقة قوية وثقيلة هبطت على رأس امرأة من قش.

أما قصة (After Holbein)، وهى قصة قصيرة كتبتها السيدة وارتن لتعبر عن غضبة أشد. لقد كانت القصة صورة هزلية للتدهور النهائى الذى حـدث نتيجـة الاندماج بين المجتمع القديم والقادمين الجدد على نيويورك ففيها نجد السـيدة Jasper العجوز وهى جالسة فى حجرة الطعام وقد تخيلت أنها ما زالت المضيفة فى

حفل عشاء تقيمه فى منزلها وتتخيل الخدم وهم يقومون بتقديم الطعام للمدعوين وقد ارتسمت على شفاههم ابتسامات السخرية. أما شخصية Anson Warley فهو أعزب مدع وكان فى الماضى لا يكترث لحضور حفلات السيدة جاسبر Mrs. Jasper أيام مجدها. ولكنه يعانى الآن فقدان الذاكرة. فهو يدخل بطريق الخطأ منزلها ويجلسان معا. شخصيتان محطمتان. يتصارعان ويتكلمان بعبارات غير مفهومة وهما يشربان «ماء الصودا» ويعتقدان أنهما يشربان «بيريه Pierrier Jouet الفرنسية، ثم يظهران إعجابهما بآنية الزهور مع أنها فى الواقع محشوة بأوراق الصحف. لقد قيل إن القصة خالية من العطف. ولكن هل من الميسور لقصة قصيرة أن تفرد مكانا فسيحا لكمية كبيرة من العطف؟ إنها قصة كتبت فى إتقان وحذق. إنها تعبر عن رقصة الموت وحالة الخواء القاتل لحياة شخصين كرساها فى سبيل حفلات العشاء ومراسيمها.

لقد أعطت الكاتبة للأمهات الأمريكيات وأزواجهن (سواء من القادمين الجدد على مجتمع نيويورك، أو جماعة المدعين)، حقهن بالكامل حين كتبت عنهن. ولكن ماذا عن بقية العائلة (الأولاد والبنات)؟ سنلاحظ أنهم لم يقوموا بأدوار مهمة فى قصص الكاتبة. وذلك يرجع إلى أنهم لم يكونوا جزءا مهما فى حياة الكاتبة الحقيقية. حتى أن Winthrop Chanler وهو أحد أصدقائها القدامى كتب يقول: إن السيدة وارتن كانت تخشى الأولاد ذكورا وإناثا»، ولكن إذا كانت الكاتبة لم تتناول الأولاد بالكثير فى قصصها وعلة ذلك جهلها بحالة رياض الأطفال والمدارس فى أمريكا. ولكن مما لا ريب فيه أنها كانت على دراية تامة بما انتهت إليه حالة الصغار المشردين فى أوربا وهم ضحية تعدد الزيجات وإستهتار الآباء والباحثين عن اللذة. فقد اعتاد هؤلاء أن يتركوا أولادهم ليعيشوا فى الفنادق المنتشرة على ساحل البحر فى رعاية المربيات. لقد ظهرت قصة (الأطفال The Children) عام ١٩٢٨ لتعبر عن سخط الكاتبة الشديد وذلك فى أسلوب تهكمى مرير ولاذع حيث حاولت الكاتبة أن تصور المجتمع الذى أدى إلى هذه المشكلة. وبعد قصة (الأطفال) بدأت الكاتبة أكثر تجاربها طموحا وكانت وقتئذ فى الستينيات من

عمرها. كانت هذه التجربة عبارة عن قضية خيالية تصف حياة الـكاتب فـانس وستن Vance Weston وهو من مواطنى غرب الوسط الأمريكى. ظهرت هذه القصة فى مجلدين الأول وعنوانه : (Hudson River Bracketed)، وقد ظهر فى عام ١٩٢٩ والثانى فى عام ١٩٣٢ وكان تحت عنوان (The Gods arrive). تبـدأ القصـة فى مدينة Euphoria حيث كان يعيش بطل القصة وقد اهتمت الكاتبة بوصف تفاصيل الحياة فى وسط الغرب، ولكن مالبث البطل أن ترك مدينته إلى نيويورك حيث التقى هناك بالفتاة Halo Spear التى اعتادت أن تقرأ له الشعر الألمانى. وفى هذا الجزء انتقدت الكاتبة على لسان فانس Vance ، دنيا النشر والتأليف فى نيويورك، وخاصة كتابها الذين رمتهم الكاتبة بالجهل والعجز عن مسايرة التيارات الأدبية فى أوربا، حتى أن هؤلاء الكتاب كانوا يجهلون الكثير من أعـلام الأدب أمثـال زولا Zola وتاكرى Thackeray. يضيق فانس بهذا الجهل، وبالجو المحيط بالحياة الأدبية فى نيويورك فيقطع صلاته العائلية، ويهاجر إلى لندن. وهناك يصبح صورة من صـور أبطال الكاتبة وارتن، فهو قوى عنيد ثم نلاحظ فيه شبهًا كبيـرا مـن شـخصية Martin Boyne الذى ستقابله فى الجزء الثانى، وبالرغم من أن الجزء الثـانى كان فى بعض أجزائه مملا فإن القارئ لا يسعه إلا أن يعجب بقـدر الـكاتبة علـى (الخلق) الذى أتاح لها الفرصة لتكتب وهى فى السبعين من عمرها.

وقبيْل نهاية عمرها عادت الكاتبة مرة أخرى إلى ذكريات طفولتها الفنية ولـكنا نلاحظ هذه المرة المرارة السابقة فى كتابتها، كما عاد أسلوبها القـوى الـواضح لخدمة أغراضها. وقبيل نهاية عمرها عادت أيضا إلى ذكريات طفولتها فى نيويورك، غير أننا نلاحظ أن المرارة التى كانت غالبة على بعض قصصها قد خفت حدتها وعاد أسلوبها إلى ما كان عليه من القوة والـوضوح، فتجـدها تـكتب قصـة (Buccaneers) التى نشرت ١٩٣٨. وهذه القصة تعتبر واحدة من أحسن أعمـالها وتدور هذه القصة حول مجموعة من (الفتيات) اللائى وجدن أن مدينة نيـويورك أصبحت ضيقة ولا تتسع لآمالهن. فيهجرنها إلى لندن سعيا وراء النجاح. إن هذا الموضوع على هذا النحو يعتبر فريدا فى قصصها، ولكنا نلاحظ أن الكاتبة تشمله

بعطفها. لقد التحقن بمدرسة St. George التى كانت تـديرها Laura Testvalley، وهى عانس مثقفة من أصل إيطالى. لقد نجحت Laura فى الأخذ بيـد الفتيـات وأرشدتهن إلى الطرق الآمنة فى مجتمع لندن. لقد كان الجـزء الأول مـن هـذه القصة مسليا وخفيفا. هذا الجزء انتهى بانتهاء هؤلاء الفتيات من دراساتهن. أما الجزء الثانى فقد كان أكثر جدية.

بلغ عدد الكتب التى نشرت لهذه الكاتبة اثنين وثلاثين كتابا بما فيهـا قصـة (Buccaneers)، وقصة (The Ghosts) اللتين نشرتا بعد وفاتها. الواقع أن الـكاتبة قد نالت مكانة رفيعة فى الأدب الأمريكى بفضل من هذه القصص وخاصة قصتى The House of Mirth و Age of Innocence وهما من قصص العادات، لقد ماتت Edith Wharton فى بيتها بباريس ١٩٣٧ على أثر نـوبة قلبيـة بعـد أن بلغـت الخامسة والسبعين، لقد جمعت جامعة Yale كل أوراقها، كما كتبت عنها المقالات والمذكرات. ولكن الجزء الأكبر مما كتب كان يتناول الـكاتبة مـن حيـث إنهـا (سيدة)، أما الجزء الصغير فهو الذى اهتم بأعمالها الأدبية.

سنكلر لويس Sinclair Lewis

بقلم
مارك شورير Mark Schorer

ولد «هارى سنكلر لويس Harry Sinclair Lewis» فى ٧ فبراير عـــام ١٨٨٥ فى قرية Sauk Centre فى ولاية "Minnesota" كان والده طبيبا لهـــذه القـــرية وكان هارى أصغر أبنائه الثلاثة. وحتى الآن، لا يعلم أحد من أين جاء اســـم هـــارى، أما اسم «سنكلر» فهو الاسم الذى اشتهر به. وقد كان سنكلر اسما لصديق قديم لوالده، ويعمل طبيبا للأسنان فى مقاطعة وسكونسن Wisconsin. أما والدة الكاتب فكانت امرأة معتلة الصحة دائما مما اضطرها إلى أن تقضى وقتا طويلا بعيدة عن بيتها فكانت تذهب إلى الجنوب وإلى الجنوب الغربى، ولكنها ما لبثت أن توفيت، وكان هارى وقتئذ فى الخامسة من عمره. ولم يمض عام على وفاة أمه حتى تزوج والده مرة ثانية من امرأة قد راضت نفسها على تحمل العمل الشاق معه كطبيب ومسايرة أخلاقه وعاداته التى كانت تميل إلى الاقتصاد. أما حياة الابن Harry فى فترة صباه فكانت حياة جافة خالية من الحب ويشوبها الكثير من الغضب والكدر. منذ أن كان صغيرا عرف أنه لا يأتلف مع الغير بسهولة. ضعيف النظر وقصيره. شعره أحمر كثير الصخب وعنيد. لا يحسن صيد السمك أو الـــطيور. لا يـــرحب زملاؤه به شريكا لهم فى اللعب، بل كانوا يسخرون منه فاضطر إلى أن يترك نفسه فى حماية من يكبره سنا ولهذا كان قليل الأصدقاء، يحب أن يتجـــول منفـــردا فى الريف أو يقرأ أى شىء يقع بين يديه. ولهذا اشتد شوقه أيضا إلى ترك القـــرية Sauk Centre إلى أى مكان أكثر بهجة يحس فيه نوعا من اللطف. وحيـــن بلـــغ السابعة عشرة من عمره، سمح له والده (وكان له بعض الأقرباء الذين يعيشـــون

بالقرب من نيو هافن New Haven بولاية Connecticut بأن يلتحق بجـامعة Yale بعد أن أمضى الستة أشهر الأولى فى أكاديمية أوبرلين Oberlin ولـكن سرعـان ما تحطمت آماله فى أن يجد حياة أسعد فى Yale فنـراه مـرة أخـرى وحيـدا وبلا أصدقاء، بالرغم من عطف بعض أساتذته عليه، إذ لمسوا فيه ذكاء وقـادا. لقد كتب عندما كان فى المدرسة الثانوية بعضا من أبيات الشعر فى المناسبات.

أما الآن وهو فى Yale فقد داوم على الكتابة لأنه كان يرى أن الكتابة ليسـت بديلا عن الحياة الاجتماعية التى حرم منها فحسب، ولكنها كانت أيضا فى نـظره الوسيلة التى يستطيع بها أن يكسب اعتراف واحترام زملائه.

إن شعره المبكر، وكذا نثره (لا يمتان بأى صـلة أو شـبه، لا مـن حيـث الموضوع ولا من ناحية الطريقة التى اشتهر بها فيما بعد)، كان هـذا الشـعر والنثر تقليدا لشـعر كبلنـج Kipling فى بعض الأحيـان، وتنيسـون Tennyson وسونبورن Swinburne فى أغلب الأحيان، فقد كان من عشـاق المـوضوعات ذات الصلة بالقرون الوسطى. فجاء نثره قديما من حيث الأسلوب (مثيـر الـزخرف). أما الموضوعات فكانت خالية ودرامية ومأسوية، لقد كان الطالب الوحيد المستجد فى جامعة Yale الذى نشرت له قصيدة من الشعر بعنوان (لـونسلوت Launcelot) فى مجلة «ييل الأدبية Yale Literary Magazine»، وهـذه القصـيدة وإن كانـت لا تخلو من بعض الجمال فإنها كانت، وبلا شك، أقصى ما بلغ من إنجاز فى الشعر (لقد كان الكاتب منذ أن كان فى السادسة عشرة من عمره مهتما جـدا بـإثبات شخصيته الأدبية). وبعد أن نشرت له هذه القصيدة أصبح أمامه الطريق مفتوحا للكتابة فى هذه المجلة. ففى العام الثانى أخذ يكتب بانتظام فيها وفى غيرها مـن المجلات المدرسية. وفى السنة الثالثة نال الكاتب بفضل كتاباته مكانا بين جهـاز التحرير بالمجلة.

وعلى سفينة لنقل الماشية سافر مرتين إلى انجلترا على فصلين من فصـول الصيف. وفى أثناء هاتين الرحلتين بدأت القصة تشد انتبـاهه. وفى فصـل مـن

فصول الصيف عاد إلى Sauk Centre حيث برح به الملل، فتخيل قصة سميت فيما بعد The Village Virus، وعندما انتهى من كتاباتها غير الاسم وسماها The Main Street. وبرغم نجاحه الأدبى فى الكلية فإن حياته فى Yale كانت تزداد تعبا ومشقة. وفى مستهل العام النهائى هرب فجأة من (نيو هافن) ليصبح بوابا فى Helicon Hall بالقرب من مدينة Englewood بولاية New Jersey. ولكن هذه التجربة لم تستمر سوى شهر واحد.

وفى خلال هذه الفترة المضطربة لم يرسل له والده أى معونة مالية. لذلك اضطر الشاب إلى الرحيل إلى «نيويورك» عاقدا العزم على أن يعيش من قلمه. ولكنه لم يوفق. فبعد عدة شهور عانى فيها الكاتب من الجوع سافر إلى «بنما» عله يجد عملا فى القناة التى كانت فى مرحلة الانشاء حينذاك. ولكنه فشل أيضا فى تحقيق هذا الأمل. لذلك عزم على العودة إلى «نيو هافن» لينهى دراسته فى Yale فأعاد تسجيله فى الكلية وتمكن من الانتهاء من دراسته فى يونيو عام ١٩٠٨ بعد أن تخلف عاما واحدا عن بقية زملائه. تلا ذلك عدة سنوات من المغامرات المتنوعة فى طول الولايات المتحدة وعرضها فحاول فى أثناء هذه الفترة أن يصبح صحفيا ولكنه فشل وحاول أن ينشر كتاباته الأدبية ولكن دون أن يصيب أى نجاح يذكر. طاف هنا وهناك إلى إيوا Iowa ونيوريوك، وسان فرنسيسكو، وواشنجتون، ومرة أخرى إلى نيويورك. وفى وقت من الأوقات عاش بعض الوقت فى مستعمرة جديدة من مستعمرات البوهيمية فى كارميل Carmel بمقاطعة كليفورنيا، وهناك زامل كتابا أمثال: «جورج استرلنج George Sterling» «وجاك لندن Jack London»، ولكنه لم يستطع بيع أية قصة من قصصه. وعوضا عن ذلك باع عدة مشروعات لقصص (كان قد أعدها من قبل وجمعها فى ملف واحد) إلى جاك لندن نظير مبلغ يتراوح بين خمسة وخمسة عشر دولارا. ولكن حتى هذا السخاء من جانب الكتاب القدامى لم يكن كافيا لاعاشة هذا الكاتب المبتكر الشاب. ثم عمل بعد ذلك من نهاية ١٩١٠ إلى عام ١٩١٥ فى بيوت النشر كما عمل كذلك فى الدوريات بمدينة نيويورك. وفى إجازة من إجازات الصيف كتب كتابا للأطفال

بعنوان Hike & the Aeroplane وذلك بتكليف مـن شركة Frederick A. Stokes، وقد نشره تحت اسم مستعار هـو Tom Graham، ومـن المهـم أن تعـرف أن «لويس» كان طوال هذا الوقت يعمل بجد فيما يعتبر بأنه قصته الأولـى، هـذا بالرغم من أن أحدا من أصدقائه فى دوائر النشر لم يشجع جهوده لـكى يصـبح روائيا جادا. ولكنه لم يأبه لذلك واستمر فى اهتمامه حتى انتهى من كتابة مخطوط ظن أنه يمكن نشره. ولكن هذا المخطوط رفضه عدد من بيـوت النشر. وأخيـرا قبلت نشره مؤسسة هاربر Harper، وظهر الكتاب فى فبراير عام ١٩١٤. ولم يمض شهران على هذا التاريخ (أى فى ١٥ أبريل) إلا وقد تزوج الكاتب مـن زوجتـه الأولى وهى امرأة شابة كانت تدعى «جريس ليفنجسـتون هيجـر Grace Living stone Hegger» وقد تركت عملها فى الفوج «Vogue» لتؤسس معه بيـت الـزواج الذى كان فى حى «لونج أيلاند Long Island» بمـدينة بـورت واشـنجتون Port Washington، وكان لويس طوال هذا الوقت يعمل فى منهاتن Manhatten، ولكنه لم يتوقف مطلقا عن الكتابة (فى البيت وفى القطار)، فقد كان يرنو فى شوق زائد إلـى الساعة التى يمكنه فيها أن يكسب عيشه من الكتابة فقط.

كانت قصته (Our Mr. Wrenn) قد طبعت أنيقة، ولكنها لم تصـادف نجـاحا يذكر، ثم كانت قصته الثانية «The Trail of the Hawk» التى نشرت عام ١٩١٥، والتى لاقت نفس الحظ. وفجأة وجد «لويس» أن هذا الوضع قد تغير تماما وذلك عندما قبلت (The Saturday Evening Post) نشر قصته المسـماة (Nature Inc)، وبعد هذه القصة طلبت منه الجريدة ثلاث قصص أخرى دفعت له نظير كل قصة «ألف ١٠٠٠ دولار» لأول مرة فى حياته يصبح له رصيد فى البنك. فاستقال مـن وظيفته فى بيت (Doran) للنشر. وفى ١٥ ديسمبر عام ١٩١٥ بدأ الكاتب وزوجتـه (لأول مرة فى حياتهما الزوجية)، حياة التجول والسفر. فنراه مرة ثانية يتجـول فى أنحاء أمريكا (الولايات المتحدة)، ويمكث فى كل مكان فترة قصيرة. وفى أثناء هذه الرحلات كتب عددا من الصـور الأدبيـة والاجتمـاعية. ونشر أغلبهـا فى بعض الصـحف الدورية الصـغيرة. وكانت أول صورة بعنوان (الأبرياء The Innocents)

فكر لويس فى أن ينشر سلسلة أو واحدا من أردأ كتبه، أما الكتاب الثانى الذى ظهر فى عام ١٩١٧ بعنوان The Job، فيعتبر من أحسن مؤلفاته الأولى. أما قصته الخامسة وعنوانها Free Air فقد نشرت عام ١٩١٩ وكانت وصفا لرحلة خيالية قام بها عبر القارة فى سيارة (فورد). وعندما كان لويس ينهى هذه القصة كان يكتب فى نفس الوقت قصة أخرى، سميت فيما بعد (Main Street)، وقد انتهى من كتابة هذه القصة فى واشنجتون فى أوائل صيف عام ١٩٢٠ ونشرت فى خريف نفس السنة . وفى وسط عاصفة مروعة من السخط من ناحية، واستحسان من ناحية أخرى، انتهت فجأة فترة تمرينه وفجأة أصبح Sinclair Lewis كاتبا مشهورا.

وحين ظهرت قصته (Main Street) أثارت حولها جدلا أدبيا حادا فى أمريكا، كما لو أن موضوعها لم ينشر من قبل. فقد حمل الكاتب على حياة القرية والطبقة المتوسطة والريف الأمريكى، كما وجه اتهامات جارحة لهذه الحياة. ولقد اعتادت القصة فى أمريكا منذ سنوات طويلة أن تعالج الحياة فى القرية وتصفها بأنها حياة مليئة بالغبطة والجمال والسعادة وأن الطبقة الوسطى مملوءة بالعطف والتآلف فيما بينها وأن الريف الأمريكى تعمه البراءة إذا ماقورن بالحياة القاسية والفاسدة الموجودة بالمدن. ولكن ليس معنى ذلك أنه قبل عام ١٩٢٠ لم تكن هناك حالات خرج فيها الكتاب عن هذا التقليد الذى التزم به بعضهم فى الكتابة عن القرية، وحين نشرت قصة (Main Street), اختفت هذه الصورة الجميلة عن القرية فجأة وإلى الأبد. وكل من يعرف لويس من القراء أن قصته هذه تختلف اختلافا بينا عن بقية أعماله السابقة. ولكن إذا نظرنا إلى كل قصصه الخمس السابقة نجد أن هذا الحكم غير دقيق. فكلها تعالج نفس الموضوع تقريبا وكلها تدور حول الرغبة فى الهروب من التقاليد الطبقية الروتينية والتكيف مع العادات إذا لزم الأمر للوصول إلى النجاح. لقد كانت كلها قصصا واقعية فى كل تفصيلاتها ولكن كانت هناك بزة من التفاؤل تميزها عما كان سائدا فى المدرسة الواقعية. لقد كان هذا التفاؤل يشمل المجتمع والناس وهو ما لفت نظر النقاد وأمتع بعض القراء.

تميزت قصصه الأولى بومضات من التهكم اللاذع وإن كانت قصة (Main Street)، قد ظهر فيها التهكم بدرجة أقل. لقد اشتركت القصص كلها فى نماذج الشخصيات مثل شخصيات : المنافق، والملحد القروى، والمثالى المتطلع، وغيرها من الشخصيات، هذا إلى جانب أن الموضوع فى القصص الخمس كان واحدا تقريبا مثل موضوع الشاب الذى يقع فى وسط سفيه فيصطدم به ويهرب منه، ثم يضطر للعودة إليه، كما يضطر أن يهادن الوسط ويتكيف به.

فبطلة قصة (Main Street) واسمها «Carol Kennicott», لم تجد طريقا آخر سوى أن ترضى بمجتمعنا وترضاه. أرادت أن تطبق Gopher Prairie فى ولاية Minnesota، فلم تجد سوى السبل المفتعلة والعاطفية. وقد بدت لبعض القراء المعاصرين وكأنها امرأة مفضلة (فقد كان الكثير من السيدات يلمحن فيها شيئا من الشبه بهن)، وهى ما زالت تبدو كذلك إلى وقتنا هذا. وفى نهاية القصة تنقلب قيما أخلاقية نجدها فى زوجها Doc Kennicott وقد كان يعرف عنه الاخلاص وحب العمل والكرم وإن كان فظا فى بعض الأحيان، كما أنه شديد الشبه بشقيقها الدكتور Claude أو بالأحرى يشبه والده Dr. E.J. Lewis وعلى العموم ينتصر الغرب الأوسط والطبقة الوسطى. وهذا مانلاحظه فى جميع قصص الكاتب.

ولكن قد يكون من الأدق أن نقول إن انتصار الطبقة الوسطى لم يكن إلا نتيجة لصفاتها الحسنة، وإن الصفات السيئة عندها هى التى كانت موضوع الاتهام والمساءلة عند لويس. لذلك نراه بعد قصة Main Street يعكف على التنقيب والبحث فى جوانب هذا القطاع من الحياة الأمركية. وهو قطاع التجار ورجال الأعمال من الطبقة الوسطى. يبحث عن الصفات السيئة التى انتشرت بينهم مثل : النفاق الأخلاقى والاجتماعى، والمادية المتطرفة. إن كلمة (البحث) هى اللفظ الدقيق خاصة إذا كنا نفكر فى الروائى الذى يكتب قصصه على طريقة الباحث الاجتماعى الذى يعد نفسه لكتابة تقرير. إن قصة «بابت» (Babbitt)، تعتبر القصة التى أرست طريقة لويس فى الكتابة على قواعد ثابتة، وهى الطريقة

التى كان يتحرك نحوها فى إصرار منذ اليوم الذى كتب فيه ملاحظاته اليومية وهو على ظهر سفينة نقل الماشية. هذه الطريقة تبدأ حين يختار الكاتب موضوعا أو فكرة فهى ليست أى فكرة أو أى موضوع كما يفعل الكثير من الكتاب، ولكنها عبارة عن مساحة اجتماعية يمكن السيطرة عليها ثم دراستها بشكل منتظم. وتكون هذه المساحة الاجتماعية منتمية عادة إلى الجزء الأدنى من الطبقة الوسطى. ثم (وبيده دفتره) يختلط بهؤلاء الأشخاص الذين سيصبحون فيما بعد محور القصة سواء كانوا فى عربات النوم الفاخرة بالقطارات أو فى عربات التدخين، أو فى أروق فنادق الشوارع الجانبية، أو فى النوادى الرياضية، أو فى آلاف الشوارع الفقيرة المزدحمة. فهو يستمع ويراقب، ثم يدون كل مايسمع وما يرى مع دقة وصف تقاسيم الوجوه والأجسام وخلجات النفوس. ثم يلى ذلك رسم عدة خرائط متصلة منها ماهو متعلق بالمدينة التى تجرى فيها أحداث القصة ليس بشوارعها فحسب، بل بمبانيها كذلك حتى الشقق وما تحويه من أثاث مرتب فى أماكنه الصحيحة. ولم ينس أن يضع فى اعتباره الكلاب التى تجرى فى شوارع المدينة وألوانها وأنواعها. وبعد أن يفرغ من جمع هذه المادة يعكف على كتابة ملخص للقصة، ثم يعيد كتابة هذا الملخص مضيفا إليه بعض التطوير ليصبح (مشروعا) كما كان يطلق عليه، ثم يعيد كتابة هذا المشروع بعد أن يدخل عليه الكثير من التفاصيل والوصف.

ثم يلى كتابة المسودة، ثم يكتب (نسخة) أخرى بعد أن يدخل على المسودة بعض الحذف والاضافة والتعديل. ثم ينتهى إلى الصورة النهائية للقصة التى تصبح صالحة للطبع والنشر. وبرغم أنه جاب الولايات المتحدة طولا وعرضا فى عامى ١٩٢٠، ١٩٢١ مستمعا وناظرا، فإن فكرة قصة (Babbitt)، كانت دائما تدور فى خياله.

ومرة أخرى نجد أن قصة (Babbitt)، التى نشرت عام ١٩٢٢ كانت السبب فى إغراق آلامه فى بحر من المنازعات الأدبية. فقد بدت القصة جديدة من كل الوجوه

لا مثيل لها فى الأدب الأمريكى من قبل، ولكن بدا للكثيرين أن الهجوم على الفضائل الأمريكية كان قاسيا وغير عادل، بل ولا مبرر له وقداتهم الكاتب فى طول البلاد وعرضها بأنه شرير وخائن، وإن كان آلاف الآلاف من الأمريكيين اشتروا هذه القصة. أما فى أوربا فقد قالوا «لقد ظهر أخيرا رجل أمريكى يقول الحقيقة الكاملة والمرعية عن الثقافة فى هذه البلاد التعيسة».

لقد كان هدف لويس من هذه القصة كما قال نفسه «أن يصور حياة شخصية فى القصة على مدار الأربع والعشرين ساعة. ابتداء من رنة جرس إلى أن يرى المنبه مرة أخرى». ولقد فعل ذلك فى السبعة الفصول الأولى. أما السبعة والعشرين فصلا التى تلت ذلك، فقد خطط لها الكاتب كى تعطى القارئ صورة عن المجتمع الذى تعيش فيه الطبقة الوسطى الأمريكية من شتى النواحى: السياسية ـ أوقات الفراغ ـ حياة النوادى ـ قوانين الجمعيات التجارية ـ البناء الطبقى ـ الاتجاهات والأفكار الدينية ـ العلاقات العمالية ـ الزواج ـ العائلة. كما أن الكاتب لم ينس أن يصف الأماكن القليلة الأهمية مثل: محال الحلاقة والحانات. وعلى ذلك فليس بالقصة حبكة تضم ثم توجد بين هذه الصور سوى ما نراه من تحركات George Babbitt «بين هذه الصور ابتداء من سخطه، ثم ثورته، ثم تقهقره. ثم استسلامه».

إن الأدب الأمريكى عرف قصص المال والأعمال والتجارة من قبل. كما شاهد الأدب الأمريكى كتابا مثل: Wharton و Sinclair و Herrick و Phillips و London و Howells و James و Dreiser و Poole و Tarkington، وكلهم ركزوا أيضا على رجل الأعمال، وكانت عندهم التجارة والأشغال المالية ترادف الفساد الأخلاقى. فعالم المال هو عالم التنافس الوحشى والعداء القاتل والجريمة. أما الواقع الذى يكمن وراء رجل الأعمال فهو حبه للقوة والمال والشهرة الاجتماعية. وقد صوروا رجل الأعمال فى قصصهم على أنه رجل الصناعة القوى، والمضارب الخبير بالأسواق، الماكر الذى يملك المؤسسات الكبيرة وكل اهتمامه منصب على الانتاج.

بعد الحرب العالمية الأولى كانت شخصية رجل الصناعة الكبير فى نظر الكتاب هى الشخصية الدرامية الكبرى فى دنيا الأعمال. أما قصة (Babbitt) فهى قصة رجل الأعمال الصغير: السمسار (الوسيط)، وإن كانت أخلاقياته لا تختلف كثيرا عن أخلاقيات رجل الأعمال الكبير والواسع النفوذ، إلا أن عيوبه لا تدعو إلى الدهشة فهو ليس هذا الدكتاتور الذى يملى إرادته على الجميع. إنما هو على استعداد لقبول الحلول الوسطى والتراضى، وهو لا ينتج بنفسه وإنما يعتمد فى نجاحه على العلاقات العامة مع الآخرين، فهو إذن لا يتحكم وإنما يشترك مع الآخرين طلبا للأمان، ويتقدم معهم ويضحك معهم ويسخر من الفوارق. ولذلك اعتبرت قصة (Babbitt) القصة الأولى فى هذا الاتجاه. فقد كانت القصص من قبل رزينة جادة تدين بصورة درامية الشخصية الشريرة المعتدية، أما هذه القصة فهى صورة تهكمية تسخر من مجموعات الناس السذج والبسطاء والمهرجين وهؤلاء وإن كانوا خبثاء فإنهم يبعثون على الضحك.

إن مقدرة الكاتب لويس على تقليد اللهجات الأمريكية بشكل هزلى وجدت مجالا لها فى قصة (Babbitt) أكثر من أى عمل آخر سابق. فقد جاء خطاب Babbitt فى الاجتماع السنوى لمجلس إدارة شركة Zenith للأراضى دليلا قاطعا على هذه المقدرة العجيبة. وبهذه القصة بدا للكثير من القراء أن لويس أصبح أشهر كاتب للرواية فى أمريكا. فقد كتبت المقالات وكلها ثناء على عمله، غير أنه لم يهتم فى كل هذه المقالات إلا بما نشرته «ربيكا وست Rebecca West» فى مجلة New Statesman، حيث قالت: «إن القصة تتضمن شيئا غريبا ممتازا لم يطاوله أحد من قبل. هذا الشىء هو الذى يخلق الفن، ذلك إنك ترى شخصية الكاتب خلف كل سطر»، وبعد أن أشارت إلى أجزاء من خطب Babbitt العامة، راحت تقول: «إن هذه الخطبة تشبه خطب والت هويتمان Walt Whitman البارز عظام الرأس.. فهى محشورة كأوزة عيد الميلاد، محشوة بالسخيف من الصور وكلام الصحف والبلاغة الرخيصة، ولكنه كان شديد الاعجاب بما يراه فى بنى وطنه من قوة الخلق والابتكار، وقدرة بلاده على تحمل عبء هذا العدد الكبير من الناس

إلى مالا نهاية.. إن هؤلاء الناس قد منحوا حيوية ضخمة ستدفعهم يوما ما إلى مجالات كبيرة من الخيال. وإن هذا الجهاز الضخم من الأعمال التجارية والمالية سيصبح حتما قوة ضخمة خلف نزوعهم إلى الطموح».

وطبعا كانت هناك أصوات تعارض القصة. فمنهم من كان يشك فى أن النشاط والحياة التى كان تعمر بهما القصة، لم تكن سوى حيوية ونشاط الكاتب نفسه حتى أننا نجد الناقد Gilbert Seldes، حين أراد أن يمتدح القصة نراه فى الحقيقة يقول: «إن خيال الكاتب قد فشل فى خلق مؤسسة تجارية رقيقة الذوق، وعلى الكاتب أن يعيد كتابة القصة بعد أن يراجع نفسه» إن سبب اختلاف الرأى حول القصة كما فسرها البعض إنما يرجع إلى خلوها من الأخلاقيات فيما عدا هذا الجزء الذى كان Babbitt يتمتع به، حتى أن البعض ذهب إلى القول بأن Babbitt، هو نفس لويس وأن جمهور القصة وهم الذين كان يسخر منهم ويتهكم عليهم الكاتب كانوا يرون فى لويس الحليف، وليس العدو والأخ وليس المعلم. إذا كان المجتمع الذى عاش فيه George Babbitt قد برهن على أنه أقوى من Babbitt، فإننا نجد بطل لويس فى القصة التالية هو الأقوى. حتى أن بعض النقاد قالوا: «إن هناك جديدا عند لويس قد ظهر». فقد سمحت قصة (Arrowsmith) التى نشرت عام ١٩٢٥ أن تسود المثالية فلم يعد رجل المثالية رجلا وحيدا. فنرى إلى جانب Martin Arrowsmith آخرين أمثال Gottlieb و Sondeluis و Terry Wickett وغيرهم. كما نجد فى القصة من يقول الصدق وكذا العالم المخلص لعلمه والذى يقبل المساومة على أساس تجارى أو يرضخ للضغط من معهده. وإذا كان هؤلاء فى نهاية القصة قد اضطروا إلى الانسحاب إلا أن مبادئهم قد انتصرت.

لم يكن فى نية لويس أن يكتب قصة تدور حول مهنة الطب بعد قصة Babbitt، ولكن حدث أنه عندما كان يجوس خلال الطبقة الوسطى ليجمع الأبحاث التى تساعده على كتابة قصة عن (العمل والعمال)، وهذه الفكرة كانت تراوده منذ شبابه، حدث أن تقابل مصادفة فى شيكاجو، مع شاب يعمل فى (معهد روكفلر) منذ

وقت قريب، وكان هذه العامل فى وظيفة باحث فى علوم الطب. وكان معهد روكفلر هذا فى نيويورك كان هذا الشاب واسمه Paul de Kruif فى شيكاجو، وقد جرى بين الكاتب وبينه حديث حول إمكانية كتابة قصة تعالج الفساد السائد فى مهنة الطب والبحث الطبى، فشدت الفكرة خيال الكاتب وانتباهه. لقد كان أبوه وشقيقه طبيبين، كما كان له عمان طبيبان أيضا، وكما سبق له أن كتب عن شخصية طبيب القرية. ولكن لم يسبق أن أتيحت له الفرصة ليكتب عن الطب بشكله الواسع، بالرغم من أن هذه الفكرة كانت موضع اهتمامه باستمرار. سافر الاثنان إلى منطقة البحر الكاريبى حيث وقعت أغلب أحداث قصة (Arrowsmith) ثم ذهب الاثنان «لويس و de Kruif» إلى انجلترا، حيث بدأ فى كتابة القصة. وربما تكون هذه القصة هى التى ارتاح إليها ارتياحا كبيرا أكثر من أى قصة أخرى سبقتها أو جاءت بعدها. ففى هذه القصة أطلق لويس لنفسه الحرية المثالية التى كانت فى أخلاقه. وهو الذى لم يستطع أن يفعل ذلك فى قصصه السابقة بسبب اختلاف الفكرة. وأمام هذه المثاليات تجد نفس الأخلاقيات المضادة وروح التهكم والسخرية منها كما جاءت من قبل فى أعماله السابقة. نرى الغضب الاقليمى، والنفاق، والمساومة، والحفاظ على نشاط المؤسسة، والغرور والروح التجارية، كل هذا كان موجودا فى القصة، وكان ظهورها على هذه الدرجة لا يرجع إلى وقوفها أمام أضدادها، ومن ثم أعطيت تجسيدا أكبر، ولكن السبب فى إبرازها على هذا النحو إنما يعود إلى أنها أصبحت جزءا من نسيج القصة هى فى حد ذاتها مثيرة بل أكثر إثارة من أى قصة أخرى كتبها س. لويس هذا بالاضافة إلى أن القصة قد ضمت بطلة وهى زوجة مارتن Martin واسمها ليورا Leora لقد تلطف الجميع معها وهو أمر لم تحظ به «Carol Kennicott».

لقد قوبلت القصة بالترحيب فى كل مكان عدا بعض الأصوات الساخطة التى كانت تسمع من عدد قليل من الأطباء. كما أن مدرسا إنجليزيا شابا قد انتقدها (كان هذا المدرس مغمورا)، وكان يعيش فى بلدة Evanston فى مقاطعة Illinois قال عنها إنها قصة خيالية من الحياة مليئة بالسفسطة ساخرة ومبتورة. وإذا كانت

القصة فى بعض أجزائها تتهم بالسذاجة فإن «هــوثرن Hawthorne ، وهــويتمان Whitman ، ومارك توين Mark Twain » قد تعرضوا أيضا لنفس الاتهــام. هــكذا جاءت قصة (Arrowsmith)، تمثل أمريكا فى سذاجتها وبنفس القدر فى عــظمتها. فلقد كتب النقاد عنها أكثر القصص « أمريكية » (ذات الطابع الأمريكى) وأنها وإن لم تكن أجمل القصص المعاصرة فإنها وصلت إلى أعماق الحياة اليومية. ولــذلك لم يكن من الغريب أن جذبت هذه القصة اهتمام المسئولين عن جــائزة Pulitzer على عكس كل ما سبقها من قصص. ومن هنا أصبح لــويس شــخصية عــامة. مشهود له بنكران الذات وعدم الأثرة فلم يكن غريبا أن نراه وقــد رفض قبــول الجائزة حتى أنه أعلن رأيه فقال: «إن هذه الجوائز تضع قيودا على الــذوق». وسواء أكان لويس مراوغا فى هذا الرأى، أو أنه حاول إنزال العقــاب بــالقائمين على الجائزة لأنهم لم يعطوها له على قصة (Main Street) أو قصة (Babbitt) فإن الحقيقة تبقى دائما وهى أن الدعاية التى نالها برفضه الجائزة كانت أكبر كثيــرا من أية دعاية كان سينالها فى حالة قبوله للجائزة. ولكن كانت القصتان التــاليتان سببا فى النكسة التى أصابت شهرته المتصاعدة كرجل مثــالى فجــاءت القصــة الأولى منهما تافهة ولا تزيد عن أى قصة يكتبها صحفى مبتدئ. وقد نشرت هذه القصة عام ١٩٢٦، وكان اسمها Mantrap ، وهــى عبــارة عــن وصــف لبعض المغامرات التى تبعث على الضحك وقعت أحداثها فى شمال غرب كندا. أما القصة الثانية والتى نشرت عام ١٩٢٧ فكانت بعنوان Elmer Gantry وكانــت مفــاجأة أخــرى. فقد كانت أكثر قصصــه إثارة للجدل، وأشــدها هجوما علــى المعــايير الأمريكية. كانت قصة (Elmer Gantry)، تعالج الحياة فى المنطقة الفقيرة للكنيسة الانجيلية، وقد اختار الكاتب مدينة «كانساس Kansas » لتكون ميدان بحثه، حيث تعرف على العديد من رجال الدين من كل ملة، ومن كل مذهب، وخرج فى النهاية من كل ذلك بقصة هى فى الحقيقة أشد قصصه تهكما أليما وسخرية موجعة.

كما فشلت القصة فى إظهار الجانب الايجابى للقيم الأمريكية. وكأغلب قصص لويس، كانت هذه القصة عبارة عن سرد تاريخى لا يتضمن صراعا أساسيا تــدور

حوله حركة القصة. وهى مقسمة إلى ثلاثة أقسام وكل قسم يكاد أن يكون مستقلا عن الآخر.

ففى القسم الأول نجد أن الأحداث التى تمر «بالمار Elmer»، زاهية اللون.

أما فى القسمين الآخرين، فنجده وقد تهدمت منزلته بسبب علاقته بامرأة، ولكنه يخرج فى النهاية منتصرا. فى القسم الأول نتعرف على تربيته الدينية ثم ترشيحه عضوا فى الكنيسة. ثم نراه يلقى موعظته الأولى من فوق المنبر، ثم هروبه من Lulu.

أما القسم الثانى، فيصف حياته كمبشر مع Sharon Falconer العجيبة.

أما القسم الثالث، فيصف للقراء تجربته مع الأفكار الجديدة ثم تحوله إلى (المذهب البروتستنتى)، وفشل زواجه من Cleo، ثم هروبه من Hettie، بعد أن هددته بفضح أمره. ولا ينبغى أن نأخذ الدور البارز للشهرة الجنسية الصريحة فى Elmer Gantry إلا باعتبارها جزءا لا يتجزأ من وحشية Elmer، وأنها أيضا جزء من المحيط الذى كان يعيش فيه. ولقد ركز المؤلف على العلاقة الجنسية بشكل أقوى من أى علاقة أخرى فى القصة، لأنها كانت العنصر الأساسى فى الامتعاض والاشمئزاز الذى كان لويس يشعر به عندما بدأ فى خلق هذا العالم المنحل.

كانت القصة تشتمل على قلة من الشخصيات الخيرة ولكنها كانت جميعا تحوم حول موضوع القصة ولا تدخل فى صلبها مثل شخصية Frank Shallard القس المخلص القوى الايمان. وقد كان الكاتب لا يسمح لهذه القلة الدخول فى حركة القصة، أو أن يعارضوا بشكل مؤثر فعال الشخصيات الكبرى وخاصة Elmer Gantry، الذى يمكن القول عنه بأنه واحد من أكبر الحيوانات المتوحشة فى الأدب. فإن الكاتب حينما كان يسرد تاريخ حياته تفصيلا، إنما كان يبين حالة الانحلال الدينى فى الحياة الأمريكية فى كل المذاهب.

إن عالم Elmer Gantry ، هو عالم الموت الكلى، عالم مملوء بالأشباح التى لا ظل لها. لهذا جاءت القصة لتعطينا بشكل أو بآخر صورة لشخصية لويس غير الصافية، إن المرء يستطيع أن يقول بأنه بالرغم من أن القصة قد لاقت استحسانا كبيرا، أكبر من أى عمل آخر للمؤلف، وقت أن نشرت برغم أنها تحولت إلى عدة قصص سينمائية لأفلام واسعة الانتشار الآن، إلا أنها مازالت قصة مهملة لم تأخذ ما تستحقه من تقدير كأى عمل كبير كتبه لويس. لقد أيقظت القصة وموضوعها داخل لويس نفسه رغبة كانت نائمة نحو الخيال الجامح، بالاضافة إلى شعور مدمر لما ستكون عليه التجربة الانسانية من فقر. لقد نجحت القصة فى وصف هاتين الحالتين المتباينتين.. فانظر إلى هذا المنظر الذى يبدو وكأنه طيف، وتظهر فيه Sharon وهى تسلم نفسها إلى Elmer ، وهى تنشد دعاء كنائسيا أمام المذبح مع جميع آلات الاخصاب (لقد أزفت الساعة أيتها العذراء والأم «هيرا» والأم «فريجا» والأم «عشتار» والأم «إيزيس» والأم «إسبريت» المخيفة ذات الأذرع المتشابكة. أنا راهبتك أعلن بعد هذه القرون العمياء والسنين المظلمة للعالم أجمع أنك إله واحد، وأنك تظهرين من خلالى، وعند ظهورك يتجلى السلام والحكمة وسر الكون وميدان التفاهم.

أيتها الآلهة يا من حنوت علىّ، ووضعت أصابعك الخالدة على شفتىّ، خذى أخى هذا إلى قلبك، وافتحى عينيه وحررى روحه من القبر، واصنعى منه إلها حتى يحمل معى هذه الرؤية التى كان العالم يلهث من أجلها لآلاف السنين الحزينة.. أيتها الوردة الغامضة.. يا زهرة الزنبق العجيبة.. يا لها من وحدة عجيبة. أيتها القديسة آن ويا أيتها الأم العذراء انظرى، أنا له وهو لك وأنت لى..

إن هذه المبالغة السخيفة فى هذا المنظر قد أكدت وجودها بسبب غياب الاعتراف المخلص بحاجات الانسان، أو بإنجازاته، وإن هذا التشويه والتخريف فى التجار الجنسية والدينية، قد ارتبط مع مزاج دينى أثناء حفلات المجون، هذا المزاج الذى تخلل كل أجزاء القصة.

ولكى نكمل الناحية الدرامية فى هذه القصة، علينا أن نضع هذا المنظر الفظيع الذى يثير السخرية بجانب منظر آخر، جاء من قبل وهو منظر بسيط ساذج لا شائبة عليه بالمرة. فى هذا المنظر يرى واعظ عجوز معتزل واجم ومعه زوجته، وهما يستعدان للنوم بعد خمسين عاما من الزواج، وكل تجربتهما الزوجية تنحصر فى أن يتذكرا «الفرس العجوز»: «ليتك كنت دخلت السياسة. ليتنى كنت قد دخلت ولو مرة واحدة بيت أحد أعضاء مجلس الشيوخ فى رداء أحمر قان، وحذاء ذهبى، بدلا من اللباس الخشن، ومسح أرضيات المنازل، وسماع موعظتك فى الحظائر وإلى هذه الفرسة التى كانت عندنا لسنوات طويلة، ولكن يا إلهى ما أطول السنين التى مرت على موتها.. نعم سبع وعشرون سنة كاملة.. لماذا لا نرى فى الدين سوى المعتقدات التى نعرفها عن طريق التجارب..؟ إنى أعوذ بالله.. لا تعد علىّ هذه العبارة مرة ثانية، إنى أعتقد أن ذلك مستحيل. وسبعة وعشرون عاما، وكنا نملك هذه الفرس العجوز. يا إلهى كيف كانت ترفس وتكسر العربة..» ثم يذهبان للنوم.

إن هذين المنظرين يتم أحدهما الآخر. وهما فى النهاية صورة تابوس عظيم لعالم خال تماما من القيم الانسانية وبدون انفكاك رسم يقصد السخرية والتندر من الحقيقة. لقد صودر الكتاب فى ولاية بوسطن، ورفض أصحاب المكتبات عرضه، وأعلن باعة الكتب أنهم سوف لا يقدمونه للبيع. كل ذلك كان فى صالح الكتاب لأنه اكتسب بذلك دعاية ضخمة لم يدفع الناشر تكلفتها.

إن أخبار الكتب الروائية تأتى عن دور النشر، أو ما ينشر عن المؤلف، لقد أعلنت مجلة Transcript أنه: «ليس من الخطأ كما أنه ليس من الظلم أن نتهم لويس بأنه أكثر الناس أنانية فى العالم الآن، وفى ولاية فرجينيا حضر المؤلف حفلا. وكان حفلا لشنقه. إذ اقترح أحد رجال الدين فى هذا الحفل بأن يحكم على المؤلف بالسجن خمس سنوات، وهذا جزاء معقول جدا». كما ازدحم صندوق بريده بالخطابات الساخطة. وأمام إحدى الجمعيات الدينية الكبيرة فى نيويورك

أعلن أحد القساوسة البروتستانت بأن : «الكنيسة البروتستنتية تشعر تماما بـأنها هدف للكراهية النابعة من القلب ليس فقط من الـطبقة التـى يمثلهـا لـويس والجمعيات الشاذة، بل أيضا من الجماعات الشريرة مهما كان نوعها أو اسمها».

ولكن .. وبعد عدة أسابيع جاءت نتيجة التصويت الذى أجراه طلبـة السـنة النهائية بجامعة نيويورك لتثبت أن لويس هو الكاتب المفضل عندهم. وقد جاء فى مقال نشرته جريدة Ohio أن نزاعا قام فى بيت Leo Robert مـدير عـام (شركة بوبرت) للفحم والتوريد، بسبب أن الزوجة حضرت إلى المنزل ومعها نسخة مـن قصة لويس Elmer Gantry فأخذها الزوج وأحرقها لأنـه رأى أن القصـة غيـر جديرة بالقراءة، هذا كما جاء على لسان الزوجة أمام قاضى (محـكمة Bostwick) متهمة زوجها بالجنون، وقد حكم القاضى على الزوج بـالراحة لمـدة قصـيرة فى إحدى المصحات الخاصة. وعلى أثر ذلك طلبت زوجات القساوسة الـطلاق مـن أزواجهن على أساس أن كلا منهم عبارة عن الـكاهن Elmer Gantry الـزانى، وحتى إن بعضا من القساوسة طلب أن يحقق مع زمـلائه الـذين لهـم عـلاقة بالمرتلين والمرتلات، وفى عام ١٩٢٧ لم يتضافر رجال طائفة ما مع الناشر قـط، كما تضافر القساوسة من كل مذهب وعقيدة. طبعا كانت القصة موضع الادانـة على وجه العموم، فانهالت عليها الصفات بالسباب مثل : منحطة. جبانة. مسمومة. غير أخلاقية. سيئة. قذرة. إلخ حتى قال عنه القسيس Billy Sunday : إن لـويس هذا فيلق من الشياطين؛ ولكن كانت هناك بعض الأصوات الهـادئة مـن بعض القساوسة التى ترى أن Elmer Gantry، كان شيطانا فى ذاته أما القصة فهى دواء لحالة كانت تعانى منها، ودواء لبعض الأمراض.

وبقدر ما أشاد بعض القراء بالقصة، نجد أن بعضا منهم قـد أدانهـا بنفس القدر، ومرة أخرى أقبل آلاف من القراء على شرائها حتى أن .Mencken اعتبرها واحدة من أكثر القصص تهكما وسخرية، والتى تصلح لكل الأزمنة حتى أنه قارن لويس بالكاتب الفرنسى فولتير Voltaire.

ولكن كانت هناك بعض النكسات. فقد انهار فى هذا الوقت الزواج الأول للويس ونشاهده يجوب أوربا بمفرده باحثا عن موضوع جديد فى حين كانت القصة تقابل بالتصفيق والاستحسان فى أمريكا. لقد وجد موضوع قصة لرجل واسـع الثـراء والنفوذ يدعى Samuel Dodsworth ولم يكن سعيدا فى زواجه، فراح يجوب أوربـا حيث تعرف إلى امرأة من الطبقة العليا وأصبحت زوجته الثانية. وهـكذا فعـل لويس نفس الشيء، حين قابل فى برلين امرأة جميلة ذات مركز ممتـاز تسـمى Dorothy Thompson وكان يقول عنها الناس إنهـا أشـهر صـحفية فى أوربـا فأصبحت زوجة لويس الثانية.

ترك لويس قصة Dodsworth دون أن يفرغ منها ليزيد علـى قصـة صـغيرة وقصيرة لتصبح كتابا كاملا كانت هـذه القصـة بعنـوانThe man who knew Coolidge وكان قد نشرها من وقت قريب فى مجلة The American Mercury ولكنه لم يضف جديدا إلى شهرته بهذه القصة. تزوج فى لندن فى ١٤ مايو عـام ١٩٢٨ وعاد مع زوجته إلى الولايات المتحدة وهناك فرغ تماما من (قصـة Dodsworth) عام ١٩٢٩. لقد جاءت هذه القصة لتطمئن القراء على أن المؤلف رجل كريم فقد صب تهكمه على زوجه Dodsworth الأولى فى حين جعل الزوج وكل ما فيه مـن الفضائل المتينة للطبقة الوسطى الأمريكية، كما جعل شخصيته مليئة بـالجاذبية. وتفادى فى هذه القصة التضاد، حتى لا تكون هناك مجادلة لقد ظهر بكل وضـوح ما كان يعتقد فيه لويس ويخفيه بين حنايا قلبه الحزين، وهو الاعتماد على النفس والأمانة والصراحة والتواضع المحترم، والعيش بشرف ونـزاهة، حتـى فى أقسى الظروف.

هذه القصة لا تختلف كثيرا عن سابقاتها، من حيث النسيج، وطريقة التنـاول. رجل تتراءى له رؤيا جميلة خلف تفاهات الحقائق، وعـادت الحيـاة. وهـو الآن يستطيع تحقيق هذه الرؤيا: أما الفارق بين هذه القصة وغيرها مما سبق فهو أننا نلاحظ أن التهكم فى هذه القصة قد تغير وضعه. فنرى أن الكاتب فيما سبق مـن

قصص كان يتهكم على الطبقة الوسطى بماديتها وكبريائها المـزيف وتعصـبها الاقليمى المعتدى، ثم فى الوقت نفسه يرضى عن تصرفات القادمين مـن الخـارج أمثال : Paul Riesling و Carol و Arrowsmith و Shallard. أما فى هـذه القصـة فقد انقلب الكاتب ضد من كانوا ينقدون الطبقة الوسطى، وتهـكم علـى هـؤلاء النقاد، وقدم إلى قرائه شخصية Frank Dodsworth وأظهر رضاه عـن تصرفـات الطبقة الوسطى كما اتضح فى شخصية Sam.

وفى هذه القصة نلاحظ أن لويس ولأول مرة يتعامل مع مادة ليسـت جـديدة. فكثير من القصص السابقة كتبت عن الأمريكيين فى أوربا. أما الجـديد هنـا أن الكاتب قد تعامل مع الطبقة الوسطى بكثير من التعاطف مع مبادئها الأخلاقية. لم يدرك أحد من النقاد المعنى الكبير للآثار التى تركتها قصة (Dodsworth) علـى حياة الكاتب الفنية، والحياة الأدبية الحديثة فى أمريكا. فبين عام ١٩١٨ وأوائـل فترة الركود الاقتصادى فى الثلاثينات عمت أمريكا ثورة غيرت مفـاهيم الحيـاة الأمريكية وعاداتها وأخلاقياتها ومثلها الفكرية العـالية. وليس مـن شـك فى أن القصص التى كتبها لويس مثل قصة (Main Street) وقصـة (Babbitt) وقصـة (Arrowsmith) وقصة (Elmer Gantry)، قد لعبت دورا من المحتمـل أن يـكون رئيسيا فى الجانب الأدبى وفى إحداث هذا التحول. ففى قرب نهـاية العشرينـات انقسم الكتاب فى أمريكا فى تبنى فكرين : فكر يشبه فكر «Scott Fitzgerald» الذى يحاول أن يوازن بين معنى العبث من وراء المجهود، وبين ضرورة الكفاح، وأمـا فكر الكتاب (الراديكليين) الشبان الذين وجهوا كتاباتهم نحو الحركات الاجتماعية، «بروليتارية»، وقد ظهر هذان الاتجاهان عند الكتاب من كلا الجـانبين. فنجـد الفكر الأرستقراطى المنهك فى كتابات «Fitzgerald»، وواضح أيضا عند مـدرسة النقد المسماة «New Humanism» والفكر الثورى للطبقة العـاملة الـذى ظهـر بوضوح فى «New Masses» وعدد آخر من الكتب، أما لـويس فقـد رفض هـذا التطرف من الاتجاهين، بل عاد ليؤكد تمسكه بقيم الطبقة الوسطى، والتـى كان كتاب العشرينات من الشـبان قد حطموهـا. لقـد كان لويس الذى كتـب قصـة

(Babbitt) أكثر منه لويس الذى كتب (Dodsworth) وهو الذى دفـع الأكاديميـة السويدية إلى أن تمنح Sinclair Lewis جائزة نوبل فى نهـاية عـام ١٩٣٠، وكان بذلك أول كاتب أمريكى يحصل على هذه الجائزة فى الآداب. لقد جـاءت هـذه الجائزة (ومن المحتمل أنه لم يتوقعها) بعد أن ولد له ابنه الثانى Michael مـن زوجته الثانية فى منتصف تلك السنة. لقد بدأ الأوربيون ينظرون باستحسان متزايد لكتاب القصص الأمريكيين مثل Sinclair Lewis، وخاصة من كانوا ينتقدون الحياة الثقـافية الأمـريكية أمثـال Jack London و Upton Sinclair و Edith Wharton و Sherwood Anderson، وهؤلاء كانت كتبهم تقرأ على أنها قصص إلى جـانب كونهم نقادا اجتماعيين وخاصة فى السويد.

لم يكن من المستغرب إزاء هذه الظروف أن يظهر لويس على أنه زعيم هـذه الفئة من الكتاب، خاصة وأنه كان أشدهم نقدا، وكتاباته أكثر تفصـيلا كمـا أن دافعه للكتابة كان حبه لوطنه على ما يبدو. لقد كان يتزعم نوع الكتابة الأدبيـة المثيرة كأى شىء مثير فى الدنيا، كما تميزت كتابته بنقدها للحياة «الثقـافية» فى أمريكا غير أنها لم تغفل توضيح جوانب النضوج فيها.

لقد بلغ نقد «لويس» أوجه فى الخطاب الذى ألقاه فى استوكهلم فى اليوم الثانى عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٣٠، وكان عنوان الخطاب (The American Fear of Literature) فقد كان هجوما على الأساليب الأكاديمية والرقيقة فى النقـد، التـى كانت آخذة فى الأختفاء فى هذا الوقت «إن أساتذتنا الأمريكان يشبهون كتـاباتهم الأدبية أنها كتابات واضحة ونقية ولكنها باردة وميتة» كما أنه وجه اللوم (ظلما)، «لوليم دين هولز William Dean Howels»، وشهرته المستمرة (وكان هذا الأخير كريما معه عندما قابله عام ١٩١٦. وكانت هذه المقابلة هى الأولـى والأخيـرة بينهما. كان كريما معه فى الوقت الذى كان فيه لويس كاتبا مغمورا). كما انتقـد الرعاية الرسمية للحياة الأدبية فى أمريكا من جانب بعض الجهات مثل أكاديميـة الفنون والآداب. ثم تحول بعد ذلك إلى مدح جهـود الـكتاب المنشـقين مثـل

«Theodore Dreiser و Sherwood Anderson» ولفت أنظار الأوربيين إلى مجموعة كاملة من الكتاب الأمريكان الناشئين والذين لم يكونوا معروفين خـارج أمـريكا بالمرة. والخطاب لم يخل من بعض المغالطات والأحكام الظالمة وإن كان قد كتب بروح متسلطة وهذه الروح هي التي جعلت من لويس فى هذا اليوم ومـن هـذه السنة (على حد تعبير Walt Whitman) «الحاكم الأدبى على عرش الحياة الأدبية فى الولايات المتحدة».

إذا كان (حصول لويس على جائزة نوبل) يعتبر حادثا تاريخيا بالنسبة للكاتب نفسه فإنه يعتبر كذلك بالنسبة للأدب الأمريكى الذى وضع على قدم المساواة مع بقية الآداب العالمية الاخرى.. وأنه أظهر للعالم الروح الجديدة التى ظهـرت فى أمريكا، ولم تكن معروفة منذ عشرين عاما، وإن كانت أوروبا لا تـزال متـرددة فى الاعتراف بها حتى الآن.

أصبح لويس فى ديسمبر عام ١٩٣٠ أكبر من الشخصية التى كان معروفا بهـا فى بلاده أصبح شامخا. وله الحق أن يكون، وقد كان فخورا بذلك لأنه تساوى مع ثلاثة من العلماء البارزين فى العالم.

وفى أوائل عام ١٩٣١ وقـد كان فى برلين. فقد كتب لويس فى لحظـة اسـتياء إلى ناشره Alfred Harcourt مدير شركة «Harcourt Brace & Company» بمدينة نيويورك بأنه يرى قطع علاقاته مع الشركة، لانها وقد فتر اهتمامها بكتبه، لم تعد تستطيع أن ترتفع إلى مستوى المناسبة العظيمة (مناسبة منحه جائزة نوبل)، وقد دعاه إلى الشعور بأن الشركة لا تكترث بأعماله، اعتقاده بأن الشركة لو اهتمـت قليلا بالاعلان عن مؤلفاته لهذه المناسبة الكبيرة لارتفع رقم البيع إلـى أرقـام فلكية. والأدهى من ذلك وقوف الناشر «Harcourt» مكتوف اليدين إزاء ما نشر من ملاحظات الاحتقار والاستهجان عن أعمال لويس فى الصـحف الأمـريكية، فلـم يحاول الرد عليها بهجوم مضاد، وهو الكاتب الذى كانت الصحافة الأوربية تخطب وده «إذا لم تكن قـادرا على أن تنتهز هـذه الفرصـة لدفـع كتبى إلى الامـام

ومساندة شهرتى بذكاء، وإنى لا أستطيع أن أهيئ لك مرة أخرى فرصة كهـذه».
أما الناشر فلم يرد على اتهاماته بل أعفاه من كل التزاماته قبل الشركة. ولـربما يكون الناشر قد رأى أن الانفصال قد حان وقته المنطقى. لقد انتهى الوقت الذى تمكنت فيه الشركة من رفع شهرة لويس إلى آفاق عـالمية وكذلك انتهـى العصر بالنسبة للويس الذى كانت مؤلفاته تستطيع فى أن تجعل مـن شركة (Harcourt & Brace) مؤسسة قوية وغنية. لقد تمكن لويس من فرض آرائه علـى الحقـائق فى أمريكا حتى وصل تأثيره إلى الذروة منح هذا الشرف العظيم. ولكن هذه الحقبـة قد انتهت فالزمن يسير ويتقدم دون توقف تاركا «لويس» خلفه. فربما كان شعوره بعدم قدرته على مسايرة الزمن من وراء استيائه من الناشرين، كان من الممـكن أن تستمر مؤلفاته فى التداول، وأن تدر عليه الأموال، وأن يكون لديه غيرها ينشر. ولكن لن نستطيع البقاء فى كشوف الامتياز عند الناشرين. لقد جاءته (جائز نوبل) فى الوقت المناسب تماما. هذا الوقت الذى كان فيه «لويس» الكاتب الجـاد قـد انتهى. لقد أصبح الآن فى السادسة والأربعين من عمره وبلغت مـؤلفاته اثنتـى عشرة رواية. وبقى له عشرون عاما أخرى وعشر قصص أخرى. إن مـن عـاداته شرب الخمر، وكانت تسبب له بعض المتاعب. لقد أصـبحت الآن هـذه العـادة مشكلة حادة عليه طول العشرين سنة. لقد فشل فى زواجه الثانى كما قتـل ابنـه الأول فى الحرب العالمية الثانية. أما ابنه الثانى ـ وكان أطول وأقوى وأكثر أناقة من أبيه ـ فقد جذبته حياة التمثيل وصار ممثلا ناجحا. إن لويس أصبح رجـلا قلقا لا يستقر له قرار، يتنقل من مؤسسة إلى أخرى ومن بلد إلى بلد فى العـالم. يشترى البيوت الفخمة ليعيش فترة قصيرة (شهرا ـ شهرين ـ سنة أو سـنتين على الأكثر)، ثم يتركها بعد أن يبيعها بثمن زهيد وبخسارة كبيرة ليـرحل مـن جديد وراء أمل فى وجود مكان أفضل. لقد كان لويس كشخصياته التـى خلقهـا يجرى وراء حلم العيش فى مكان سعيد وحياة أرغد. وفى لحظة من لحظات الصراع النفسى العاطفى أخذ لويس يبحث عن السلوى بين النساء، ومعهن خاصة اللائى يصغرنه سنا، وبين الممثلات الشابات، وكان ذلك إبان فترة زمنية شـغف فيهـا

بالمسرح، حتى أنه قام بأداء بعض الأدوار التمثيلية. وفي عام ١٩٤٠ تعرف على ممثلة شابة حاولت أن تسرى عنه ولكنها فشلت فتركته للتزوج من شاب في مثل سنها، وعند ذلك بدأ لويس من جديد في السفر إلى أوربا في رحلات وهناك في عام ١٩٥١ مات وحيدا بين الغرباء. والعجيب أنه حتى خلال سنوات الاضمحلال هذه، فإنه لم يتوقف عن كتابة القصص، كما لو كان مدفوعا بقوة ميكانيكية منتظمة.

وكانت أولى هذه القصص قصة (Ann Vickers) التى نشرها في عام ١٩٣٣ أى بعد زواجه الثاني بوقت قليل. وهذه القصة تروى نجاح امرأة عاملة، نجاحا متواليا وكان لويس عند كتابة هذه القصة يقصد نجاح زوجته الثانية التى قابلته في هذه الفترة والحقبة التى تلتها. والقصة ترسم للقارئ من خلال شخصية واحدة الاهتمامات الرئيسية في تاريخ المجتمع الأمريكى منذ الحرب العالمية الأولى إلى فترة الركود الاقتصادى. ولكي يوضح هذا التاريخ كتب لويس عن حياته وحياة زوجته في الماضي وفترة ماقبل الحرب العالمية الأولى، وحركة الاصلاح الاجتماعي والمسيحى، والحركات النسائية وجمعيات البر والاحسان، والأفكار الراديكالية وإصلاح السجون وحرية الجنس والأزمة الاقتصادية والمرأة العاملة والمساواة في الحقوق وما إلى ذلك. والقصة تدور حول الموضوع المكرر وهو موضوع المرأة التى تحاول أن تعثر على ذاتها كإنسانة وليست كامرأة عظيمة فقط. وهذا مايشبه قصة (Dodsworth) التى حاول فيها أن يجد نفسه كرجل وإنسان من بين رجال الأعمال. والملفت للنظر في هذه القصة هو شعور المؤلف نحو بطلة القصة فنجده مشابها تماما لشعوره نحو زوجته Dorothy Thompsoon. فقد اتخذ من زوجته النموذج لأن فكرز Ann Vickers، ثم راح يصف أخلاقياتها بكثير من التعاطف. والغريب أن زوج «آن Ann» كان رجلا ضعيف الشخصية يغار على زوجته من التوسع في الشهرة، ولم ينقذها من هذه الزيجة سوى رجل ذى شعر أحمر. لقد كان شعر لويس بنفس اللون (أحمر)، ولكنه يختلف عنه بأخلاقياته، بل كان على عكس هذا الزوج. فقد كان الزوج رجلا

حالما متساهلا ضعيفا من الناحية الجنسية ولويس لم يكن كذلك، وكم كان يـود لو أنه كان مثل هذا الزوج فى هذه الناحية. ولكنه لم ولن يستطيع أن يكون مثله.

أما القصة الثانية فكان عنوانها (Work of Art) وقد نشرت عام ١٩٣٤ وهـذه القصة وإن كانت الاولى بعد (Main Street)، من حيث جدية الموضوع فـإنها كانت خالية من كل ماهو ممتاز. لقد رفعت هذه القصة إلى السطح شكه القديم فى الفن والفكر، واحترامه العميق لأخلاقيات الطبقة الوسطى. وتدور هذه القصة حول صناعة الفندقة فى أمريكا من خلال أخـوين همـا: Ora Weagle و Myron وكان Myron شخصية رزينة يعتمد عليها، كان يحلم منذ الصغر بأن يمتلك فندقا كاملا أما Ora فكان أديبا يصرف أيامه فيما لاطائل وراءه يحلم أحلاما رومانسية باكية يدون بعض أبيات من الشعر كالتى كان يكتبها لـويس فى شبابه كان صـورة كاريكاتورية للشاعر تماما كما كان يراه لويس صـادف Ora نجـاحا فى التجـارة والكتابة فى بعض الصحف، ولكنه كان مغرورا لايعرف قدر نفسه، كما كان يحتقر أخاه. أما Myron فقد كان الفنان الحقيقى، صور لويس أعماله وجهوده وكأنهـا إبداع فنى، حتى دفتره الذى كان يدون فيه أعماله وأشغاله كان (دفتر شـاعر) يخط فيه أفكاره حول تحسين إدارة الفندق وانطباعاته عن تجاربه كفندقى، لقـد صادف Myron نجاحا عظيما هو الآخر. ولكنه أفلس نتيجـة لعمليـات احتيـال ونصب قام بها بعض الناس. ثم أتاه النجاح مرة أخرى عندما اكتشف أنه لاوجود لفندق كامل. إذا رغب المرء فى أن يتعلم شيئا عن إدارة الفنادق، فـإن القصـة ستمده بمعلومات قيمة، أما إذا أراد أن يتعلم شيئا عن الفن وخاصة فى القصـة فإن القصة لن تعطيه شيئا من هذا قط.

وما إن مضت عدة سنوات حتى زادت شهرة زوجته على النطاق الأول كمعلقة سياسية. وكلما زادت هذه الشهرة، زادت رغبته فى الاختفاء من حياتها. إلا أنه لم يستطع تطليقها. فلو أنه طلقها لما استطاع أن يكتب قصـته (It Can't Happen Here) لأن هذه القصة كانت نتيجة ونتاج تعرضه لاهتمام زوجته الشديد للسياسة الدولية. ففى هذه القصة نرى لويس وهو يدين العناصر الفـاشستية فى الحيـاة

الأمريكية ويشيد بالروح الاستقلالية ويدافع عن الحرية. ففـــى عــام ١٩٣٥ كان يعترض الحياة الأمريكية أصوات وخطب من يلعب بعواطف الجماهير والغــوغاء أمثال: «Huey Long»، فانتهز لويس فرصة ازدياد الحركة نحو البروليتاريا، وهى لا تقل خطرا عن الفاشية، فى المؤسسات الديمقراطية فى أمريكا. فكتب لويس عن فظائع الفاشية فى أوربا، وقد أثارت هذه القصة اهتمام اليســاريين، لأن القصــة أكدت أن لويس لم يكن فاشيا. ثم كتب قصة (The Prodigal Parents) وهى قصة فاشلة دافع فيها لويس عن وجهة نظر الطبقة الــوسطى ضــد وجهــة نـــظر (البروليتاريا).

إذا أخذنا قصة (It Can't Happen Here) وقارناها بمثيلاتها من حيث النــوع لوجدنا أنها تفتقر إلى التجانس الذى فى قصة (Aldous Huxley) المسماة (Brave New World)، أو قوة إقناع «George Orwell» فى حلمه المخيف عن المســتقبل. ولما كان القراء فى أمريكا عام ١٩٣٥ شديدى الحساسية تجاه تاريخهم، مثل بقية الانجليز والفرنسيين وقتئذ، فإن من الطبيعى أن تشد قصة لويس انتباه القراء فى أمريكا، ولكن إذا نظرنا إلى القصة على أنها وعد بالالتزام مــن جــانب لــويس بالتعاون مع ماكان يسمى وقتئذ (بالجبهة المتحدة)، وهـــى تجمــع لمجهــود كل الأحزاب الحرة (والراديكالية) فى مواجهة تهديد الفــاشية، فــإن ذلك دون شــك يوقعنا فى الخطأ، لأن لويس لم يكن راديكاليا مطلقا وإن كان يعرف أنه اشتراكى. وقد ظهرت هذه الحقيقة بوضوح تام فى قصته التــالية والمســماة (The Prodigal Parents) والتى نشرت عام ١٩٣٨، وهى تــدور حــول Fred Cornplow وزوجتــه Hazel والثائرين على التصرفات الطائشة الراديكالية لأولادهما. إن هذه القصة قد أتت على أمل لويس فى أن يكتب يوما ماقصة ذات مثل عليــا فى الســياسة. إن السياسة الراديكالية فى القصة عبارة عن صورة هزلية لبعض الأفكار المــاركسية والانطباعات الشاذة عند بعض الطلبة عن العمل والعمال. هذه الأفــكار وهــذه الانطباعات من المحتمل أن تكون قد وصلته عام ١٩٣٠ عندما كان يسكن بالقرب من «Dartmouth College»، وفى نهاية العقد الرابع من القرن العشرين، ومع قرب

دخول أمريكا فى حرب عالمية أخرى تختلف عن الحرب العالمية الأولى نرى لويس وقد أصبح رجلا مضطربا. فقد لجأ إلى عالم المسرح، وكرس وقتا طويلا من حياته فى الجرى وراء الشابات من الممثلات، ثم نراه يرجع مرة أخرى إلى الموضوعات البراقة فيكتب ست مسرحيات، كانت كلها فاشلة. وفى عام ١٩٤٠ كتب قصة (Bethel Merriday) عن ممثلة شابة وقصة حب باهتة، وإلى جانب ذلك لا تجد شيئا مهماً سوى ماتعلمه لويس من المسرح. ثم جاءت قصة (Gideon Planish) التى نشرت عام ١٩٤٣ وكنا ننتظر فيها عودة إلى الكاتب لويس القديم.

• حقا لقد حاول هو ذلك فشن هجوما سافرا على عمليات البر والاحسان المنظمة، وعلى نشاطات الأفراد فى القيام بعمل الخير. لقد كان كل هذا عودة إلى روح قصة Elmer Gantry ولكنها كانت عودة فاشلة وهزيلة. ثم نشرت له كذلك فى عام ١٩٤٥ قصة: (Cass Timberlane)، وهى تعالج موضوع الزواج فى أمريكا، وتتقاسمها عواطف الحب والغضب. فهى قصة تحكى إحدى غرامياته بطريقة مغلفة، أو بالأخرى تروى رأيه فى مغامرات الحب الصغيرة Cass رجل فى الواحدة والأربعين، يقع فى حب فتاة فى الثالثة والعشرين، ولكنه يسلك معها أحيانا سلوك الرجل الذى بلغ الستين من عمره (وهو ماكان عليه لويس عند كتابة القصة)، وأحيانا أخرى تصبح تصرفاته كتصرفات شاب مراهق فى السادسة عشرة (وهذه أيضا بعض تصرفات لويس)، ولقد كانت أبرز صفة فى Cass هى عدم درايته بالناحية الجنسية، وعند ذلك تتركه فتاته Jinny Marshland لترتبط بعلاقة غرام مع آخر من أخص أصدقائه، وكانت طريقته فى معالجته لهذا الجزء تتميز بالعاطفة مع قدر قليل جدا من التهكم. وهكذا، فإن لويس، يترنح نحو نهايته، ففى قصة (Kingsblood Royal) التى نشرت عام ١٩٤٣ تجده يقوم بمحاولته الأخيرة والشاقة للدخول من جديد إلى الحقائق الأمريكية وذلك بأن يضع نفسه أمام مشكلة الأقلية الزنجية فى أمريكا. لقد أثار الكتاب شيئا من الاهتمام بين القراء باعتباره وثيقة اجتماعية وليس كعمل أدبى، وحتى أهمية القصة من الناحية الاجتماعية قد قلت جدا بسبب أن لويس قد قلل من خطورتها (خطورة المشكلة)،

مع أنها واحدة من أكبر القضايا المعقدة والملحة فى حياة النـاس فى الـولايات المتحدة الامريكية، وبعد أن كتب لويس عن مشاكل كل الحاضر المبـاشرة، عـاد مرة ثانية إلى البحث فى تاريخ Minnesota الماضى، فكانت قصة (The God-Seeker) التى نشرها عام ١٩٤٩، ويظهر أن هذه القصة كانت الجزء الأول مـن مشروع الثلاثية تعالج مشاكل العمل فى الولايات المتحدة، ولكن هذه القصة كانت خيالية من الحياة حتى (شخصياتها) كانوا وكأنهم مصنوعون من الخشب، حتـى أن الناشرين أنفسهم يئسوا من نجاحها. ثم كانت قصته الأخيـرة (Word Wide) التى نشرت عام ١٩٥١ بعد وفاته (لقد توفى لويس فى العـاشر مـن ينـاير عـام ١٩٥١)، وهذه القضية هى محاولة ضعيفة جدا لتـأليف قصـة تشـبه قصـة Dadsworth مرة أخرى. لقد قـال Malcolm Cawley عـن هـذه القصـة: إن شخصياتها، يبدو وكأنهم ظهروا من عالم قديم اندثر، أو كأنهم من دور اليتـامى، أو من السجون، وهناك لم يسمعوا شيئا سوى شريط مسجل لقصص لويس.

لقد أمضى Sinclair Lewis وقتا طويلا. دون مجازاة فى التدريب على الكتابة قبل نجاحه الذى استمر عشر سنوات. وكذلك كانت نهايته طويلة أيضا وحزينة. ومـن هنا كان من الصعب إصدار حكم أدبى عنه، لأن التقدير العظيم الـذى أبـداه المعاصرون له وقت حصوله على جائزة نوبل، يجعل هذه المسألة أكثر صـعوبة. فمن هاجمه من المثقفين، لم يأخذوه على محمل الجد، بل سخروا منه. والنقـاد والتجريبيون أو الذين عاشوا خارج أمريكا، اعتبروه كاتبا صـحفيا يجيـد فـن التجارة. أما النقاد الأكاديميون سواء من كان منهم مؤرخا للأدب مثـل Fred. I. Pattee أو مشتغلا بالآداب القديمة مثل «Prof. I. Babbitt» وأتباعه من جمـاعة «New Humanism» أو من المحافظين مثل «Henry Van Dyke» بأكاديمية الفنون والآداب، كل هؤلاء شعروا بالسخط عندما حصل على جائزة نوبل. فقـد قـال: Prof. Pattee فى جريدة «The New American Literature» إن لويس كتب مهمـا كتب، فلن يثير ذلك اهتمامى بالمرة «وحتى الكتاب الشبان الراديكاليين، قالوا عنه إنه أمى سياسيا وعلى هذا لم نجده ينجـو مـن الـكاتب الشـاب Ernest

Hemingway ، أو من الناقد الحر الذكى T.K. Whipple أو الكاتب القديم Sherwood Anderson. ولكن كل تلك الأحكام كانت قاسية جدا لأن لويس كانت علاقته بالكتاب الآخرين تتسم بالكرم الزائد. فكثيرا ما كان يشجعهم ويناضل من أجلهم ويساعدهم حتى بالمال. وكان من عادته أن يضع الكتاب الذين عادوه أمثال « Dreiser و Anderson » على رأس قائمة الكتاب الامريكيين المحدثين. فلقد اعترف فى وقت مبكر بنبوغ الشاب Ernest Hemingway وكان لويس السبب فى أن يحصل Hemingway (بعد أن اكتمل نضوجه) على جائزة، كما كان سببا أيضا فى حصوله Theodore Dreiser على جائزة مالية كبرى. وهو الذى كشف عن Thomas Wolfe وذلك بعد سنة واحدة من نشر قصة (Look Homeward Angel)، فقد تحدث لويس عنه فى مؤتمر صحفى قبل سفره إلى السويد وذكره مرة أخرى فى الخطاب الذى ألقاه هناك عند تسلمه (جائزة نوبل)، حقا لم تكن قصصه لتخلو من عيوب، حتى الشهيرة منها، ولكن هذه القصص الاثنتين والعشرين على اختلاف مستوياتها، كانت تشترك فى صفحة واحدة، حيث إنها عبارة عن مسيرة واحدة تقصد هدفا واحدا هو (الحقيقة) فى أمريكا بعيدا عن الترهات التعصبية، والتفاؤل العاطفى بشكل صورة الجيل السابق. وكان هذا الهدف (البحث عن الحقيقة)، هو ما تركه لويس كروائى، فشكلت مواهبه فى العقد الثانى من القرن العشرين حينما كان البحث عن الحقيقة هو الهم الكبير عند كل كاتب جاد. لقد كانت هى الفترة التى وضع الجميع فى أثنائها الأمل فى ديمقراطية الحياة فى الولايات المتحدة حيث المجتمع المتسامح. وكان الأمل فى أن تكون أمريكا قوية وغنية كما كانت فى منتصف القرن التاسع عشر. أمريكا التى تسع لكل الأفكار بالرغم من اختلاف الناس. الأمل فى أن تكون أمريكا التى كتب عنها « Thoreau و Whitman و Mark Twain »، حيث الطرق مفتوحة، والأفق واسع، والبرارى خضراء. لقد رأى لويس مثل هؤلاء الكتاب الثلاثة، الفرق بين الحقيقة والمثالية. لقد أشار Thoreau إلى ذلك عندما كتب يقول: « أما بالنسبة للحقيقة الانسانية فنحن بعيدون عن ذلك لاننا متعصبون لاقاليمنا ولسنا عالميين. لقد أفسدنا بهذا

التعصب الذوق العام، وجعلنا حبنا للتجارة والأعمال التجارية والصناعة والزراعة وما شابه ذلك. إن جميع الأمور وسائل وليست الهدف»، كان لويس يحمل معه دائما في أثناء رحلاته الكثير من مؤلفات Thoreau حتى أنه قال: إن Thoreau قد ترك أثرا كبيرا على فلسفته التى تتمثل في حرية الفرد وحب الوطن.

لقد كتب لويس عن Thoreau في مجلة «The American Adam» فقال: «إنى أعتقد أنه لا يوجد في هذا الجيل قوة شعور نحو الجديد الحر، والوجود النقى أكثر مما كان يحمله Thoreau كما لم يتمكن أحد من أن يعرض الماضى وتقاليده بشكل أخاذ مثله. فقد كان قصة (Walden) أجمل بحث معاصر فى الرغبة عن حياة جديدة، والتخلى الكلى عن التقاليد البالية والبعد عن الطرق المعتادة للسلوك المعروف والانغماس في الطبيعة، كل هذه الأفكار والمثل، كادت تكون العناصر الرئيسية التى يعزى إليها عدم ارتياحه، ورفضه للحياة الأمريكية. ومن خلال تلك المثالية نلاحظ الشعور المتفائل الذى وجده فى قصص غيره من الأدباء والتى تركت أثرها فيه. لقد كان عزوف الأمريكيين عن استغلال قوتهم للوصول إلى حرية الفرد، هو الموضوع الرئيسى لسخريته، فحين بدأ يلهب ظهر الحياة الأمريكية في قسوة بتهكمه وسخريته، فإنما فعل ذلك لأنه رأى أن الأمريكيين لا يرغبون فى أن يكونوا أحرارا فراح يهاجم جميع المصادر التى أوصلتهم إلى حالة الرق هذه، مثل: النظام الاقتصادى، والجمود الفكرى، والعقائد الدينية، والصعوبات التى يسببها القانون، والتقاليد الطبيعية والمادية، والجمود الاجتماعى، والنفاق والعواطف واللامبالاة والغرور، لقد قال عن نفسه قبل وفاته بعشر سنوات: «بأنه لم يترك أثرا يستحق الذكر على الكتاب الشبان الذين عاصروه. فقد كان في نظرهم كاتبا عتيقا ومن هنا جاء الفرق بينه وبينهم وخاصة فيما ظهر فى كتابات Fitzgerald و Hemingway و Faulkner أما التأثير فى معناه الواسع من حيث الأسلوب والبناء، والرمزية والاستراتيجية والنغمة، فقد كان لويس، يعتبر الشخصية الرئيسية فيما يسمى حركة التحرير فى الأدب الأمريكى الحديث. كما كان له ميزة أخرى، هى قدرته على خلق متحف من الشخصيات

التى كانت لها حياة خاصة بها خارج القصة. ولهذا كانت قصصه آخـر القصص الأمريكية المهمة التى غنيت فى المقام الأول بالطبقة الاجتماعية.

ويمكننا القول بأن لويس لم يكن أفضل الكتاب الأمريكيين. ولكن لا يمكننا أن نتصور الأدب الأمريكى الحديث بدون كتاباته، ولا كان فى استطاعة الأمـريكيين المحدثين أن يروا حقيقة أنفسهم (لقد فعل بنا خيرا)، هذا ما يجـب أن ينقش على قبره.



ف. سكوت. فيتزجيرالد F. SCOTT FITZGERALD

بقلم

شارل شين Charles E. Shain

لقد تأخر إعلان دخول Fitzgerald بين مصاف كتاب الرواية مـن الأمـريكان حتى وافته المنية عام ١٩٤٠. وهو فى الرابعة والأربعين من عمـره. إن قصـة حياته منذ قيامه حتى سقوطه المفاجئ وهو فى أوج شهرته الأدبية، وكذا ثـروته وأمواله تتسق والأحداث الدرامية التى شهدها العقدان الثانى والثالث من القرن العشرين الامريكى. لم يمض من العقد الثانى غير ثلاثة شهور فقط حتى نشرت له قصته الأولى وعنوانها(This Side of Paradise) . نالت هذه القصة نجاحا كبيـرا. وبعد بضعة أسابيع ظهرت له قصة من قصص ما قبل الحرب تدور حـول فتـاة مراهقة وصديقها. لقد كان الكاتب نشيطا وأنيقا. ولقد أوضحت هذه القصة أنـه سيصبح واحدا من أشهر الشخصيات. فى العهد الجديد. فقد وصل إلـى القمـة حين نشر قصة فى عام ١٩٢٥ وعنوانها (The Great Gatsby) واستمر ينعم بهـذه الشهرة، حتى جاء النصف الثانى من العشرينيات، وبعد أن أخذت حياته الخاصة تتجه بسرعة نحو الانهيار. فبنهاية العشرينيات عاش عيشة مترفة جدا، كما وقـع فريسة لادمان الخمر حتى إنه لم يستطع السيطرة علـى حيـاته الخـاصة كى يستطيع أن يكتب قصة أخرى. فما إن حل أبريل عام ١٩٣٠ حتى كانت زوجتـه Zelda Fitzgerald ، قد وقعت فريسة لانهيار عصبى حاد أدى إلى وضع حد للحياة الرومانسية التى كانت تحياها مع زوجها فى العشر السنوات السـابقة وأصـبحت حياة الكاتب فى الثلاثينيات سلسلة متصلة من سوء الحظ والشـجون والألـم. إن سيرة حياته والتى كتبها «Arthur Mizener» تعتبر واحـدة مـن أكثـر السـير

الشخصية حزنا فى الأدب الأمريكى منذ «Edgar Allan Poe» فقد انتهى ككاتب قبل أن يموت. فلم يعد هناك من يشترى كتبه بالرغم من أنه كان يوجد سبعة كتب تحت الطبع. فمنذ وفاته ١٩٤٠ أصبح من الواضح أن المهزلة التى لحقت به لم يدفع هو ثمنها، بل جاءت على حساب الحياة الثقافية والأدبية فى أمريكا. وهذه المهزلة هى أنه قاسى الاهمال فى الثلاثينيات دون أن يستحق ذلك. لقد جاءت القصتان اللتان نشرتا بعد وفاته، لتثبت للشعب الأمريكى مدى عظمة وجدية أعماله بالرغم من تلك المشاكل والصعوبات التى كانت تحيط به فى الثلاثينيات.

إن إهمال النقاد لأعماله كان السبب ــ من غير شك ــ فى إهمال القراء له، وكان نتيجة لذلك أنه استهلك حياته، فأضاعها مع عبقريته الفذة حتى وافاه الأجل المحتوم. إن هذه القسوةّ فى الحكم على أعماله يمكن تبريرها، إما أن يفشل النقاد فى رؤية مدى جدية Fitzgerald فى الكتابة طول حياته؛ أو أنهم لا يستطيعون التمييز بين الجيد من أعماله والأقل جودة، فإن ذلك لا يمكن تبريره مطلقا.

إن هذا الاهمال سيؤدى إلى ضياع معالم حياته الشخصية على مدى السنين، ومن ثم سيكون من الصعب عند القيام بدراسة أعماله أن يقترب الناقد منها. لقد أفنى نفسه دون رحمة فى رواياته. فإننا نلاحظ دائما المزج التام بين حياته وقصصه، وهذا يذكرنا بما قاله D.H. Lawrence لنقاد كتاب تراجم الحياة الشخصية، فقد قال: «لا تثقوا فى الفنان بل ثقوا فى القصة»، وما زالت توجد بعض الصعوبات فى تقييم أحسن أعماله نتيجة سوء الفهم الذى أحاط بفكرته نحو المال ورجال المال. ولكى نفهم سبب اهتمام الكاتب بالثراء الأمريكى كموضوع أساسى فى قصصه.

يجب أن نقرأ أشهر ما كتب عن قصة حياته الأدبية. لقد كتبها Hemingway فى رواية (The Snows of Kilimanjaro) التى نشرها فى مجلة (The Esquire) عام ١٩٣٦، نرى فى هذه الرواية بطل «همنجواى» متمثلا فى كاتب مفكر فى حياته وسط الأغنياء فيقول همنجواى: إنه يذكر S. Fitzgerald الرجل الفقير فى خوفه

(الرومانسى) من الأغنياء وهــو يقــول : إن الأغنياء مختلفــون عنــه. فيرد عليــه شخص ما، إن ذلك صحيح لأن لديهم مالا وفيرا. ولكن هذه الاجابة لم تكن كافية عند Scott فقد كان Scott يعتقد أن الأغنياء جدا قد جاءوا مــن جنس عــظيم، ولكنه عندما يكتشف أنهم ليسوا كذلك يغمره شعور بالاحباط. لقد كان همنجواى يلوم Scott على ذلك، لأن الاعتقــاد الســائد فى الثــلاثينيات أن Fitzgerald كان مبهورا بالأغنياء وطريقة صرفهم بهذا البذخ، ونسى أن كثرة المال فى أمريكا كانت تعتبر دليلا على السوقية والحقد.

إن الصورة التى لاصقت مخيلة الناس عن عائلة الكاتب فى العشرينــات هــى أنهما زوجان حديثا الزواج، أنيقان يمرحان ويرقصان، حول نافورة فندق بلاتزا.

وهذا المنظر (الرومانسى)، ربما يكون مفيدا ليذكرنا بأن هذه العائلة الصغيرة، لم تكن من أهالى نيويورك. فالزوجة من أعماق الجنوب من مــدينة مــونتجمرى بولاية الاباما. أما الزوج فقد أتى من الغرب المتوسط، ولكن «Edmund Wilson» أحد أصدقائه من الأدباء المقربين منه، أكد على أن مــدينة St. Paul فى ولايــة Minnesota قد تركت أثرا هاما فى تكوين شخصية Fitzgerald الأدبيــة. وفى عــام ١٩٢٢ عندما كتب (Wilson) عن شخصية الكاتب قال: «إنه يمت بصلة قوية إلى مدن الغرب الأوسط الكبرى ونواديها فى حين كان لويس يمت إلى برارى الغــرب الأوسط ومدنه الصغيرة».

ولد Francis Scott Key Fitzgerald فى الرابع والعشرين من ســبتمبر ١٨٩٦ فى مدينة St. Paul من ناحية والدته كان حفيدا لمهاجر أيرلندى كون ثروة من تجارة البقالة بالجملة، وعندما توفى الجد وكان فى الرابعة والأربعين قدرت أملاكه بمبلــغ يتراوح بين ثلاثمائة ألف دولار وأربعمائة ألف، وكانت وفاة جده واسمه Mac-Quillan فرصة لكى يحتفظ بمنزله الذى كان يقع فى أجمل بقعة وفى أهم شــارع. فقد كان يعتبر هذا الشارع أكثر الشوارع أرستقراطية، كما أتاحت لــه الأمــوال التى تركها الجد الفرصة لأن يدفع مصــاريف تعليمــه فى المــدارس الخــاصة

فى المدينة «St. Paul» وفى «Princeton» كان Fitzgerald يشعر بشىء من الحــرج عندما يذكر الأصل الذى جاء منه جده هذا. أما أصله من ناحية أبيه فكان مدعاة لفخره. كان يكن لوالده إعجابا شديدا لذكائه وسلوكه المهــذب. فقــد كان الأب ينحدر من عائلة هاجرت إلى (Maryland) فى القرن السابع عشر لقد ظهرت هــذه المشاعر فى قصة (The Great Gatsby)، وقصة (Tender is The Night) لقد كتــب فى الثلاثينيات يقول: «كان يلمس مركب النقص فى العائلة، فــالنصف الأيــرلندى كان يملك المال ولا يملك الأصل والتربية، ولهذا كان ينظر فى احتقار إلى النصف الثانى الذى انحدر من Maryland إذ كان فقيرا، ولكنه كان يحمل الأصل الطيب، والتربية الصحيحة فى صمت؛ لقد نشأ الكاتب فى وسط كاثوليكى متــزمت، ولــكن جميع شخصياته الرئيسية لم تكن كاثوليكية أو أيرلندية. والغالب أنه لــم يــكن تلميذا مجدا. حتى عند التحاقه بمدرسة داخلية كاثوليكية يــديرها «المنســنيور Fay»، الذى تعلق به كثيرا وأهداه قصته الأولى، (لم تــكن قصــة The side of Paradise) قصة كاثوليكية على الاطلاق. وعندما انتهى من دراسته عام ١٩١٩ فى Princeton وانتهى أيضا من الخدمة العسكرية، كتب إلى صديقه Wilson يقــول إن ديانته الكاثوليكية لم تعد سوى ذكرى. ربما كان تعلقه الشديد بوالده وســيلة للدفاع عنه لفشله كرجل أعمال. نرى الكاتب حين كان صبيا فى الحادية عشرة من عمره يشعر بالحرج الشديد عندما اضطرت العائلة للعودة إلــى St. Paul لتعيش على أموال جده بعد أن فصل أبوه من عملــه وكان بــائعا فى متجــر «Gamble و Procter» فى مدينة «Buffalo» وتحت ضغط هذه الظروف، ثم الشعور بالاعتماد على (الغير) اضطرت العائلة أن ترحل من بيت إلى بيت بجوار شــارع Summit تدور حول معاقل المجتمع الثرى، ولكنها تعيش فى بيت، أقل مــن المســتوى فى شارع أعلى من مستواها، كما وصفها يوما الكاتب نفسه.

كانت أحداث قصته (Winter Dreams)، وهى واحدة مــن أحســن قصصــه المعروفة تدور أحداثها فى مدينة St. Paul وضاحيتها الصيفية المســماة «White Bear Lake». وكان بطل القصة صبيا فى الرابعة عشرة من عمره يعمل مساعدا فى

محل بقال وإن كان يضطر فى بعض الأحيان أن يعمل حاملا لأدوات الجـولف فى نادى البلدة. هذا النادى الذى كان أغلب أصدقائه مشتركين فيه. طبعا لم يـكن الكاتب فى يوم من الأيام حاملا لأدوات الجولف. ولكن كان من السهل عليـه أن يعرض للقارئ صورة للشعور بعدم الأمان الاجتماعى عند صبى فقير. كما كانـت أم الصبى سببا آخر لشعوره بالحرج. إذ كانت تلبس ملابس غريبة الشكل كما أن سلوكها مع الناس، كان سلوكا غير عادى. كما كان الصبى يدرك تماما أن أمه قد دللته كثيرا مما أفقده حب أساتذته وأخـواته، لقـد كان Fitzgerald معـروفا فى المدينة بأنه صبى رقيق الحاشية، مملوء بالحياة، جذاب، صادفه نجاح كبير، حتى قبل أن يلتحق بالمدرسة الداخلية فى New Jersey وهو فى الرابعة عشرة.

كان Fitzgerald يرجع دائما فى مراحل حياته لكى يأخذ منها مادة لقصصـه. وكانت القصص الصحفية التى كتبها فى مجلـة «Saturday Evening Post» عـن صباه St. Paul، وكذلك عن حياته فى مدرسة (Newman) أظهرت فى وضوح تام أنه كان قصاصا بارعا فى ذلك الوقت. فقد تميز كاتبنا بالحس المرهف بمن حوله من الناس أو المكان، حتى أصبح أكثر كتاب الرواية من الأمريكيين حساسية فى هذه الأمور. فإذا أراد أن يكتب الصورة الواقعية لحياة صبى أمريكى، فما عليه إلا أن يرجع إلى ذاكرته التى تحوى صباه، وهى فى العادة ذاكرة دقيقة حتـى فى أقـل التفاصيل. إن قصصه التى نشرتها مجلة «Saturday Evening Post» والتى تـدور حول البطل الشاب «Basil Duke Lee» نجدها مملوءة بأحداث تتعلـق بـالفوارق الاجتماعية، والمقارنات الحاقدة بين الناس، وتعقيدات الحيـاة أمـام الشـباب الأمريكى، لاختلاف التقاليد والتفرقة فى المستوى المالى. وكلما انتقل Basil مـن مشكلة عاطفية إلى أخرى ليبحث عن ماهيته الحقيقية وماذا يريد، فإن Fitzgerald يرغب فى أن تعتقد تماما أن Basil كان يتعمد الدخول فى كل دقائق الشعور حتـى يعرف المعنى الحقيقى لهذا الشعور، ثم ينتقل إلى غيره وهكذا.

إن النجاح الأدبى الذى صادفه الكاتب أيام صباه كان له أهمية بالغة فى حياته العاطفية وحياته الاجتماعية ففى مقال لفتـزجيرالد، كان يعـالج فيـه سـيرته

الشخصية كتبه فى أواسط الثلاثينيات نراه قد استعاد أمثلة من كتاباته حينما كان تلميذا بالمدرسة ثم ذكر أنه أيضا كان من المفيد لقدراته لو أنه واجـه الحيـاة ولم يتوار منها، فعندما كان تلميذا فى مدرسة (Newman) حدث أن طـرده ظلمـا مدرب فريق كرة القدم من الفريق، لاعتقاده أن الفتى لم يواجه خصمه لخوفه من الالتحام به، مما أدى لانتصار الفريق المنافس. فـانظر كيف احتـوى الـكاتب الموقف كله: المدرب. فشله فى إتقان لعب الكرة. ربما جبنه أيضا، وذلك بأن كتب قصيدة من الشعر عن هذه التجربة كان لها أثر كبير عند والده. فراح الأب يفاخر بها «عندما عدت إلى المنزل فى إجازة عيد الميلاد كان فى ذهنـى أنـه إذا لـم تستطع أن تقوم بالعمل، فلا أقل من أن تحكى عنه لأنك سـتشعر فى الحـالتين بنفس السعادة. إن هذا هو الباب الخلفى للهروب من مواجهة الحقـائق. لـذلك كانت رغبته الشديدة فى الشعور بنجاحه اجتماعيا تـدفعه دائمـا إلـى القصص والقصائد والتمثيليات لم يكن سجله الدراسى على ما يرام فراح يكتّب القصـائد والمسرحيات والقصص ليرضى نفسه ويجلب لها التصفيق الذى كان هو فى حـاجة إليه. ففى السادسة عشرة من عمره كتب مسرحيتيـن دراميتيـن وأخـرجهما فى St. Paul، وقد حضر عدد غفير من الناس لمشاهدتهما. وفى نهاية الأمـر كسـبت المسرحيتان مائتى دولار، تبرع بها لصندوق البر، لقد كان يتعلم وهـو فى هـذه السن المبكرة كيف يمكن أن يعتمد على موهبته الأدبية فى كسب قـوت يـومه. وعندما حان الوقت لدخول الجامعة اختار جامعة «Princeton» لأنه كان يعلم أنـه سوف يشتهر هناك لو أنه استطاع أن يقدم نصا (أوبـراليا) لجمعيـة التمثيـل والموسيقى بالجامعة. وفعلا التحق بالجامعة المـذكورة فى خـريف ١٩١٣ وكان عمره ستة عشر عاما.

تستطيع أن تلاحظ ما أضافته جامعة «Princeton» إلى معلـومات Fitzgerald وإعداده ككاتب عندما تقرأ سيرته فى قصته الأولى (This Side of Paradise) كانت الجامعة بالنسبة للكاتب (من أول سـاعة) مكانا رائعا يكتنفه جو مفعم بالمشاعر. مشاعر الشـباب الجياشة التى تزاحمت وارتفعت حرارتها لفترة طالت إلـى ٢٠٠

سنة. كان هذا هو أحد المشاعر والأحاسيس التى عبر عنهـا الـكاتب فى هـذه القصة، وعندما غادر هذه الجامعة ليلتحق بالجيش فى أثنـاء الحـرب العـالمية الأولى. كانت هذه المشاعر تبكيه عندما يأتى ذكر مرتع شبابه. من خلال صفحات القصة نرى جامعة «Princeton» وكأنها مجتمع ضخم يضم النـظام الاجتمـاعى الأمريكى بأجمعه. كما تظهر أيضا الامكانيات الجذابة لكاتب شـاب ذكى فى دور التكوين. فى هذا العالم الذى تتطلع إليه الكاتب عالم جـامعة «Princeton» فهـو يقول: «بعد أن تتعرف على طريقك فيه فإنك تجده مكونا من رجال وشبان يدعون كلهم للاعجاب وخاصة هؤلاء الذين هم فى الفصول العليـا. إذ كانـوا مـوضع الحسد، بل والرغبة فى محاكاتهم، سواء لشخصياتهم، أو لأعمالهم التى تخصصوا فيها. كان منهم الرياضيون والكتاب والمشتغلون بالسياسة. وحتى الشباب العادى الذى يحمل شارة الجامعة فقط كان هذا العالم الذى استولى على خيال الكاتب. أما ماذا أفاد Fitzgerald من هذه الجامعة فإن ذلك يصعب تحديده، فإن «أرثـر مزنر Arthur Mizener»، يعتقد أن جماعة الشبان التى صادفته فى الجامعة وكان منهم الشبان الأدباء، الذين كان من حسن حظه أن وجـدهم أمثـال: Edmund Witson و John Peale Bishop قد منحته الفكرة الوحيدة التى اكتسـبها، وهـى احترام الأدب. وقد كان هذا الاحترام هو العامل الأساسى الذى فاق كل العوامل، والذى صنع منه رجلا جادا. أما تعثره فى دراساته الأخرى فإنما يرجع إلى ضيق صدره فى استيعاب التعليم الجامعى، كما كتب بنفسه فى رسائله إلى ابنته التـى كانت تدرس فى «Vassar» فى العام الأخير قبل وفاته.

فبعد خمس وعشرين سنة من مزاولته الحياة فى جـامعة «Princeton»، نجـده يكتب إلى ابنته ناصحا لها بأنه «لكى تتمكن من كتابة النثر بأسلوب جيد ينبغى لها أن تقرأ باستمرار فى الشعر، لأن ذلك سيعود الأذن على الشعور بالفرق بيـن ما هو شعر وما هو غير ذلك. كما يجعلها تتفوق أيضا على أغلب أساتذة اللغـة الانجليزية الذين يعلمونها. كما أن عليها أن تبدى احتراما نحو الأفكار. أما عـن النثر، فإن النثر الرفيع يبنى على الفعل، والفعل يحمل الجملة كلها، ولعل أجمـل

ما قرأت فى اللغة الانجليزية كانت قصيدة شعر للشاعر «Keates»، هى قصيدة «Eve of Saint Agnes». فهلا قرأتها من أجلى؟ واكتبى لى برأيك عنها. إذا رجعنا بالذاكرة إلى أيام دراسته الأولى بالجامعة، نجد أنه كان يمتاز بالموهبة الشعرية. لقد كان يعتقد أن موهبة النثر إنما هى التى تحتاج إلى التعليم التقليدى، إن النثر يعتمد على التشابه بين الأشياء، ثم الاختيار الدقيق للفظ، أو بمعنى آخر، أن نكتب ما هو ممتع ولكن بطريقة متطورة. أما الشاعر فهو ليس مجرد مبلغ، لأن الشعر هو الروح العميقة الصادقة لما حدث، إما وقت حدوثه أو بعد حدوثه.

لقد كانت إحدى الصدمات الكبرى التى أصابت حياة الكاتب هى: الفشل فى دراسته فى الجامعة. بعد أن كان قد خطط لها بعناية فائقة، وبعد أن أعطت بعض النجاح فى أول الأمر. فبعد نهاية السنة الثانية، ظهر الكاتب وكأنه يسير إلى تمتعه بالشهرة الشخصية. فقد أنشأ النادى الأدبى وكتب أوبرا للعرض المسمى «Triangle» ثم صار المحرر لمجلة أطلق عليها اسم «The Tiger»، وبدأ تاج الغار يتكون ليلبسه. ولكن حدث أن زاد نشاطه وامتد أكثر مما ينبغى فتراكمت عليه الصعوبات الأكاديمية. وتحت العذر بالمرض ترك الكلية وكان ذلك فى أوائل العام الثالث. لقد تسبب غيابه عن الكلية لمدة سنة فى أن يفقد الأمل فى كل الجوائز التى كانت فى متناول يده يوما ما. وأصبح الضياع يؤرق حياته لمدة عشرين عاما. وحين عاد إلى Princeton فى خريف ١٩١٦ كانت فكرته قد تحسنت عن الرؤساء فى الجامعة، وبدأ يختلط بشكل أوسع مع رجال الأدب، وراح يملأ صفحات المجلة الأدبية بقصائد من الشعر وبالقصص. لقد كانت هذه السنة هى الوحيدة التى تلقى فيها تعليما جادا فى الكلية أما بقية ما ناله من علم فكان أساسه قراءاته الخاصة. فقد قرأ كثيرا وخاصة «لبرناردشو، وبتلر، وويلز»، ثم قرأ وقلد بعد ذلك «Tennyson و Swinburne و Rupert Brooke، وقد عثر على أول نموذج لأبطال أول قصصه حين قرأ قصة (Sinister Street) للكاتب «Compton Mackenzie» وفى الفترة بين السنة الثالثة والرابعة من دراسته، طلب الكاتب الاذن للحصول على مهمة فى الجيش. أما السنة الرابعة له فى الجامعة فلم تكن سوى شهرين فقط.

ففى ٢٠ نوفمبر ترك المدينة الجامعية لكى يذهب إلى Fort Leavenworth، وقبل أن يترك الجامعة لفترة كان مقدرا لها خمسة عشر شهرا للخدمة فى معسكر تدريب تابع للجيش، (وهنا ينبغى أن نقرر أنه لم يرسل إلى خارج البلاد قط) نراه قد انتهى من الكتابة الأولى لقصته (This Side of Paradise)، لقد كتبها ثلاث مرات، ولما فرغ «Professor Christian Gauss» من قراءة المخطوط أعاده إليه قائلا: «إنه مازال غير مهيأ للنشر» فى خلال الستة شهور الأولى التى قضاها الكاتب فى مركز التدريب كان كفاحه فى الواجبات العسكرية والتمرينات التدريبية يذكر إلى جانب كفاحه مع مخطوطه. وفى صيف ١٩١٨ أرسل القصة وكان قد سماها (The Romantic Egotist) فى بادئ الأمر إلى مؤسسة «Scribner» للنشر وانتظر حتى الخريف حين علم أن المؤسسة قد رفضت القصة بعد أخذ الأصوات عليها إذا لم تنل غير صوت واحد ضد اثنين. وفى هذه الأثناء صدر إليه الامر بالنقل إلى معسكر «Camp Sheridan» بالقرب من مدينة مونتجمرى بولاية ألاباما. وفى اليوم السابع من شهر سبتمبر (لقد أثبت هذا التاريخ فى مفكرته بالدقة) وقع فى حالة غرام.

لقد كانت الفتاة فى حوالى الثامنة عشرة من عمرها، وهى ابنة لقاض واسمها «Zelda Sayre» إن الشبه الكبير بين Zelda (التى استمرت خطبتها عاما ونصف عام قبل أن تصبح (Mrs. Fitzgerald) وبين بطلات قصصه يجعل من المهم جدا أن نقترب من شخصية Zelda حتى نراها فى وضوح أكثر. لم يكن ذلك يسيرا لأنه منذ وفاتها وقد كان يشار إليها دائما بدون أية مراسيم باسمها الأول «Zelda» وحتى عندما يكتب عنها فى المقالات الأدبية ذات الصفة الرسمية والجادة. إن عدم التكلف هذا ـ فى الواقع ـ ما هو إلا اعتراف بأن المصير المشترك «لزلدا ولزوجها Fitzgerald»، ما هو إلا مصير واحد لا يتجزأ. لقد استطاع الكاتب أن يحول سيرة كل منهما إلى تاريخ قصصى. لذلك كان من الصعب أن تفرق بين الشخصية التاريخية والروائية لشخصيهما. عندما قابل Zelda لأول مرة، كان قد خرج لتوه من تجربة حب فاشل ـ هذه القصة شكلت جزء أساسيا فى قصته،

وكانت Zelda على جانب كبير من الجمال وكان الراغبون والمتوددون لها ولذاتها فقط كثيرين، وأغلبهم من الضباط الشبان، فقد كان هناك معسكران للجيش بالقرب من مدينة مونتجمرى. لهذا كانت المنافسة عليها شديدة جدا. وحين جاءت لحظة الانتصار وأصبحت الفتاة من نصيبه أحس بالسعادة الجارفة تماما كنفس السعادة التى ملأت «Jay Gatsby» فى لحظة حبه البالغة الروعة، التى وصفها الكاتب بعد ذلك بخمس سنوات. وحتى الأشخاص فى الرواية كانوا هم أنفسهم فى القصة الحقيقية. الضابط الشاب المجهول القادم من الشمال وهى الجميلة الآتية من المدينة بالجنوب. وكانت اللغة التى تحدث بها Gatbsy فى منظر الحب فى الرواية فى غاية الروعة والخفر. يشبه إلى حد كبير ما نشاهده الآن فى القصص الحديثة منذ روايات «Meredith» الأولى. «لقد كان يدرك تماما أن قلبه سيقف عن النبض والحركة كما يفعل عندما يقبل فتاته، ويتحقق حلمه البعيد، وتبقى معه إلى آخر نفس فى حياتها...، عندما تلتقى شفاههما ستتفتح فتاته كالزهرة اليافعة ويصير الامتزاج الجسدى تاما». إن الكاتب فى قصته (The Great Gatsby) كان مسيطرا تماما على اللغة ـ لغة الدين ـ عندما يتحدث عن الحب كعاشق محافظ. ولم يسمح لأى نوع من التهكم أن يتطفل ـ على القصة ـ ليطفئ بريق الحب بين Gatsby و Daisy. إن هذا الشعور المتبادل بين المحبين، ثم الالتزام التام بالمشاعر النقية، وهذه الرقة الجنسية والعطف، كل هذه كانت أمورا تميز سلوكه تجاه المرأة وتميزه عن باقى كتاب الرواية المحدثين.

أما Zelda فقد كانت فتاة جريئة اشتهرت فى محيطها بعدم الاكتراث والرغبة فى الخروج عن التقاليد. فهى تفعل ما تريد، وكان جمالها أكبر دافع لثقتها بنفسها. فهى تنتظر من الرجال أفعالا تدل على الشهامة. ولقد أدى الكاتب الكثير من هذه الأفعال. كما أنها تتوقع ممن يتزوجها أن يحيطها بحياة ناعمة براقة. وهذا ما كان يأمله الكاتب حتى سرح من الجيش عام ١٩١٩ فامتلأت نفساهما بالألم والخيبة.

وحين سرّح من الجيش رحل إلى مدينة نيويورك، حيث كافح فيها لمدة أربعة شهور لنكسب عيشه، فكان يكتب الاعلانات فى أثناء النهار. ويؤلف القصص

القصيرة ليلا حتى يستطيع جمع ثروة ترضى فتاته. لقد باع إحدى قصصه بثلاثين دولارا. وما إن حل شهر يونيو حتى فقد فتاته. فقد فسخت خطبتها منه فكان رده على هذا القرار الذى اتخذته فى صيف ١٩١٩ أن ترك عمله فى نيويورك ورجع إلى مدينة St. Paul حيث شغل فى إعادة كتابة قصته وانتهى منها فى سبتمبر، وأصبح اسمها (This Side of Paradise) وفى منتصف شهر سبتمبر هذا قبلتها (مؤسسة Scribner للنشر، وفى مستهل شهر نوفمبر كان قد ربح ما يزيد على خمسمائة دولار. نظير ثلاث قصص قصيرة كان قد أتم كتابتها من قبل. وعاد الكاتب إلى مونتجمرى فى ثقة الرجل الرأسمالى الحقيقى، وقد رسخ فى ذهنه بأنه كتب القصة التى أصبحت أكثر القصص رواجا، وهنا وعدته Zelda بأن تتمم زواجها منه فى الربيع بعد أن ينشر قصته. لم يحمّل الكاتب زوجته أية مسئولية أخلاقية عندما أحلت نفسها من الخطبة له، لأنه عزا ذلك لنظرتها العملية الصرفة. إذ كان كل منهما يشعر بالحاجة. وكلاهما يرغب بشدة فى المعاونة على الحياة والمشاركة فى تحمل أعبائها فى هذا المجتمع الثرى الذى يحيط بهما. لقد كان الاعتقاد السائد فى الولايات المتحدة عام ١٩١٩ أن الغرض من اكتساب الثروة هو تحقيق الوعود التى قطعها المرء على نفسه. إن Gatsby حين يقول فى ملاحظته المشهورة: «إن صوت Daisy يرن كرنين النقود»، يجب علينا أن نقرأ هذه الملاحظة بالعطف الواجب لكى نفهمه. وكما أشار Arthur Mizener بأن Gatsby لم يكن يقصد بملاحظته هذه أنه يحب المال، أو أنه يحب Daisy والمال معا، ولكنه يحب ما يفعله امتلاك المال فى جعل صوت Daisy جميلا وجذابا، وبعد أن أوضحنا هذا، يجب أن نقول أيضا: إنه بسبب المال أيضا كانت Daisy تبدو فى آخر القصة وكأنها امرأة مزيفة وأن Gatsby ولد بسيط وفد من الريف لا يستطيع أن يفرق بين الذهب المغشوش منه والحقيقى. قد تبدو الظروف التى تمت فيها الخطبة ثم الزواج كأنها خيالية بمعنى الكلمة الضيق، لأن الزوجين كانا يرويان للقارئ الحكايات المعقدة عن النساء والزواج والمال. ودائما ما كان الكاتب يرجع إلى هذه الحكايات فى رواياته. لقد كان الكاتب يدرك تماما مدى قوة النساء

بالنسبة للرجال، وكما قال أيضا D.H. Lawrence ، وإن كان قالها بطريقة أخـرى. لقد كتب الكاتب مرة فى مذكراته اليومية يقول «على الرجال أن يكون لديهم بعض (ولو كمية قليلة) من عادات النساء وطرقهن. النساء اللائى على صلة بهن»، لهذا نرى أن شخصية الرجل الشرير فى قصص الكاتب، جـاءت متميـزة بـالجاذبية الحيوانية والرجولة، ولكنهم فى آخر المطاف يبدون أغبياء فى تعاملهم مع المـرأة، إذ كانوا يتعاملون معها على أنها عاهر. أما أبطال رواياته فقد تميـزوا بـالطباع والأخلاق الرقيقة، فقد قال عنهم: «كانت عاداتهم وسلوكهم تشبه عادات وسـلوك الفتيات»، فكان الرجل فى رواياته تعتريه الدهشة (كما كانت تعتـرى الـكاتب)، عندما يرى بعض النساء الجريئات أو غير المكترثات.

ولكى نفهم حياة هذا الكاتب وقصصه الغرامية التى تعالج الزواج يجـب أولا أن نكون مستعدين لقبول قصة الحب التراجيدى التى مر بها الـكاتب نفسـه فى حياته. لقد خلط نفسه مع زوجته Zelda حتى أنه لما تحطمت حياتها عام ١٩٣٠ كان هذا سببا فى تحطيم حياته هو نفسه. لقد بنى نفسه داخل Zelda لقد أرسل إلى John Peale Bishop حين كان فى روما فى شتاء ١٩٢٤ – ١٩٢٥؛ وكان فى هذه الآونة فى قمة السعادة لأنه فرغ من كتابة قصته (The Great Gatsby) أرسل لـه يقول: «إن أكثر الأشياء مدعاة لسعادتى، هى أولا: Zelda. وثانيا: هو أملـى أن يكون فى كتابى شىء جديد. لأنى أنشد أن أكون موضع إعجاب الناس المفـرط. كثيرا ما نمضى أوقاتنا Zelda وأنا، فى حفلات تبدأ بالشراب، إنى على يقين مـن أن كلينا يحب الآخر حبا جارفا، ويمكننى القول بأنى لا أعرف زوجين يشـعران بالحب كما نشعر نحن الاثنين». لقد كان هذا الشعور عندهما حين كان الزواج فى أوجه. وفى عام ١٩٣٣، وبعد مرض Zelda الشديد، وكانا يعيشان عيشة هـادئة، وكان الكاتب يبذل قصارى جهده لكى يقلع عن ـ عادة الشراب ـ نجده قد وصف حياتهما معا فى كلمات مختلفة فقال: «نحن نعيش حياة جيـدة فى الأصـل كمـا نعانى الكثير، ولكنا نعرف كيف نتغلب على هذه المعاناة. وإن جبهتنا المتحـدة أصبحت أقل رومانسـية عما يجب أن تكون عليه». وكلما زادت معلـوماتنا عـن

الحياة الزوجية لهذه العائلة، لما استغربنا قلة استعماله لكلمات مثل (يجب أن نكون)، لقد كانت حياتهما الزوجية مصدرا دائما للرومانسية والتربية الأخلاقية التى تسببت فى إنتاج أحسن قصصه.

إن القصة التى كانت الوسيلة فى كسب موافقة Zelda على الزواج منه هى قصة This Side of Paradise، كثيرا ماكان الناس يشيدون بها ويمدحونها لأنها تضمنت حيزات جعلتها قريبة جدا (فى وقت ما) من الحياة الأمريكية ولكنا نجد بعض قراء هذه القصة، وكذا الذين أتوا بعدهم يطالعونها وهم على يقين من أنهم سيقابلون أحد علماء الآثار وهو ينقب فى بعض الأطلال المهمة. كان نشر القصة يعتبر دائما الحدث الذى يواكب عصر (الجاز). لقد فرضت القصة نفسها على الناس فأصبحوا يرددونها كما يرددون الأغنية الشعبية الكاملة والجميلة هكذا قال «Glenway Wescott» عن القصة. وهكذا قال المؤرخون الاجتماعيون: «إن القصة كانت تقرأ على التلاميذ فى أوائل العشرينيات»، لقد أثارت القصة جدلا بين الناس عما إذا كانت حفلات المجون قد انتشرت عندما أعلن عنها الكاتب فى القصة، أم أنها كانت منتشرة قبل ذلك بعامين. لقد كان من مسئوليات هذه القصة وخاصة فى الجزء الأول أن تجعل البطل Amory Blaine وكأنه جاسوس فى وسط جيله حين يفشى أسراره فيقول: «لاأحد من الأمهات الفيكتوريات (وأغلبهن فيكتوريات) تعلم أن بناتها قد تعودن التقبيل من الرجال دون أى اكتراث. وأن الفتاة التى تسمح أن يقال لها أنها : (أنت جميلة) تصبح عرضة (للمغازلة)، والفتاة التى يغازلها الرجال، تصير فتاة لعوب. وسهلة الوقوع فى أحابيل الرجال. لقد شاهد Amory الفتيات وهن يمارسن أعمالا كانت تعتبر مستحيلة أن تطرأ على خياله. رآهن يأكلن فى الثالثة صباحا ويتناولن العشاء، وبعد الرقص فى مقاهى مشبوهة، ويتحدثن فى مجون وسخرية. كل ذلك كان يعتبره Amory إسفافا أخلاقيا حقا «هذا الاسفاف الأخلاقى الذى كان يتصف به جيل ما قبل الحرب،قد أعطى القصة الشهرة لأنها تكشف عن الفضائح التى كانت حقيقة اجتماعية أيضا».

أما اليوم فالمجون الشبابى الموجود فى القصة سواء كان من جانب الفتيات أو الشبان، فإنه لايثير مشاعر البنات فى المدارس. لقد وضح فى النهـاية أن Amory وإن كان من دعاة الفضيلة فإنه لايرى أية غضاضة فى التقبيل وبحـرارة متـى سنحت له الفرصة، على ألا يكون ذلك مع فتاة من فتيات الملاهى (لانراه يشـعر بوخز ضميره حين انقطع للشرب ثلاثة أسابيع عندما فسخت فتاة خطبتها منـه). إن قصة (This Side of Paradise) فى نظر القارئ الحديث تعتبر مفيدة جدا لمـن أراد دراسة تاريخ المجتمع وأخلاقياته. لقد كان الكاتب يرمى من وراء قصته هذه أن يبين لأبناء جيله كيف يكون هيئته فى المستقبل، وكيف يخـطط طـريقه مـع معاصريه من الناس. إن قصة (This Side of Paradise) ليست قصة المجون مـن خلف الأبواب المقفلة حيث يقول الفتى للفتاة: «احكى لى عن نفسك ومـا هـو شعورك تجاهى؟». فالقصة تعتبر تقريرا عن الشباب واستعداده العاطفى للحيـاة. فقد تحدث الكاتب عن قصته الأولى هذه فقال: «يظن بعض الناس أنها خيـالية وملفقة ـ ربما كانت كذلك ـ وكثيرون يظنون أنها كذبة فهى ليسـت كذلك». إن القصة تدل على أن الكاتب يملك الموهبة اللازمة للكاتب الروائى حتـى إن John Peale Bishop قال عنه: «إنه يملك تلك القدرة النادرة التـى يمـكن أن تمنحـك العواطف الرومانسية الساذجة، ثم بعد نصف ساعة تنظر إليها فى سخرية وكأنها شىء غريب عنك»، لقد كانت هذه العواطف الساذجة هى أحـد أسـباب نجـاح القصة مثل: الغرور، والشعور الشديد بالذات، عندما يمر الانسان بتجربته الأولى فى الحب، وهى ما يسمى العلامات الأولى للكبرياء، كما كانـت مـدعاة لسـخرية الكاتب وإن كانت سخرية رقيقة جدا. لقد تضمنت القصة أيضـا بعض الأفـكار الغريبة عن أمريكا حتى Edmund Wilson قال: «إن هذه القصة لاتقـول شـيئا معينا، وإنها تدور حول لا شىء، وهى من الناحية الفكرية لا تـؤدى إلا لايمـاءة، مجرد إشارة لثورة غير مفهومة».

وفى نهاية القصة نلاحظ أن عبارات وجمل الكاتب (وهى عادة عبارات وجمـل رقيقة)، أخذت تتسم بالخشونة، ونرى ذلك واضحا فى حديث Amory عندما يتمثل

بشخصيات Renan و Samuel Butler و Voltaire ليجـابة بهـا أبـويه فى شـدة السيف، كرد فعل لنفقاتهما. إن أجمل صفحات هذه القصة هى تلك التى جـاءت فى أولها حيث كان الكاتب يذكر فى تفصيل مدهش الحياة فى «Newman School»، وفى جامعة «Princeton» ولقد اعتاد بعذ ذلك أن يجد من السهل عليه العودة إلى أيام المراهقة. هذه الأيام التى كانت فيها المشاعر هـى كل شـىء، حتـى أن Bishop اتهمه مرة أخرى بأنه يرى أن سن السابعة عشرة، هو أوج الحيـاة، وأن الحياة بعد ذلك تبعد رويدا رويدا عن الكمال. فرد عليه الكاتب قائلا: «إذا جعلت السن خمسة عشرة فإنى أوافقك».

لقد هبط النجاح على Fitzgerald دفعة واحدة وكان عـام ١٩٢٠ هـو قمـة نجاحه. ففى هذا العام نشرت جريدة «Saturday Evening Post» ستا من قصصه، كما نشرت مجموعة Smart خمس قصص نشرت مؤسسة «Scribner» قصتين، ويلغ مجموع ما حصل عليه من الكتابة عام ١٩١٩، ٨٧٩ دولارا. أما فى عـام ١٩٢٠ فقد بلغ دخله من الكتابة ١٨٨٥٠ دولارا، وهو عبارة عما حصل عليه من رواياته، ومن بعض قصصه التى نشرت فى المجلات وبعض المقالات وحق إخراج قصتين للسينما. لقد كان نجاحه فى التعامل مع جريدة «Saturday Evening Post» وكذا مع شركات السينما قد دله على اكتشاف الطريق إلى الرواية الشعبية والربح الوفير. وعلى مدى خمسة عشر عاما (أى مابين عام ١٩١٩ وعام ١٩٣٤)، بلغ مـاكسبه حسب تقديره أربعمائة ألف دولار جاءه أغلبها من الكتابة للمجلات والسينما. ولقد كان الكاتب دائم الحذر منذ نجاحه من الاغراءات التى تقدمها الكتابة التجـارية، وأنه قد استعد لحماية نفسه من الوقوع فيها، ولكن هلى استطاع أن يسـتمر فى هذه الحماية؟ لقد اعتمل الصراع فى داخله حتى ظن البعض من أصدقائه أن هذا الصراع بين استغلال موهبته استغلالا صحيحا واستغلالا سيئا، إنه كان السبب فى وجود شرخ فى نظرته لاحترام نفسه، كما كان السبب أيضا فى تحطيمه باعتباره كاتب قصة. لقد قال عنه Dos Passos : إن Fitzgerald قد ابتكر لجيله من الكتاب كيفية الكتابة للمجلات الشعبية، وإن ابتكاره هذا كان سببا فى مـوته. فقـد كان

الكاتب فى صراع مستمر مع ضميره الأدبى، وقد ظهر ذلك بـوضوح فى خـطاباته ومذكراته. فقد كتب إلى Maxwell E. Perkins المحـرر فى مـؤسسة «Scribner» للنشر يقول: «إنه يدرك تماما أنه يمتلك القدرة على أن يكون رخيصا فى كتـاباته، إن هو أراد ذلك»، وفى شتاء عام ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ احتاج إلى بعض المال فـركز اهتمامه على كتابة قصص لمؤسسة «Hearst» الدولية، وحصل على مبلغ ١٧٠٠٠ دولار (سبعة عشر ألفا). لقد كتب إلى Edmund Wilson يقول عن هذه القصص: «إنها كانت هراء، وكادت تدمى قلبى»، ولكن كانت له صيغة أخرى ليعبر بها عن نفسه قال: «إنى كاتب محترف صانع فى الأدب» وياحبذا لو أنه قال: «إنى أعرف متى أكتب ومتى أتوقف عن الكتابة»، لقد أراد أن يكون كاتبا جيدا ومشهورا. إن حياته المترفة كانت تقوم أساسا على مايكسبه من المجلات الشعبية، ولذلك فإننا نلاحظ أنه كرس أغلب وقته فى كتابة القصص الصغيرة، وكان ذلك فى المدة بيـن عامى ١٩٢٦ و١٩٣١ عندما تعرضت حياته للاضطراب، وأصبح من الصعب عليه فى هذه الآونة أن يتم كتابة قصة طويلة جديدة. وبالرغم من ذلك فإنه كان شـديد الكبرياء كروائى، ولكنه فى النهاية كتب اعترافا حزينا لابنته قبل وفاته بستة أشهر يقول فيه: «إن العجز وعدم القدرة على الكتابة كما يجب أن تكون يشـلنى عـن كسب المال، أو يمنعنى عن التفكير فى الماضى.. إن القليل الذى قدمته بمجهودى الشاق العسير لايكفينى. ليتنى لم أسترح أو أنظر إلى الخلف».

إن آخر إحصاء لأعماله يشير إلى إنه كتب أربع روايات طويلة، وما يزيد على مائة وخمسين قصة قصيرة، انتقى منها ستًا وأربعين ونشرها فى كتاب مسـتقل، هذا إلى جانب بعض القصص التى لم تنشر، من بينهـا سـبع قصص طـويلة، وسبعة مجلدات تحتوى على عدد من القصص، كان فى نيته أن ينشره فيما بعـد ليحقق مشروعا طموحا له. إنه كان يدرك تماما أنه ككاتب قصة، قد قام بإنجازات عظيمة. إن الأدب الأمريكى كان يمكن أن يكون فقيرا فى القرن العشرين، لو لـم تظهر فيه ست قصص على الأقل مما كتب هذا الكاتب، وكذا أربع وثلاثون قصة صغيرة مليئة بالحياة. لقد ظهرت المجموعة الأولى من قصصه القصيرة عام ١٩٢١

وقد نشرتها مؤسسة «Scribner» فى وقت مناسب جدا، أى بعد النجاح العظيم لقصته الطويلة (This Side of Paradise) وقد أطلقت المؤسسة على هذه المجموعة الأولى من القصص (Flappers and Philosophers). أما المجموعة الثانية التى أطلق عليها اسم (Tales of the Jazz Age)، فقد ظهرت بعد عام من نشر قصته الطويلة الثانية التى أطلق عليها (The Beautiful and Damned)، وهى تحتوى على تسع عشرة قصة قصيرة ـ المنشورة فى تلكما المجموعتين ـ بتلقائية أكبر، وباختلاف أوسع، من قصتيه الأوليين الطويلتين ـ صورا عديدة وتفصيلية للعادات والأخلاق، وهى التى رسمت (ولو فى أذهان المؤرخين)، ما يسمى بعصر الجاز. وفى عام ١٩٢٢ نلاحظ ومضة عن تصوره لعلاقته بجمهور عصر الجاز، فنراه يكتب إلى محرره عن قصته الثانية فيقول: «سيقبل على شرائها جمهورى من المراهقين والمراهقات الذين لا حصر لهم، وكذا طلبة المدارس الذين يعتقدون أنى نبى بشكل أو بآخر»، لقد كتب بعد ذلك قصتين حقيقتين هما «The Jelly Beans و Bernice Bobs Her Hair» وهما من القصص الشعبية، وكانت شخصيات (الشابين) فيهما لا تمتان إلى عصر الجاز، إنما كانتا نسخة من العصر الرومانسى. والشاب Jelly Bean شاب طيب الأخلاق يعمل ميكانيكيا فى جراج بإحدى مدن ولاية «Georgia» وكان فى الأصل ابنا لعائلة هى أكبر عائلات المدينة، ولكنها افتقرت. وفى ذات يوم انتبه إلى مسئولياته فى الحياة على أثر قبلة من فتاة لعوب اسمها Nancy Lamar ومع استيقاظ عواطفه كان شعوره الأول هو الاحساس بتفاهة الحياة، أما Nancy فى الشخصية المثيرة بالقصة، فهى تشرب الخمر وترقص وتغنى وتصطاد مع الرجال، وكل أملها أن تعيش كما تعيش Lady Diana تهوى ركوب المراكب. تحب أن تقلع فى مركب ينساب على بحيرة فضية وليكن نهر التيمز مثلا. تشرب الشمبانيا وتأكل شطائر الكافيار فى أثناء الشرب؛ أما Bernice ذات الشعر القصير فإنها قدمت من Eau Claire فى ولاية «Wisconsin». وهى فتاة بريئة أرادت أن تتعلم كيف تجذب الشباب نحوها، وإنما على نمط العائلات العريقة. لقد حاول الكاتب مرة أن يعلم أخته Annabel هذه الطريقة، ولكنه يئس من أن تصبح أخته Lady Diana.

لقد عاش الكاتب فى بيئتين ريفيتين إحداهما فى مونتجمرى فى ولاية Alabama والأخرى فى St. Paul وهو كروائى محنك استغل بكل دراية وثقة جميع أنواع العادات والشخصيات فى روايتيه، وكذلك فى رواية «The Ice Palace» لقد كانت Zelda Sayre تمثل عنده الفتاة المراهقة القادمة من الجنوب فى رواية (The Ice Palace) ولقد استغل الكاتب حالته وحالة زوجته ليتخيل الصدمات التى تقابلها فتاة جميلة من أهل الجنوب، حين تجد نفسها وسط الرجال والشبان فى Minnesota إن هذه الروايات وكذا القصة السينمائية The Off-Shore Pirate، كلها قصص مأخوذة من أحلام الفتاة التى تبحث عن الحياة فى عالم الشهرة والضوء أما قصة (Dalyrimple Goes Wrong) فهى تبحث – من وجهة نظر جندى سابق – أعمال الغش فى عالم المال والتجارة والسياسة، وقد استولى على الحكم فى هذا العالم جيل من المنافقين. أما قصة (The Lees of Happiness) وقصة (The Cut Glass Bowl)، فتبحثان مشاكل المنزل الأمريكى، وانحدار الحياة فى تيار الزمن ونهاية الجمال والرغبة المفقودة؛ إن قصص عصر الجاز تحتوى على كمية كبيرة من الشجن أكثر مما تتوقع.

ففى المجموعة الأولى نلاحظ قصتين مهمتين الأولى May Day والثانية (The Diamond as big as the Ritz) وترجع أهمية القصة الأولى إلى الموضوع الذى تحاوله، أما أهمية الثانية ففى ما أنجزته. ربما كانت قصة (May Day)، مقدمة لقصة لم تتم عن مدينة نيويورك فهى تعتبر بداية لعصر الجاز كما قال المؤلف نفسه بعد ذلك لقد كانت أكثر القصص التى كتبها الكاتب ثقلا، فقد استخدم فيها ثلاث عقد روائية متشابكة، لاحداث الحركة العامة للرواية وهكذا كان يفعل Das Passos فى قصته التاريخية، فالقصة تبدأ بموضوع اقتصادى. فنرى مجموعات من الناس تنظر بشراهة إلى فترينات المحال وما بها من محتويات براقة. وهنا نجد أن الكاتب يريد أن يستعير بعض الحيل المستعملة فى الأفلام السينمائية. أما منظر الناس ومعهم الجنود بأحذيتهم الغليظة والقديمة وهم يشربون الويسكى، فإنه من المحتمل أن يكون المؤلف قد استوحاها من قصص Norris و Dreisen

إن هذه الأشياء وإن بدت نقطة ضعف فى القصة فإنها من علامات تقدمه وتطوره فى الكتابة. فقد أراد المؤلف أن يستخدم هذا العالم الصاخب والفوضوى، كخلفية لدنياه البائسة فى خريف ١٩١٩، عندم سرح من الجيش وأصبح ضـابطا سـابقا يعيش على كتابة الاعلانات، مفلسا محطم القلب، بعد أن تركته فتاته. إن الصورة التى رسمها لشخصية Gordon Sterrett، تظهر بوضوح تام مـدى قـدرته علـى وصف الخوف من الفشل، وصفا مكثفا. ومدى تلهفه وانجذابه إلى الـكتابة عـن الفشل ومأساته. لقد قال Gordon: «أنا لا أستطيع أن أتحمل الفقر»، فرد عليـه زميل دراسته فى (جامعة Yale) قائلا: «إنك تشعر بـالافلاس أخـلاقيا ومـاليا، فعندئذ قال Gordon: «ألا تجدهما دائما متلازمين؟». أما قصة The Diamond as big as the Ritz، فهى قصة أمريكية خيالية وتهكمية. تأتى وكأنها حلم من أحلام اليقظة مثل تلك القصص الخرافية التى كتبها Haw Thorne عام ١٨٤٠، عنـدما كان الشعب الأمريكى يحلم بوجود فضائل مثـالية عنـد الجنس البشرى. نـرى الشاب الزائر لمملكة جبل الماس واسمه John. T. Unger وقد جاء مـن مـدينة صغيرة Hades فى الوسط الغربى. نراه وهـو يـرقب مضـيفة السـيد Bradock Washington وقد صار فى النهاية مجنونا، إنه يعتقد أنه بأمواله يستطيع أن يرشو له ولكنا نرى الشاب Unger، لم يستفد شيئا من الدرس فقد كره العـودة إلـى بلدته ثانيا ومعه الوريثة التى لا تملك مالا.

أما قصـة (The Beautiful and the Damned) فكانت محـاولة لكتابـة قصـة مأسـوية عن الحياة الأمريكية الموعـودة، التى فشـل الأمريكيون فى إيجادهـا، لقـد كان اسـم القصـة بـادئ الأمر (The Flight of the Rocket). كانت هـذه القصة هى الأولى والأقـل إقناعا من ثلاث قصص أراد بهـا الـكاتب أن يقـدم دراسـة عن الفشـل الأمريكى. لقد بدأ القصـة فى أغسـطس عـام ١٩٢٠ وفى أثناء ذلك كتب إلى نـاشره أن موضـوع القصـة هـو (حيـاة Anthony Patch عندما كان فى الخامسـة والعشرين وحتى الثالثـة والثـلاثين (١٩١٣ـ١٩٢١)، فهـو رجـل كغيره من الكثيرين يتمتعون بقدر كبير من الذوق وإلى جانبه يعيش

كثيرون ممن بهم نقط من الضعف من الفنانين الذين ليس لديهم الالهام الخلاق الذى يتمتع به الفنان.

والقصة تحكى كيف تحطمت حياة هذا الرجل، وحياة زوجته الشابة الجميلة على صخور التبذير والاسراف. إن Anthony Patch لا يشابه Amory Blaine ، فقد كان بعيدا بعض الشيء عن حياة المؤلف إذ هو ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية فى أمريكا، كما أنه كان الوريث الوحيد لجد أكثر من (مليونير)، واسم هذا الجد Cross Patch الذى جمع ثروته أيام البحث عن الذهب، وكان نفاقه الدينى من النوع الذى ندد به Mencken وتبدأ القصة كما لو أن Anthony Patch هذا سيضحى به على مذابح الغلظة والجفاء الأمريكى، والروح التجارية السائدة فى المجتمع حينئذ. حين تخرج من (جامعة Harvard) سافر إلى أوربا (روما) بحثا عن الجمال الفنى. وأمضى هناك سنة واحدة عاد بعدها إلى شقة وثيرة فى الشارع ٥٢، وهناك انضم ثانية إلى مجتمعه الصغير من أصدقائه العزاب، وكان يصرف من دخله الذى كان يبلغ سبعة آلاف دولار سنويا، ورثه عن والدته، ويعتبر Anthony شابا ثريا. وإن كان غير منحرف. ولم يكن شابا أمريكيا ثائرا، بل كان شابا لطيفا وبسيطا ليس له طموح سوى أن يبقى رجلا مهذبا. غير أنه كان يكن لجده شيئا من الاحتقار، هذا إلى جانب رغبته فى أن يبقى أعزب.

لم يكن فى أخلاقه شذوذ، سوى أنه كان يستخف قليلا مبهما بالحياة. وكان مرهفا فى حساسية بالاضافة إلى السبعة آلاف دولار دخله السنوى. لقد حدث أن وقع فى غرام Gloria Gilbert وهنا تأخذ القصة فى التعمق، وأنه كمحب وكزوج سرعان ما يستولى على عطف القارئ وخاصة بعد فشله. ولكنه من ناحية أخرى صار شخصية روائية حقيقية محددة المعالم. وحقيقة شخصيته تأتى كم هو الحال فى جميع أبطال المؤلف من التعبير بإرادته الرومانسية القوية. لقد استثمر كل ما يملك فى حياته مع زوجته Gloria ولكن القصة لم تبين لنا السبب الأخير فى فشله. ولم يكن هذا السبب على أى حال هو الصراع بين تطلعهم إلى الجمال من

ناحية، والأجيال الطامعة من الناس التى وطئتها بأقدامهم من جهة أخـرى. وإن كان هذا الأمر يشكل جزءا من السبب، لقد عاش الزوجان فى بذخ كبيـر وأنفقـا ثروتهما فيما لا طائل منه. لقد كان من المتوقع منـذ البـداية أن يـكون هـذا مصيرهما. ففى صباح يوم من الأيام وبعد أن شربا فى شراهة فى حفل أقاماه، قررا ألا يأبها بشىء، وألا يأسفا على شىء، وألا يبكيا علـى شـىء وأن يصرا علـى البحث عن السعادة.

إن قصة (The Beautiful and the Damned) هى فى الواقع حالة الكاتب، أكثر منها قصة شخصيات أخرى. فإن سوء الطالع الذى لازم Anthony و Gloria كان أمرا مفروضا على القصة، ولهذا نجد أن المؤلف جاء فى نهـاية القصـة وهـو لا يدرى ماذا عساه أن يفعل بالبطل والبطلة سوى أن يتـركهما يعـانيان. ولـم تلتمس القصة عذرا من طبيعة الأشياء، ولا من المجتمع. لـذا نجـد أن Gloria و Anthony قد تقبلا هذه النتائج كما لو أنهما قد حصلا عليها بجهدهما. ولـذلك تجد أن القارئ قد توقف عن الاقتناع بمنطقية النتائج من زمن سابق. إن فشـل هذه القصة ينبئ عن نقط الضعف فى فن كتابة القصة عند المـؤلف وتـظهر فى تقديم الشخصيات وفى قوة الدوافع. وبالرغم من ذلك فإنها كانـت نـاجحة مـن الناحية التجارية، فقد بيع منها ثلاث وأربعون ألف نسخة فى أول سـنة بعـد أن نشرت فى مجلة Metropolitan Magazine على شكل مسلسلات، وكان سبب نجاحها إلى حد كبير يرجع إلى الشائعات التى انتشرت فى هذه الآونة، بأن القصة، هـى السيرة الشخصية للكاتب، ولقد كانت كذلك فى بعض أجزائها. فقد اعترفت زوجة الكاتب فى تعليق لها على القصة فى جريدة New York Tribune بأنها تعرفت على أجزاء من يومياتها، وبعض الخطابات الشخصية (موجودة) فى القصة فقالت: «إن المؤلف يعتقد أن السرقات الأدبية تبدأ أولا فى المنزل»، وفى يـونيو عـام ١٩٢٢ ظهر مقال اجتماعى يعالج الحياة الأمريكية فى هذا الوقت فى جـريدة New York Times يشيد بالقصة لأنها تبين بشكل مفصل ودقيق، كل ما يدور فى منزل أقيـم فيه حفل شراب تقليدى فى أمريكا بالرغم من قانون منع الخمور. كانـت حفـلات

Anthony و Gloria تقام فى كوخ فى Connecticut يشبه تماما الكوخ الذى كان المؤلف يستأجره فى Westport فى شهر مايو ١٩٢٠ بعد إتمام زواجه مباشرة. ولكن المؤلف وزوجته لم يستطيعا البقاء طويلا فى ريف Connecticut فنجدهما يذهبان ثانية إلى نيويورك وفى صيف ١٩٢١ يسافران إلى انجلترا وفرنسا، ثم يعودان إلى St. Paul فى شهر أغسطس وفى أكتوبر أنجبت Zelda ابنتهما الوحيدة وفى St. Paul حيث بقيا لمدة عام، كتب المؤلف عددا من القصص القصيرة، ثم بدأ قصة طويلة بطلها كاثوليكى من الطبقة الوسطى، ثم نحاها جانبا لينتهى من محاولته الأولى لمسرحية كوميدية اسمها The Vegetable وكانت مسرحية رديئة مثلت بعد سنتين، ولكنها فشلت من أول محاولة. لقد كانت St. Paul ذات طابع ريفى حتى أنهما لم يستطيعا الاستمرار فيها إلا مدة قصيرة.

ففى أكتوبر ١٩٢٢ انتقل إلى البيت الذى احتوى أغلب ذكرياتهما وهو منزل كبير فى Great Neck فى Long Island وعلى عدة صفحات من قصة (The Great Gatsby) نجد صورة قوية جدا لحياتهما فى Long Island، وهى الصورة التى دخلت التاريخ الفلكلورى الامريكى عن طريق وصف الحفلات التى كانت تقام فى البيت والضيوف الذين كانوا يحضرون هذه الحفلات. فحياتهما فى هذا المنزل الكبير بلغت أقصى ما بلغته فى درجات الاسراف والترف. فقد بلغت مصاريفهما فى السنة الأولى ستة وثلاثين ألفا من الدولارات. لقد كتب المؤلف مقالا فى جريدة Saturday Evening Post يصف فيه حياتهما فى هذه الفترة حيث كانا يستضيفان أصدقاءهما من الأدباء أمثال Edmund Wilson و Ring Landner و H.L. Mencken و George Jean Nathan. وفى هذه الفترة كان المؤلف يمتنع عن شرب الخمر من وقت لآخر، حتى يتمكن من كتابة قصة جديدة. وفى ربيع ١٩٢٤، عقد الزوجان العزم على أن يحاولا توفير بعض المال، ولكى يفعلا هذا رحلا إلى جنوب فرنسا. وفى شهر يونيو استقرا فى فيلا فى St. Raphaèl على شاطئ الريفيرا. وفى نوفمبر أرسل الكاتب مخطوطات قصة (The Great Gatsby) لنيويورك وفى أبريل ١٩٢٥ نشرت القصة. إن هذه القصة قد تم مناقشتها ونالت إعجابا كبيرا

باعتبارها قصة تمثل قصص القرن العشرين الأمريكية. وربما كان ذلك فى غير صالح قصص المؤلف الأخرى. لم يستطع المعجبون حتى الآن أن يفهموا السبب فى أن المؤلف لم يكتب قصصا أخرى على هذا المستوى الرفيع، الذى يصل إليه هو نفسه بعد ذلك.

والقصة تدور حول صبى فقير يعمل فى مزرعة لأحد من أهالى داكونا الشمالية ويدعى James Gatz ، وحاول أن يقلد بعض دعاة الأخلاق الأمريكيين مثل Benjamin Franklin ، ثم مضى فى الحياة حتى أصبح رجلا ثريا ومجرما قويا باسم Jay Gatsby وفى أثناء سيره فى الحياة، وحين كان ضابطا فى معسكر للتدريب بولاية Kentucky وحين استقبله المجتمع الأمريكى، تخيل أنه قابل وتزوج من فتاة جميلة من أهل الجنوب تدعى Daisy Fay ، ولكنه اضطر أن يترك Daisy وراءه، حين سافر إلى فرنسا فسنحت الفرصة لرجل غنى من مدينة Chicago فتعرف عليها. فلما عاد Gatsby من فرنسا لم يجد أمامه سوى أن يلاحقها، وتمكن من إقناعها بخطئها بالطريقة الأمريكية، وذلك بأن عرض عليها حياة الترف فى منزل فخم به حمام سباحة خاص. وكمية كبيرة من الملابس الحريرية الممتازة، وفى لحظة ضعف منها تركت حبيبها مؤثرة متاع الحياة.

إن الاختلاط القوى بين أحلامه بالحب والمال، وعزيمته الرومانسية القوية، كل ذلك صنع روح القصة ودفع فيها الحركة والحياة، لقد استعان الكاتب بحيل عديدة وذكية فى سرد أحداث القصة. وكانت محاولة الكاتب تصوير قيام مجرم ثم سقوطه (وإن كان مهذبا)، وكذا تقديم هذه الصورة ليراها التاريخ الحديث فى أمريكا لهى محاولة فى غاية الجرأة من جانب المؤلف. إن القارئ ليشعر بعمق روح الكاتب الرومانسية فيما يسميه الانجليز: «الرغبة الملحة عند الأمركيين للبحث عن تاريخ»، وهو مانسميه الآن بحاجاتنا إلى: «خلق تاريخ يمكن السيطرة عليه نستخلصه من الحاضر العظيم»، لقد عرف الكاتب من حياته فى أمريكا أن الطبقة الوسطى فى وسط الغرب هى فى الحقيقة الطبقة التى تتمثل فى الرجل الأمريكى

الذى عاد من الشرق بأحلام جديدة عن المال. على ذلك ينبغى على القــارئ أن يشعر بالقلق عن هذا الثراء الباهر الموجود فى القصة إذا وضع ثقتــه فى «Nick Carraway» (الراوى). هذا الرجل القادم من وسط الغــرب. إن Nick Carraway يقودنا فى أمان وسط هذه الفوضى الخلفية المتفشية فى الشرق الغنى. ثم يرجع بنا مرة ثانية إلى الريف حيث الكرامة المؤسسة على دعائم من النــظم الاجتمــاعية القويمة والتى مارستها العائلات القديمة. وقد نجد من تلك العائلات مــن بقــى لثلاثة أجيال فى بيت واحد لم يتغير. لقد كان استخدام Nick كوسـيلة للسـيطرة على سير القصة من جانب الكاتب عملا ناجحا وفى غاية البراعة. فالنغمة الهادئة التى كان Nick يحكى بها ذكريات مشاعره تعطى القصة شيئا من الهــدوء والصــفاء مما دعا الكثير من عشاق الكاتب إلى مقارنة القصة بالشعر الباستورالى (شــعر الرعاة). إن القارئ يشعر بوجود Nick عندما تكون هناك حاجة لوجوده، ولــكنه يقحم نفسه على المنظر. كان يتهكم حتى على نفسه. وتهــكماته كانــت واســعة الأفق. فهى تضم الأدوار الكوميدية لأشــخاص مثــل Myrtle Wilson وصــديقه Buchanan كذلك تضم جاذبية Daisy التى لاتقاوم. وتعتبر القصة والحــالة هــذه عملا خياليا ضخما. فهى تحاول أن تضع أمام القارئ عالم المــال العجيــب فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية، وكذا المبادئ الأخلاقية التى ضــحى بها فى سبيل الحصول على المال. وفى هذه الآونة قبلت العقول الأدبية قصة (The Great Gatsby) باعتبارها عملا لاينافس. أنتجته قوة الخيال.

إن الحقيقة الرئيسية فى حياة المؤلف فى الفترة عندما كان فى الثامنة والعشرين وإلى الرابعة والثلاثين. وهى عدم قدرته على كتابة قصة جديدة. لقد ظهــر أنــه كان يعرف طــوال هــذه الفترة نوع القصص التى يتطلع لكتابتها. لقــد ســماها (القصص الفلسفية)، أو القصص النفسية كما تسمى اليوم، لقد بــدأ فى كتــابة قصة (The World's Fair)، ثم ترك الكتابة فيها وفى عــام ١٩٢٩ كتــب حــوالى عشرين ألف كلمة (تصف تاريخ حياة رجل فاشل). أما هذا البطل فــكان شــابا يعمل فى صناعة الأفــلام السينمائية ويدعى Francis Melarky، جاء إلى الريفييرا

فى إجازة من عمله فى هوليود، وهنالك وفى لحظة غضب قتل أمه التى كانت قد تبنته فى الماضى. وفى نفس السنة انصرف الكاتب عن قصة قتل الأم هذه وأبدل عنوان القصة (The Drunkard's Holiday) وحين وقعت زوجته Zelda عام ١٩٣٠ فريسة لمرض عصبى، أقحم على القصة مأساة أمريكية مختلفة وأصبحت القصة الجديدة هذه تتضمن جزءا من قصة حياته هو كما فعل فى قصة (The Beautiful and the Damned) والشيء المؤسف حقا فى هذه السنوات أن الكاتب كان مقدرا عليه أن يخلق لنفسه أسباب عذابه ثم يقوم بدراستها كما لو أنها ليست من عنده، ثم يستخدم هذه الدراسة فى قصص الاعتراف التى كان قد دفع كتابتها. لقد نظر الكاتب للخلف فرأى حياته تقبل على النهاية، ثم نظر ماذا قدم فكتب لابنته خلاصة حياته وأعماله، فقال: «إنى لست عظيما. إنما أنا أتصور فى بعض الأحيان أن الصفة العملية لعبقريتى كانت الحفاظ على القيم الأساسية وكذا هذا النوع من المجد والعظمة والدراسة. ومع ذلك فإنى فى بعض الأحيان أسلى نفسى بمثل هذه الأوهام».

إذا قبلنا تحليل الكاتب لنفسه فلا يتبقى لنا سوى أن نعجب من الثمن الباهظ الذى دفعه نظير الحفاظ على (القيم الأساسية) لتاريخ عبقريته الأدبية. ففى الفترة التى مرت بين نشر قصته Gatsby وعودته النهائية عام ١٩٣١ وكانت عائلة المؤلف تتردد بين أوربا وأمريكا، كما لو أنها لاتجد بيتا تأوى إليه. وكانت حياته فى جنوب فرنسا أو فى باريس أكثر إسرافا عما كانت عليه فى أثناء فترات بقائه فى أمريكا. لم يصل البيع لقصته Gatsby المستوى الذى وصل إليه البيع لقصتيه الأوليين. ولكنه حصل من السينما والمسرح مايزيد على ٣٠٠,٠٠٠ دولار. وبالرغم من الدخل السنوى الثابت الذى بلغ ٢٠,٠٠٠، والذى ارتفع فى بعض الأحيان إلى ثلاثين ألفا، فإن المؤلف حين عاد إلى أمريكا ١٩٣١، كان لايملك إلا أقل القليل من المال. إن هذه الفترة قد شملت كل السنوات التى كتب فى أثنائها بصفة منتظمة ومستمرة القصص والمقالات التى نشرت فى الصحف. فبين عامى ١٩٢٥، ١٩٣٢ نشر له ست وخمسون قصة، أغلبها نشرته جريدة Saturday Evening Post

ولكن.. وكما قال Malcolm Cowley الناقد الأدبى: «إن النقاد لايقــرءون جــريدة Post. وبدأت شهرة Fitzgerald فى الانحدار حتى وصلت إلى مستوى لم يســتطع النهوض منه طوال فترة حياته».

لقد اختار الكاتب خير ماكتب من قصص صحفية طوال هذه الفترة وجمعها فى مجموعتين: الأولى بعنوان (All The Sad Young Men)، وظهــرت عــام ١٩٢٦، والمجموعة الثانية ظهرت عام ١٩٣٢ بعنوان (Taps at Reveille) أمــا فى الــوقت الحاضر فقد ظهرت له مجموعتان:

الأولى بعنوان The Stories of F. Scott Fitzgerald وقد أعدها للنشر Malcolm Cowley والثــانية واســمها Afternoon of an Author وأعــــدها للنشر Arthur Mizener. ولقد أثبتت المجموعتان أن جميع ماكتبه المؤلف من القصص الجيدة والتى نشرت فى الصحف إبان الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته، كانت كلهــا صالحة للقراءة فى الوقت الحاضر. كانت قصة (Winter Dreams) من أجمل قصص المجموعة التى أطلق عليها اسم All The Sad Young men وهى عبارة عن مزيج بين قصة Jay Gatsby و Daisy Buchanan اتخذت من مــدينة St. Paul مسرحــا لحوادثها، وفى هذه القصة نلاحظ أن Gatsby قد ترك الساحرة وتعلم كيف يتقبــل ماهو قليل. لقد كانت أحلام Dexter Green كأحــلام Gatsby، أقــوى ممــا كان يتوقع، فعندما فقد أحلامه، فإنه فقد أيضا قدرته على الحب. حب أى شىء ولــم يعد يشعر بشىء مايمثل القوة التى كان يشعر بها من قبل. وقصة (Absolution) وكانت من أوائل القصص التى كتبها، استوحى فكرتها من شخصية Gatsby فقد كانت رسما (كروكيا) مثيرا لأيام صــبا James Gatsby فى Red River Valley فى ولاية North Dakota. لقد نشرها المؤلف كقصة مستقلة عندما أراد أن يحتفــظ بسر حياة Gatsby فى السنوات الأولى. ثم قصة (The Rich Boy) التى كتبها عام ١٩٢٦، وهى تعتبر (باتفاق جميع الآراء)، واحدة من أحسن ست قصص كتبهــا المؤلف. نرى فى هذه القصة «Anson Hunter» الشاب الغنى الذى يعيش فى دنيا نيويورك. لقد كون حياته تكوينا مناسبا لأن المؤلف أراد ذلك بعد أن فهم الحياة

فى نيويورك على حقيقتها. إن هذه القصة المركزة جدا، التى يبلغ عدد صفحاتها تسعا وثلاثين صفحة، تشتمل من المادة القصصية مايكفى رواية كبيرة لأى كاتب آخر أقل حنكة ودراية ودربة. إن نجاح هذه القصة يبدو أنه مبرر لاهتمام المؤلف بحياة الأغنياء.

فى خلال الثلاث سنوات التى ابتدأت من عام ١٩٢٩ أرسل المؤلف إلى جريدة Saturday Evening Post مجموعة من قصصه بلغت أربع عشرة قصة، دارت حول حياته فى صباه، وحياته فى السنوات المبكرة من رجولته. وتعالج الثمانى قصص الأولى حياة «Basil Duke Lee»، وهى صورة من حياة الكاتب نفسه. أما الست الباقية فقد كانت تدور حول شخصية «Josephine» وهى صورة للفتاة الحلوة الجذابة، ذات السبعة عشر ربيعا، والتى كانت حبه الأول. لقد كان من مميزات الكاتب أنه يستطيع أن يعيش مرة ثانية فى سنى شبابه، وقد بلغ الثلاثين من عمره، وكان يشعر بمرارة البؤس والتعاسة فى هذه السن. لقد بدأ الكاتب فى أن يعرف اليأس عندما عجز عن كتابة قصص جديدة ذات موضوعات جادة، وهذا اليأس أورثه حالات من البؤس دفعته إلى أعمال من العنف أمضى بسببها بضع ليال فى السجن. وفى عام ١٩٢٨ حين كان فى فرنسا كتب إلى Perkins يقول: «إذا رأيت أحدا ممن أعرفهم فقل لهم بأنى أكرههم وعلى الخصوص هو. إنى لا أرغب فى رؤية أحد منهم مرة أخرى. لماذا لم أصب بالجنون وقد كان أبى أبله، وكانت أمى تعانى من مرض عصبى، أى أنها نصف مجنونة». لم يكن يدرى فى هذه الفترة سوى أنه موزع الحياة خاصة حين وقعت امرأته Zelda تحت وطأة المرض، فراح يكتب قصصا قصيرة تملأ النفس بالغثيان، وتبعث فيها نوعا من الاتهام. وكان من بين هذه القصص قصة بعنوان Tender is the Night وفى خريف ١٩٣٠ ظهر له فى جريدة Saturday Evening Post الجزء الأول من هذه المجموعة، وكانت أولى قصصه بعنوان One Trip Abroad، وكانت هذه القصة على نمط القصة الخيالية التى كتبها James وهذه القصة تدور حول انهيار شابين ساذجين من الأمريكان. لقد كتب المؤلف فى مذكراته يوما يقول: «إن فرنسا هى الأرض

وانجلترا هى الشعب أما أمريكا فهى العزيمة والقلب، فى هذه القصة نجد شـابا وزوجته هما Nicole Kelly و Nelson قد حضرا إلى أوربا ومعهمـا بعض المـال ليتمتعا بالحياة الطيبة. وكان للزوج موهبة الرسم، والزوجة لها موهبة الغناء. ولكن رغبة القلب ليست كل شىء. فقد كانا غير جادين، ولا يملكان مـن الامـكانيات والمواهب ما يجعلهما فى غنى عن الغير. فحيويتهما الأمريكية جعلت حياتهما غير مستقرة قلقة فاضطرا إلى الاعتماد على الناس، وانغمسا فى الحفـلات والشراب، وكان من أثر ذلك أن تبلد شعور كل واحد منهما تجاه رفيقه. بل وأدى ذلك إلـى المنازعات بينهما من وقت لآخر، حتى انتهى بهما الأمر إلـى المصـحات ودور النقاهة فى سويسرا. أما قصته «الزيارة الثانية Babylon Revisited» فهى قصـة تستدر عطف القارئ. فهى صورة أخلاقية لأمريكى عولج من إدمانه الخمر، وحين خرج من المصحة واجه تهمة اشتراكه فى جريمة قتل زوجته فى أثناء شجار وقـع بينهما فى باريس قبل عدة سنوات، ثم أراد بكل الوسائل أن يستعيد ابنته التـى كانت تعيش فى وصاية خالتها وخالها. لقد كان على استعداد تام ليدفع أى شىء، ليقفز إلى الوراء جيلا بأكمله حتى يسترد ثقة الناس به من جديد.. ولكن «شارل ويلز Charlie Wales» لم يتمكن من الهروب من أسباب حنقه وغضبه على الماضى. فلم يتعلم سوى أن يواجه هذه الأسباب باعتزاز وكرامة.

إن القصة الكبيرة Tender is the Night قد أتم كتابتها فى شكلها النهـائى فى الوقت الذى كان يعيش فيه قريبا من زوجته المريضة التى كانت تحت العلاج فى «بلتمبور». وفى هذه الأثناء أيضا كتب قصـة الـزوجة Save me the Waltz. وفى المدة من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٣، طرأ تحسن كبير على حالة الزوجة فـأتم المـؤلف كتابة المخطوطات. وفى أبريل ١٩٣٤، وعندما كان يقرأ أصول القصـة تعـرضت الزوجة من جديد إلى نكسة شديدة نقلت على أثرها إلى المستشفيات حيث بقيت بها فترة ستة أشهر. وبذلك تكون حياتهما قد انتهت. والعجيب هنا أن تكون قصة كهذه كتبت تحت هذه الظروف العاطفية الضاغطة، تكون قـد تميـزت بـالتعقل والموضوعية.

وفى اختصار شديد فإن القصة تدور حول زواج طبيب أمريكى (طبيب نفسانى) يعمل فى سويسرا عام ١٩١٩ اسمه ريتشارد ديفر Richard Diver يقع هذا الطبيب فى غرام مريضة من مرضاه تسمى Nicole Warren من مـدينة شـيكاجو فهـى أمريكية أيضا. ولكنها على يقين من أنها كانت تعـانى مـن مـرض انفصـام الشخصية ولهذا حولت إلى قسمه. ولقد كرس الطبيب (على حد قـول المـؤلف) حياته لعلاجها، حتى كتب له النجاح وتم لهـا الشـفاء فى آخر الأمر، ولكن بعـد أن كان الطبيب قد تحطم. لقد صور الكاتب بطلة قصته وكأنهـا أميـرة رائعـة الحسن تنتمى إلى عائلة أمريكية ذات سطوة وسلطان، وكانت شهرة العائلة ترجع إلى ثرائها. أما Nicole فقد كان سبب مرضها نتيجة لاعتداء أبيها جنسيا عليها، لقد هاجم القصة كثير من القراء، لأن المؤلف ترك أسباب تحـطيم Dick Diver (الطبيب) غامضة ودون أى توضيح: فهل هو الاهمال؟ هل حطمته الزوجة الغنية؟ أم أن اختياره السيئ لها كان السبب؟ أما الشىء الواضح الـوحيد فى القصـة فكان: الرغبة الشديدة عند Dick فى التضحية بنفسه، حتى أنه كلف نفسه أكثـر مما يستطيعه رجل آخر. وبالرغم من تلك الأخطاء فإن القصة تعتبر أغنى قصص المؤلف الطويلة. فالقصة مملوءة بالمواقف القوية التى تتجدد فيها الحياة كل مرة حين يطالعها القارئ كما تضم أكبر عدد من الشخصيات التى جمعها الـكاتب فى قصة واحدة. إن هذا الصنف من الناس الذى ينتمى إليه Dick غيـر مـوجود، ولكنه كان يقوم بواجبه كما لون كان مجتمعه موجودا. فعليه أن يجلب السـعادة للناس ومن بينهم زوجته. عليه أن يساعدهم على مجالدة الأنانية، وحـب النفس، وأن يسمح لطموحهم الانسانى أن يكون فعالا وقادرا. ولما صـار الـدكتور Dick يتخيل أنه يسمع (ضحكا من الداخل)، وجد أن ذلك ثمنا لكبريائه، فاختار الرحيل وعاد إلى أمريكا، حيث أخذت حياته فى الذبول تدريجيا، وينتهى فى قرية صـغيرة بالقرب من نيويورك، حاول فيها أن يمارس مهنة الطب من جديد، ولكنه لم يفلح. إن شخصية الطبيب تشبه كثيرا شخصية الكاتب، ولكن ينقصها حيـويته وقـوة أهدافه وحبه الشديد للأدب. إن الاستقبال السـيئ لقصـة Tender is the Night

كان بمثابة لطمة شديدة أصابت ثقته بنفسه كمؤلف فى الوقت الذى لم يبق فيه إلا هذه الثقة. لقد لاحظ النقاد الكبار نفس الأخطاء فى القصة، وهى أن الكاتب لم يكن واثقا من الأسباب التى دفعت Dick إلى الانهيار، كما أن نهاية القصة جاءت غير مقنعة، ولم يستطع المؤلف أن يدافع عن القصة إلا عن طريق الخطابات التى أرسلها إلى أصدقائه طالبا منهم أن يقرءوها قراءة متأنية. لقد تمكن من بيع ثلاث عشرة ألف نسخة من القصة فقط. أما مجموعة قصصه القصيرة التى نشرت فى العام التالى تحت عنوان Taps at Reveille، فقد قوبلت بموجة من العداء، حتى أن البيع منها لم يبلغ بضعة آلاف. لقد كانت فجيعة مؤلمة لكاتب كان عام ١٩٢٥ يتلقى خطابات التهنئة من Edith Wharton و T.S. Eliot و Willa Cather فى حين أنه فى عام ١٩٣٢ و ١٩٣٣ (عندما كان يكتب قصة Tender is The Night) لم يتسلم سوى خمسين دولارا فقط نظير حق التأليف عن كل ما كتب سابقا. زادت ديونه عند وكيله وناشره كلما انخفضت أسعار قصصه. وفى الفترة ما بين ١٩٣٤ و ١٩٣٧ ساءت حياته لدرجة أن أصيب بمرض السل، ثم استسلم أكثر فأكثر إلى الخمر واليأس. لقد حاول الانتحار مرتين قبل أن يبلغ الأربعين من عمره، ولكن فى عام ١٩٣٧ عندما بلغ الحادية والأربعين استطاع أن يسترد السيطرة على نفسه، وقبل عقدا ليكتب للسينما فى Hollywood وعندئذ بدأ فى دفع ديونه التى بلغت فى ذلك الوقت أربعين ألف دولار.

وعلى مدى ثلاث مقالات نشرتها مجلة Esquire فى ربيع ١٩٣٦، كتب المؤلف تحليلا ليقرأه الناس عن حالة اليأس التى كان يمر بها. حتى لقد اختلف القراء حول ما جاء بها من آراء. ولكن من الواضح أن جزءا من المسئولية، ثم التفكير، يقع على كاهل القراء والرأى العام، لأن المؤلف قد اختار النمط الذى يحيا فيه، لقد قال لأحد الكتاب الشبان فى ١٩٣٨: «أنت مضطر أن تتبع قلبك»، لقد فعل المؤلف ذلك كما نرى فى قصة Tender is the Night لذلك كتب له «همنجواى» فى ١٩٣٤، بعد أن قرأ القصة: «أنت ترى يابوب أنك لم تخلق لكى تكون شخصية تراجيدية، وأنا مثلك تماما، ولكن كلنا كتاب وعلينا أن نكتب ما يجب علينا أن

نكتبه، ولذلك نلاحظ أن «هيمنجواى و Edmund Wilson لم يوافقا Fitzgerald على أسلوب الاعتراف الذى يتبعه باعتبار أنه طريق ردىء للكتابة.

لقد اعتبرت المقالات الثلاث الاعترافية عن انهياره، بأنها مقـالات ممتـازة، واعترف بها النقاد على أنها أحسن ما كتب من القصص القصيرة الصـغيرة. إن (الفتور الروحى) الذى تصفه هذه القصص الثلاث، إنمـا مـرده إلـى (الخلل الحيوى) وكذا إلى الافلاس العاطفى؛ الذى كان يعانى منه جميع أبطال قصصه من الشبان أمثال Dick Diver و Anthony Patch. إن هذا الفتور الذى كان يعانى منه المؤلف، إنما يشبه الحالة التى كان يشعر بها الشاعر الانجليـزى Coleridge والتى دونها فى قصيدة (Dejection)، وقال عنها إنها (ضياع السرور).

لم يبلغ أسلوب المؤلف القمة فى استعماله اللغة العامية بشكل رشـيق، مبلـغ ما وصله فى الثلاث مقالات التى نشرت فى مجلة «Esquire». فقد كانت تشـبيهاته طبيعية وسهلة، حتى أن بعض القراء كان يظن أن المؤلف أراد من كتابة نشـره هذا بهذه الرشاقة، إنما أراد أن يخفى بشاعة تجربته، وأنه كان يقلد بكل بساطة الرجل المذنب الأنيق، كى يتجنب مواجهة الحقيقة المرعبة. لقد كانت اللغة التى كتب بها المؤلف، لغة تسمو على العواطف والأشجان، لتصل إلى الصراحة البريئة لرجل كريم عندما يقرر: «لم أعد أملك شيئا أكثر مما أعطت نفسى»، ولكنه حيـن كتب ذلك فكأنه أراد أن يعطى المزيد مرة أخرى.

ولما استقر المقام فى هوليود بالقرب من حبيبته «Miss Graham»، فإن المؤلف لم يعد فى حاجة إلى العودة إلى الشرق إلا فى فترات متباعدة وقليلة، ولكنه كان فى حاجة ملحة لكل قواه وعزمه، حتى يكبح جماح نفسه ليبعدها عن الخمر، وليستمر فى التمسك بالعقد ككاتب سينمائى. ولمدة عام ونصف كان يتقاضى ما يزيد علـى ألف دولار أسبوعيا. لقد ساعدته Miss Graham ليعيش حياة هادئة ومنتجة لمـدة عام بعد أن تقابلا ولكن... وفى أواخر عام ١٩٣٨ لم يجـدد عقـده. وفى فبـراير ١٩٣٩ طرد من عمله الجديد فى مدينة N ew Hanover. فى مقـاطعة Hampshire

لقد كان ذلك كارثة عليه كتبها Budd Schulberg فى قصة، ثم حولها إلى مسرحية سماها The Disenchanted. انتقل الكاتب عام ١٩٣٩ إلى نيويورك حيث بقى بضعة أشهر فى المستشفى، وفى يوليو من نفس العام بدأ يكتب قصصا قصيرة لمجلة Esquire. فقد كتب اثنتين وعشرين قصة فى مدى ثمانية عشر شهرا، وهى الباقية له فى الحياة. كان منها سبع عشرة قصة مرحة ورشيقة ولطيفة وتدور حول الفساد الذى عاش فيه كاتب سينمائى يدعى «Pat Hobby» ثم قصة صغيرة كانت قمة الابداع بعنوان (The Lost Decade)، وهى صورة مملوءة بالحرارة لرجل عبقرى موهوب كان محررا لعشرة سنوات.

وفى أثناء السنة الأخيرة من عمره، حاول المؤلف أن يكتب بقدر ما تسمح به قدرته المستهلكة قصة أسماها (The Last Tycoon)، ولكنه توفى وتركها وهى نصف منتهية. وحين نشرت عام ١٩٤١ بعد وفاته قال عنها الكثيرون من الأدباء المعاصرين له ومنهم Dos Passos و Edmund Wilson بأن القصة كانت العمل الكامل التام والناضج لعبقرية Fitzgerald. وهنا بدأت حركة لتقييم أعماله، وإن جاءت هذه الحركة متأخرة، إن قصة (The Last Tycoon) تتسم بصفات الثلاثينيات وتتميز هذه القصة كبقية قصصه بصور الازدهار فى أمريكا كأساس تنبئ عليه القصة. أما موضوعها فهو السينما فى هوليوود كصناعة ومجتمع، والانسان الأمريكى على الاطلاق. فبدلا من أن يعطينا الكاتب صورا باهرة للمجتمع الأمريكى، كما اعتاد أن يفعل فى رواياته السابقة، فإنه فى هذه القصة، أراد أن يسجل هذا المجتمع. فالصفحات المائة الأولى، تعود بنا إلى خلف الأبواب المغلقة للأستوديوهات والمكاتب التنفيذية فنطلع على ما يدور هناك، مع سرد تاريخى فى المرتبة الأولى. ويركز التاريخ على آخر ملوك السينما وأكبر منتج ومخرج فى هوليوود وهو «Monroe Stahr». فنراه وهو يدير هذه الصناعة المعقدة لينتج شيئا فنيا قويا، ومحبوبا من الناس وكل هذا بالصبر الذكى، والعزم الأكيد، حتى أن الرجل أصبح رمزا لعظمة الدور والشخصية الأمريكية... ولكنها بدأت فى الاختفاء. لقد قال المؤلف عن هذه القصة «إنها ليست كقصة Tender is the

Night ، فهى ليست قصة انحدار. إنها ليست كئيبة، ولا قاتمة بالرغم من نهـايتها المأسوية والحكاية فى القصة تدور حول كفاح «Stahr» كرجل مسئـول قـوى، فى مواجهة عصابات العمال فى صناعة السينما، وكذا فى مواجهة الكتاب الشيوعيين. فلقد كانت الحركة فى القصة تلعب دورا وكأنها شخصية من شـخصيات القصـة نفسها، وكان أسلوبه مرنا وواضحا ولم تظهر قوة عبقريته (من قبـل) فى إظهـار المعانى بهذه القوة من بين الأحداث كما ظهرت فى هذه القصة بالذات.

وليم فوكنر WILLIAM FAULKNER

بقلم
وليم فان أكنر William Van O'conner

إن مقاطعة «Yoknapatawpha» وعاصمتها «جيفرسـون» بولاية «مسيسيبى»، عبارة عن منطقة لها وجود حقيقى، ولكنه أسطورى فى الوقت نفسه. ففـى هـذه المقاطعة لا يمكن الفصل بين الحقيقة والأسـطورة لأن Faulkner أعـاد كتـابة جغرافيتها وتاريخها. وحتى أهالى وسكان (شمال المسـيسيبى) قـد أصـابهم التغيير. ولم يكتف Faulkner بذلك، بل حولها جميعا إلى أشياء تختلف عما كانت عليه قبلا. وإنه ليزيد من متعة الانسان أن ينظر إلى هذه المقاطعة وسكانها على أنها عالم قائم بذاته، ويتخيلها على أنها كذلك، بدلا من أن يراها من خلال واقع تاريخى دقيق. هذا التاريخ الذى يبدأ من أيام الهنود الحمر المعـروفين بـاسم «Chickasaw» الذين سكنوا (شمال المسيسيبى). وهذه المقاطعة تشـتمل علـى مساحة من الأرض تبلغ ٢٤٠٠ ميل مربع، يسكنها ١٥,٦١١ نسمة. وهناك دلتـا النهر الغنية بالصيد، والأرض التى تجمع بين الرمال والأشجار. وهنـاك مـدينة «جيفرسون» بسجنها وميدانها وبيوتها القديمة المتداعية، وهناك أيضـا الحـانة المسماة Beat Four، وكذا الشوارع المتربة، والبرك والمدافن والسكة الحديدية، وكذا النهر العظيم الذى يجرى هادئا وعميقا فى بعض الأحيان، ولكن حين يـأتى الفيضان يكون غضوبا ومدمرا. لقد تعاقبت عدة أجيال على سكنى هذه المقاطعة: هنود حمر ـ عبيد ـ ملاك مزارع ـ جنود ممن اشتركوا فى الحـرب الأهليـة ـ قطاع طرق ـ سيدات من الطبقة الأرستقراطية ـ قدامى المحاربين فى الحـروب

الأهلية ـ قدامى المحاربين فى الحرب العالمية الأولى والثانية ـ خدم ـ باعة متجولون ـ محامون ـ أطباء ـ طلبة مدارس وكثيرون غيرهم.

إن منظر الحمام وهو يطير فوق قبة جرس الكنيسة، والرائحة المنبعثة من الشجيرات المتسلقة وبعد ظهيرة يوم من أيام شهر يوليو المشمسة وأصوات حوافر الخيل وهى تدق فى رتابة حين عبورها الميدان وآلاف أخرى من المناظر كل ذلك أصبح بفضل قدرة Faulkner على الوصف إطارا لصورة كبيرة باقية على مر الزمن، ويمكننا أن نضيف أن هذه المقاطعة الأسطورية (وهى جزء من الجنوب الأمريكى)، تظهر لنا وكأنها شيء مختلف عن بقية أجزاء الولايات المتحدة فى الغرب والشرق والشمال. إن الفرد من أهل الجنوب (من سكان المقاطعة)، يحمل على كتفيه نصيبه من الذنب. نصيبه من الارث المؤلم والقطيع الذى بدأ بتجارة الرقيق واستجاب له كل واحد منهم بطريقته الخاصة.

لقد كانت الحدود التى وصفها Faulkner تقع فى الجزء الشمالى من ولاية مسيسيبى وخاصة مدينة «أكسفورد Oxford» التى كان اسمها سابقا «جيفرسون» ومقاطعة «لافييت Lafayette» وهى المقاطعة التى كانت تسمى فيما مضى «Yoknapatawpha». لقد عاشت أسرته هناك من قبل الحرب الأهلية. وكأى عائلة أخرى قام أفرادها بمنجزات كبيرة، كما شاهدوا أياما تعرضوا فيها للخطر. أما Faulkner، فقد تأمل وأمعن النظر فى تاريخ أسرته وتاريخه هو شخصيا ثم استخدام كل ذلك فى كتابة قصصه.

ولد الكاتب فى New Albany بولاية مسيسيبى عام ١٨٩٧. ولكن ما لبث أن رحلت أسرته عام ١٩٠٢ إلى مدينة «أكسفورد»، حيث توجد (جامعة مسيسيبى). وكان والده «Murray C. Faulkner»، يدير اسطبلا لتأجير الخيول ورعايتها نائبا عن أصحابها، كما كان له مخزن للآلات الحديدية. ولكنه صار بعد ذلك مديرا ماليا للجامعة. (إن حرف V الموجود فى اسم العائلة قد أضافه الرجل الذى طبع كتاب (William Faulkner) الأول بعنوان The Marble Faun. أما أم الكاتب فكانت

تدعى قبل الزواج Maud Butler، وقد كانت العائلة مكونة (عدا الأب والأم) من أربعة أشقاء هم Dean و John و Murray و William . أما جده الأكبر واسمه William Faulkner فقد ولد عام ١٨٢٥ وكان شخصية عجيبة جدا، كما كان معروفا فى جميع أنحاء (ولاية مسيسيبى) الشمالية. وقد كتب جده الأكبر هذا، كتابا ذكر فيه تفاصيل حياته. كما ظهر فى هذا الكتاب العديد من قصص الصعاليك والمتشردين ومغامراتهم. فقد اتهم الجد مرتين فى جرائم قتل وبرئ فيهما. واشتهر بالشدة فى تطبيق النظم واللوائح. وهو كجندى عرف بالجرأة خاصة عندما كان يتولى رياسة فصيلة من المهاجمين إبان الحرب الأهلية. لقد بدأ هذا الجد الأكبر حياته فقيرا يسعى لكسب قوت يومه وكان يعين أمه الأرملة. ولكنه حين توفى كان قد صار عضوا فى المجلس التشريعى، كما كان يملك شركة سكة حديد. ومات الجد الأكبر مقتولا بيد شريكه، لأن هذا الجد كان قد تفوق على القاتل فى الحصول على مقعد فى المجلس التشريعى. لقد أقيم لهذا الجد تمثال فى مواجهة مقر الشركة. وكان لهذا الجد ولد اسمه J.W.T. Faulkner، وهو الجد المباشر للكاتب، ولقد كان له نشاط ملحوظ إذ كان محاميا وصاحب بنك وموظفا قضائيا، كما اشترك فى الحركات السياسية التى أعطت حق التصويت للفلاحين والمستأجرين. وكان كل من يعرفه من أهالى «أكسفورد» يقول إنه كان متغطرسا وأصم وحاد المزاج وسريع الغضب.

من الواضح أن الجد الأكبر وكذا الجد المباشر كانا الصورة الأصلية للكلونيل Sartoris و Bayard Sartoris فى قصة (The Unvanquished) وقصص أخرى عديدة. إنهما جزء من أسطورة (الجنوب القديم)، فقد لعبا دورا مهما فى القصة التى كتبها الكاتب Faulkner ، والتى تروى بطولة مقاطعة Yoknapaawpha وتبدو عائلة «فوكنر» بطريقة غير مباشرة، إنها كانت النماذج الأصلية لعائلة Compson. فقد كانت الشخصية الرئيسية فى قصة (The Sound and the Fury) وكذلك كانت فى كثير من القصص الأخرى.

كان «وليم فوكنر William Faulkner» طالبا فقيرا اضطر إلى ترك الدراسة بعد الصف العاشر ليلتحق بوظيفة فى بنك جده. وكان كثير القـراءة، ينـظم الشـعر ويحاول الرسم. كان شابا سريع الغضب متقلبا، ويعتبر لغزا لأهالى «أكسـفورد». وفى عام ١٩١٤، قامت صداقة بينه وبين Phil Stone، وهو محام شاب، وقد أتاحت له هذه الصداقة فرصة الاشتراك فى المحادثات والمناقشات الأدبية، كما ساعدته أيضا على التعرف إلى الصاعدين من الأدبـاء أمثـال: «Ezra Pound و Robert Frost و Conrad Aiken و Sherwood Anderson».

وكان فوكنر ضئيل الجسم قصير القامة لا يزيد طوله عن خمسة أقدام، لـذلك لم يقبل فى الجيش، ولكنه يصمم على الالتحـاق بسـلاح الـطيران الملـكى فى «تورنتو» بكندا. وفى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩١٨ يوم تسريح الجيش رقى إلى درجـة الملازم الشرفية. وكالكثير من الكتاب الذين كانوا فى مثل سـنه، نجـده مهتمـا بالأحداث الجارية، وبالأزمات التى أعقبت الحرب العالمية الأولى. وكانـت كتبـه الأولى تتناول هذه الموضوعات، وكان من أواخر كتبه عن الحرب كتاب بعنـوان (A Fable).

وكجندى سمح له بالالتحاق (بجامعة مسيسيبى) فدرس بها اللغات الانجليزية والاسبانية والفرنسية. وقد بقى فى القسم الداخلى لمدة عـام واحـد. وأظهـرت أعماله التى اشترك بها فى مطبوعات الطلبة، أنه شاب ذكى يميل إلى التهكم وإن كان يجد صعوبة فى اكتشاف ذاته: هل هو فنان هاو أو محترف. ثم التحق بعـد ذلك بوظيفة فى مخزن لبيع الكتب فى نيويورك، ولكنه لم يستمر طويلا بها واضـطر إلى العودة إلى مدينة «أكسفورد» ولمدة عامين امتهن فيهما أشغالا غريبة: مـرة نجارا ومرة نقاشا فى المنازل، ثم التحق بوظيفة فى البريد فى الجامعة. ولكن سرعان ما استقال من هذه الوظيفة، فقد كتب فى خطاب الاستقالة مايلى: «سوف ألعـن نفسى، إن أنا بقيت لأكون تحت طلب ورهن إشارة واسـتدعاء أى صـعلوك يملك (سنتين) ليشترى بهما طابع بريد»، وفى نفس العام أى عام ١٩٢٤ ظهر له كتاب

The Marble Faun ، وهو يشمل عددا من القصائد التـى تقـوم علـى التقليـد والمحاكاة وكان «Stone» هو الذى تحمل نفقات طبع ونشر الكتاب.

قرر الكاتب بعد ذلك السفر إلى أوربا عن طريق «نيو أورليـانس». وفى هـذه المدينة بقى ستة أشهر ليكتب عدة صور أدبية فى مجلة «Times-Picayne» تحـت عنوان : (Mirrors of Chartres Street)، كما تعاون فى الكتابة مـع مجلـة Double Dealer، وهى مجلة ذات مكانة برغم صغر حجمها، وهناك أيضا أقام صداقة مع Sherwood Anderson الذى كان واحدا من الكتاب الأمريكيين الذين نالوا إعجاب القراء، وهناك أيضا كتب قصته الأولى (Soldier's Pay) وقد عـاونه «Anderson» على نشرها. لقد استمر صديقا «لأندرسن» هذا بـرغم اختـلافهما فى الـطباع والمزاج، مما تسبب فى قيام بعض المعارك بينهما، وبالرغم من أنه قلد بـطريقة تهكمية أسلوب «Anderson» فى كتابه Sherwood and other Creoles، وهو كتـاب يحوى صورا رسمها «William Spartling» أحد أصدقائه الذين عـرفهم فى «نيـو أورليانس»، وفى هذا الكتاب نرى صورة رسمها Spartling لنفسه مع «فوكنر» وهما جالسان بالقرب من منضدة رسم يكتبان ويشربان وعلى الحائط لافتة كتب عليهـا «Viva Art» وإلى أسفل مقعد «فوكنر» وضعت ثـلاثة جـالونات مـن الخمـر المصنوعة من الذرة. فى يونيو عام ١٩٢٥ أبحر كل من «Spartling و Faulkner» على باخرة لنقل البضائع إلى إيطاليا، ومنها رحلا على الأقدام إلى فرنسا وألمانيا.

عاد فوكنر مرة أخرى إلى نيويورك فى مارس ١٩٢٦ لينشر قصـته (Soldier's Pay) وهى قصة تمتاز بالرشاقة عن (الجيل المفقود)، وأسلوب القصة يدين إلـى «Swinburne و Beardsley» أو بشكل عام إلى تقاليد الكتابة التى كانت سائدة فى نهاية القرن «وأعادوا الشرب مرة أخرى، وسمعت الموسيقى وهى تنسـاب بيـن أوراق الأشجار الفتية فى الظلام، تحت البريق الذهبى الصامت والشاذ للنجـوم. لقد اختفى ضوء الشرفة ولاح المنزل وكأنه شىء ضخم جدا ومن ورائه السـماء، وكأنه صخرة تتكسر عليها أمواج الأشجار التى لا تكل ولا تتوقف، والنجوم تئـن

دون أن يسمعها أحد من خلال المراعى الزرقاء..... السماء بعيدة جـدا حـزينة جدا، والنجوم تئن من الغرب إلى الشرق، وهى تراهم وتـرى جسـدها العـارى المشدود، وهو منبطح على الأرض». إن تقاليد الكتابة فى (نهاية القرن) لم تتضح فى الولايات المتحدة. وإن كان البعض يقول إنهـا نضـجت فى شـعر«Wallace Stevens» . لقد استقبلت قصة (Soldier's Pay) استقبالا حسنا، ووقع الناشر عقدا مع الكاتب لقصة ثانية، وقد سافر الكاتب إلى «Pascagoula» فى (ولاية مسيسيبى) ليكتب هذه القصة.

كتب قصة (Mosquitoes) ونشرها عام ١٩٢٧ واتخذ من مدينة «نيو أورليانس» مسرحا لحوادثها. والقصة تقول إن الحركة أهم من الكلمة، والأفعال أكثر أهميـة من الأقوال. إنها قصة تهكمية وإن كانت السخرية مبـالغا فيهـا. مـن بيـن شخصياتها شخصية Dawson Fairchild ، وهذه الشخصية كتبـت علـى غـرار الشخصيات التى كتبها Anderson . وقد اشتملت القصـة علـى مجمـوعة مـن «القصص الطوال»، قال عنها الكاتب فيما بعد أنه اشـترك هـو و Anderson فى كتابتها. إن قصة (Mosquitoes) ، استقبلت بأقل مما استقبلت به قصة (Soldier's Pay) . أما قصة (Sartoris) ، التى نشرت عام ١٩٢٧، فإنها قد ساعدت المـؤلف على اكتشاف نفسه ككاتب. وحين اكتشف ذاته قال: «إنى اكتشفت أن الـكتابة عمل بالغ القوة الجميلة. إذ يمكنك أن تجعل من بعض الرجال عمالقة لهـم ظـل طويل؛ وما قصة «Sartoris»، إلا سرد (من غير نقد) لقصة حياة «Sartoris» (التى هى حياة عائلة الكاتب)، من أول نشأتها حتى جيل Faulkner . ولقد تركزت القصة حول شخصية الشاب Bayard المحارب المحنك، إنه من نوع الشباب الذى أطلقت عليهم «Gertrude Stein» اسم (الجيـل المفقـود)، وكان Bayard كذلك مهتمـا بالتراث الجنوبى حتى أصبح مصدرا لكثير من الحكايات. ولما كتب «فوكنر» عن شخصيته هذه بدأ يحس ويرى فيها الكبرياء والشجن وهو الذى أصبح فيما بعد الموضوع الملح عنده. وفى أثناء كتابته لقصة Sartoris كان الكاتب يكتب أيضـا قصة (The Sound and the Fury)، وقد نشرت الواحدة تلو الأخـرى ولا يفصـل

بينهما سوى بضعة أشهر. لقد كانت قصة (Sartoris) دليلا على أن الكاتب قد أنهى مدة تمرينه. أما قصة (The Sound and the Fury)، فكانت عمل كاتب كبير. فى عام ١٩٢٩ تزوج الكاتب من «Estelle Oldham»، واستقرت حياته على أن يكون كاتبا. وعلى مدى عشر سنوات نشر أغلب أعماله الكبيرة. لقد قام بعدة رحلات إلى هوليود، وهناك كتب عدة قصص سينمائية. كما قام بعدة رحلات إلى نيويورك، ولكنه كان يقيم فى أغلب الاحيان فى «أكسفورد». أما قصة (Sanctuary)، فقد جلبت عليه قليلا من سوء السمعة، وجاء نبأ النقاد عليها بطيئا جدا. والعجيب فى الأمر أن الاعتراف السريع الواسع بقوة الكاتب وقدرته جاء أولا من الفرنسيين قبل أن يأتيه من الأمريكان، حتى أن André Malraux كتب له مقدمة القصة. كما كتب Paul Sartre مقالا ناقدا أعماله. وحتى عام ١٩٤٦، كانت أعمال «فوكنر» مهملة، ولم يأبه أحد لاعادة طبعها، كما لم ينشر عنها أى نقد ذى بال إلى أن كتب «Malcolm Cowley» كتابه (Portable Faulkner). وبدأت الدراسات الجادة منذ ١٩٤٦ ولا توجد الآن مجلة نقدية أو أكاديمية متخصصة، لا تنشر مقالا تلو مقال عن هذا الكاتب. وقد نال الكاتب (جائزة نوبل) عام ١٩٥٠، وسافر بصحبة ابنته إلى السويد، وهناك ألقى خطابا نال قدرا كبيرا من الثناء. وقد تلا ذلك عدد كبير من الجوائز، منها جائزتان من (جوائز Pulitzer) عن قصة المدينة (The Town)، وقصته الأنهار (The Rivers)، التى نشرت بعد وفاته، لقد زار فوكنر عددا كبيرا من دول أوربا، وخاصة فرنسا، كما أمضى أسبوعا فى اليابان عام ١٩٥٥. وعمل كاتبا مقيما فى «جامعة Virginia» حتى توفى فى ٦ يوليو ١٩٦٢، أثر نوبة قلبية أصابته بعد سقوطه من على ظهر جواد كان يمتطيه قبل ثلاثة أسابيع من وفاته.

وكانت وفاته فى «أكسفورد» بولاية مسيسيبى. لقد استمرت كتبه فى الظهور فى طبعات رخيصة. كما ظهر بعضها على شاشات السينما والتلفزيون. أما قصته (Requiem for a Nun)، فقد أخرجت للمسرح فى «برودواى Broadway»، كما مثلت فى كثير من البلدان الأوربية. وفى فرنسا طوعها «البير كامى»، للمسرح الفرنسى.

لقد احتل «فوكنر» مكانه كروائى كبير، بالرغم من العدد القليل من الأصوات التى تعارض هذا الرأى. أما المعجبون به فيقولون إن الناقدين لكتاباته، إنما يقولون: إنه فشل فى فهم عبقرية نفسه، وإن التقدير الذى ناله كان أكبر مما يستحق. وفى مقال كتبه Robert Penn Warren، نشر لأول مرة عام ١٩٤٦ جاء فيه: لقد ألف «فوكنر» تسع عشرة رواية تجمع بين: الرواية ذات الوزن الفلسفى، والأصالة فى الأسلوب، والمجموعة الضخمة من الشخصيات المتنوعة، والمرح، والمأساة المركزة، وجميعها لا يوجد لها مثيل لا فى زمامنا ولا فى بلادنا. إننا نوافق على وجود بعض الأخطاء فى أعماله، منها التركيز الدرامى يصبح مجرد عاطفة، والبراعة الفنية تصبح جملة تعقيدات، والثقل الفلسفى يصير مجرد اضطراب عقلى، ودعنا نقر أيضا أن الكاتب متقلب المزاج. فإذا كان هذا الوصف صحيحا لاعتبره ميزة له، لأن هذا التقلب فى المزاج أراه دليلا على حيويته، وعلى رغبته فى المخاطرة ومحاولة البحث الجديد من الموضوعات، وعلى أن يكشف آفاقا جديدة فى مادة القصة وأسلوبها. لقد حاول بعض النقاد أن يرتبوا أعماله وفق خطة موضوعية فقالوا: إنه كان يفضل أرستقراطيى ما قبل الحرب وذريتهم على المجموعات الأخرى فى المجتمع الجنوبى. أو أنه كان يعارض إدخال الأشياء الحديثة فى الحياة، ولا يرى سوى الضرر فى حركة التصنيع والميكنة التى سايرت القرن العشرين. فإذا حاول أحد أن يرتب قصص هذا الكاتب زمنيا، ويلخص موضوعاتها، ثم يحلل مضمونها (كما فعل الآن)، فسوف يرى أن مثل هذا التخطيط الذى لجأ إليه بعض النقاد لايستقيم مطلقا. إن بعض النقاد يستطيعون كتابة مقالاته مطولة يتتبعون فيها مسار الأفكار السائدة فى القصص التى كتبها بعض الكتاب أمثال Robert Frost و Wallace Stevens و Ernest Hemingway. ذلك لأن كل واحد من هؤلاء الكتاب، نلاحظ أن التجانس فى الموضوع ووجهة النظر صفة عامة لكل أعماله. نجدها فى أول كتاب كما نراها فى آخر كتاب له. إن مثل هذا الحكم لا ينطبق على فوكنر Faulkner، لأننا لا نجد موضوعات فلسفية كثيرة، كما نجدها عند: Henry James أو Penn Warren . فقد صرف فيها

الكاتب جهدا لتطويرها أو دراستها. ولكنا نرى عند «فوكنر» أنــه كان يعيش ف بقعة من البلاد حيث كانت فضائل القرن التاسع عشر هى السائدة علــى عــكس ما هو موجود فى باقى الولايات المتحدة. إن هذه الفضائل كثيرا ماكانت تتصارع مع أفكار «فوكنر» نفسه، باعتباره وأفكاره من نتاج القرن العشرين. ومرة أخــرى نقول إن هذا الصراع لم يكن مسيطرا على قصصه، أو أنه يكوّن موضوعا رئيسيا فيها. ولكن لعله من الأفضل عند البحث عن عمــوميات تجمــع كل مــوضوعات قصص هذا الكاتب أن نقول: إنه كان يتفق أيضا مع فضائل المسيحية الأوليــة ويقبلها. وهذا لا يمنع أن نقرر أن هناك بعض السلوك الذى يوافق عليه الــكاتب، فى حين كان يرفضه بعض المتعصببين المسيحيين. ولعل أعدل طريقة للكتابة عن «فوكنر» وحياته الأدبية (وهذا ماسنحاوله فيما بعد)، هو أن نأخذ أعماله الكبرى واحدة فواحدة، ونلخص حركاتها، ونستخلص منها الموضوعات، ثم نصف طريقة الكاتب فى سرد أحداث القصة.

لقد قال «فوكنر» مرة إنه وضع (حشاشة قلبه) فى قصة (The Sound and The Fury). وقد قال كثير من المعجبين بفنه إن هذه القصة هى أحسن ماكتب، وإنها واحدة من أعظم ماكتب فى القرن العشرين. ومن غير شك إن القصة عمل فــائق البراعة والعبقرية. ولكن يجب أن نقول أيضا إن هناك بعض الآراء الأدبية التــى تختلف مع بعضها البعض حول ماكان يريد أن يقول الكاتب فى هذه القصة.

تعتبر قصة (The Sound and The Fury) قصة (حديثة) اتبع الكاتب فى كتابتها التقاليد التأثيرية التى تــرى عنــد «James و Crane و Ford M. Ford و Joyce و Conrad»، وهى التقاليد التى توضح «أن الحياة لايمكن روايتها، بل هى التــى تترك بصماتها على العقل»، كما أنها تقول: إن على الكاتب أن يسمح أو يتظاهر بأنه يسمح للقصة أن تتحدث عن نفسها وحينئذ لا يجب أن يتدخل الــكاتب. إن ما نلاحظه من قدرة الكاتب على كتابة المناجاة من الداخل وما نشاهده من تيــار لصحوة الضمير، وكذا الكلمات المنحوتة إنما يرجع الفضــل فيهــا إلــى Joyce،

ولكننا نرى أن «فوكنر» يتدخل فى بعض الاحيان عندما يريد أن يعطى الشخصية صوته البلاغى والكورال. فمثلا ,Quentin Compson، وهو شخصية تفكر بطريقة مهوشة وغير واضحة، أو بالاحرى بطريقة مجنونة، نراه يتذكر فجأة رحلة قام بها بالقطار، رأى فى أثنائها من خلال النافذة رجلا زنجيا يركب بغلا صغيرا ويتكلم بلغة مختلفة جدا. هذا هو الجزء كما ورد فى القصة، ثم بدأ القطار فى التحرك وانحنيت أطل من النافذة فى هذا الطقس البارد، فكان هو هناك واقفا إلى جانب البغل الهزيل. كلاهما رث ولا يتحرك بدون ضجر ولا ملل ثم اندفع القطار وسار فى منحنى والقاطرة تنفث دخانها الكثيف على دفعات قصيرة. فاختفينا عن الأنظار يلفهما الصبر الذى لايعرف الزمن والهدوء الجامد (الضارب فى القدم). إن هذا الجزء يشبه جزءا آخر فى قصة (Sartoris)، حيث تشعر بالكاتب نفسه وهو يقوم بدور الراوى. فصوت «فوكنر» البلاغى يتدخل فى جميع كتبه التى جاءت بعد القصة (The Sound and The Fury) ولكننا فى الحقيقة نجد أن الشخصيات تفكر وتتحدث كل بطريقتها الخاصة بها، فها هو Benjy (الأبله)، يشاهد مباراة فى الجولف فيقول: «عبر السور وبين مساحات الزهور أستطيع أن أراهم وهم يضربون الكرة بعصيهم. إنهم مقبلون الآن فى اتجاه الراية. أما أنا فقد سرت إلى جوار السور. لقد أتوا ونزعوا الرّاية وراحوا يضربون من جديد». إن جميع أفكار «Benjy» متصفة بالحسيات والروائح والأكل ودرجات النغمة الصوتية. إن الزمن (حاضره وبنفسه) يختلط فى ذهنه، فهو لايعرف التخطيط أو التوقعات، وإنما هو يشعر ويشعر فقط.

إن الحكاية الأساسية التى تدور حولها قصة The Sound & The Fury، هى حكاية انحدار عائلة. كان فى العائلة قواد (جنرالات)، وحاكم ولاية ومزارعون أغنياء. لقد تتبع الكاتب فى قصته تاريخ الأسرة منذ عام ١٦٩٩ إلى عام ١٩٤٥. ولكن اهتمام القصة ينصب بشكل رئيسى على تاريخ العائلة (عائلة Compson) منذ ٢ يونيو ١٩١٠ إلى ٨ أبريل ١٩٢٨ والقصة تهتم بالجيل الاخير منذ هذه العائلة. فالسيد Compson يعمل محاميا، وهو رجل ذكى، ولكنه يدمن الخمر، وزوجته

السيدة Mrs. Compson مشغولة دائما بمكانها ومجدها الغابر وذلهـا فى الـوقت الحالى بسب ابنها الأبله وأخيها الفاشل Maury. وللزوجين أربعة أولاد Candace و Quentin و Jason و Benjy .

نرى Quentin فى مدينة «Cambridge» بولاية «Massachusetts» وهو يعد نفسه للانتحار. إذ كان يفكر فى عائلته وخاصة فى أخته Chandace التى كانت تضـاجع Dalton Ames ، وموضوع زواجها من Sydney Herbert Head، إن الأفكار التـى تزدحم بها رأسه فى ذلك اليوم (يوم ٢ يوليو ١٩١٠)، كانتِ تتصادم فى ذاكرتـه، وخاصة مع رغبته المكبوتة فى تحرير نفسه، والضجة الكبرى التى أثارتها مسـألة أخته. لقد قال أبوه يوما ما: «إن العذرية ما هى إلا شيء اخترعه الرجل». أما أخوه «Jason»، وهو مراهق فقد كان يعمل فى متجـر لبيـع الأدوات المعـدنية، وكان يضارب فى سوق الأوراق المالية، مما اضطره أن يسرق بصفة منتظمة المال الذى كانت ترسله أخته Candace ليدفع منه إيجار الحجرة التى كانت تسكن فيها ابنتها غير الشرعية، وكذا تكاليف معيشتها. لقد كان يقابل الفتاه بدناءة وقحـة دائمـا، كما كان يقسو عليها فى بعض الأحيان. لذلك اعتادت الفتاة من جـانبها أن تسرق منه المال، ثم هربت أخيرا مع شخص يشتغل فى مدينة الملاهى، ولم يستطع Jason أن يسترد المال المسروق أو أن يعثر عليها، لقد كان Jason لايقيم وزنا للشرف أو التقاليد أو المبادئ. أما «Dilsy» الزنجية، فقد كانت لطيفة ومهذبة، وكانت تحس بالمسئولية فقد كانت تمثل الانسجام والمبادئ الخلقية عندما تحكم على أفـراد العائلة. إنها أحسن الشخصيات الخالدة التى ابتدعها المؤلف. لقد قال الكاتب إن The Sound & The Fury تحكى قصة (البراءة المفقودة)، إلى جانب أنها تـاريخ للتحول من الداخل لعائلة تعيش فى أغلب أوقاتها على الماضى. والقصة على هذا النحو تذكرنا بقصة «Hawthorne» المعـروفة بـاسم (The House of the Seven Gables)، وكذا بقصة إخوان كرامـازوف (The Brothers Karamazove)، التـى كتبها «Dostoevski» حتى أن أحد النقاد قال يوما: إن Quentin يشـبه تمـاما Raskolnikov فى قصة (Crime and Punishment) الجريمة والعقـاب. وإذا كانـت

هذه القصة (التى نحن بصددها)، تقوم على شخصية Quentin فإنه من الجائز اعتبارها قصة تروى فشل الحب بين أفراد العائلة الواحدة، واختفاء الاحترام للنفس والاحترام المتبادل. إنها قصة تمثل الأحوال فى القرن العشرين. أما إنها تروى قصة انهيار عائلة، فإنها تشبه القصص القديمة فى الأدب الغربى.

أما قصة As I lay Dying ، التى نشرت عام ١٩٣٠ فهى قصة بسيطة ولكنها محيرة. فهى من حيث البناء والأسلوب تعتبر مثلا واضحا لبراعة الكاتب المذهلة. فإن كل شخصية (وعددهم خمس عشرة)، تقوم بدورها فى دفع الحركة إلى الأمام. أما من ناحية فنية القصة فقد وصل الكاتب بها إلى الدرجة التى قال عنها «هنرى جيمس Henry James : أعلى درجات التشبع، ولكن هذه الفنية أدت من ناحية أخرى إلى شىء من الاضطراب والبلبلة، فهل هى القصة «Addie»، أم هى قصة «Darl أو Cash» أم قصة كل الذين اشتركوا فيها؟ وهناك بلبلة أخرى تظهر فى أنها تقوم على مستويين. فالمستوى الأول باعتبارها قصة (رحلة دينية ورمزية). والمستوى الثانى باعتبارها قصة (واقعية ونفسية). إن القصة وهى تقوم حوادثها حول عائلة قديمة فى (مسيسبى)، فإنها تثير ذكريات الماضى والأماكن البعيدة. إن رحلة الجنازة فى هذه القصة توحى للقارئ رحلة «موسى» (حين خرج من مصر)، أو رحلة «عيسى» عبر نهر الأردن أو رحلة القافلة الطويلة لزيارة «مكة»، أو أى رحلة إلى الأماكن المقدسة فى «منغوليا» أو بلاد «التبت». إن رحلة «Addie Bundren» لها طابع ونغمة الملحمة، كأنها رحلة دينية، أو كأنها تحقيق لوعد. إن Addie نفسها ليست إلا رمزا للفضيلة والحكمة. إنها تتمتع بحيوية دافقة، فهى شخصية عجيبة من جميع الوجوه. لقد كانت رحلة الجنازة فرصة لكل فرد فى العائلة ليتأمل علاقته مع الآخرين، وخاصة مع Addie. إن القصة لم تحاول أن تقلل كمية الأنانية عند أفراد هذه الأسرة أو تقلل الغباء المحض. ولكن القصة هادئة من حيث نغمتها ومتوحشة وغريبة. إن المؤلف لم يدع أن كل فرد فى العائلة عند نهاية الرحلة قد شرب من كأس الحكمة، ثم عاد إلى المنزل وكأنه بعث من جديد فنرى Darl وقد أصابه الجنون و Vardaman الصغير عاد وهو

مشوش الفكر فى حيرة، كما كان من قبل دائمـــا و Dewey Dell ، مـــازال يشـــعر باليأس. أما Anse فقد انتهز فرصة الجنازة ليعود بزوجة ثانية. والحركة فى القصة أساسا هى كما يلى.

إن «Addie Bundren» ، على فراش الموت و Cash (الابن الأكبر)، يقوم بصنع التابوت لها، أما Anse (زوجها)، فهو يضع مشاكله على كواهل الآخرين ولا يهتم بشىء. أما Darl ، الابن الثانى، لم يكن محبوبا من أمه Addie ، بل كانت دائمـــا ما ترفضه؛ أما Jewel فهو ابن غير شرعى لأمه Addie ، قد اتخذ من الواعظ أبـــا له. أما الشخصية الرابعة وهى Dewey Dell ، فقد حملت من Lafe أحد الصـــبية من جيرانها. كان Darl ــ يعلم دون أن يخبره أحـــد ــ أن «Jewel» ابـــن غيـــر شرعى، وأن Dewey Dell تريد أن تشترى من مـــدينة Jefferson بعض الحبـــوب التى تستعمل فى الاجهاض. أما الابن الأصغر Vardaman ، وهو يعانى من ضعف فى قواه العقلية، كان يعتقد أن الدكتور «Peabody» ، هو السبب فى مـــوت أمـــه. وكان يخلط بين السمكة الميتة وأمه الميتة ولا يفرق بينهما. «الدكتور Peabody» دخيل على العائلة فى القصة حتى يسهل عملية تقييم أفراد العائلة؛ كانت Addie ترغب فى أن تدفن فى مدينة «Jefferson» مع بقية عائلتها، وقـــد وعـــدها زوجهـــا Anse ، بتحقيق هذه الرغبة، فلما توفيت خـــرجت العـــائلة بـــالتابوت قـــاصدة «Jefferson» لتدفن بها. لقد كانت الرحلة كابوسا فظيعا إذ وقع التابوت فى مجرى مائى وكسرت رجل Cash. وحتى يوفر Anse المال لجأ إلى تغطية التـــالف مـــن التابوت بطبقة من الأسمنت. أما Darl ، فقد أوقد نارا فى مخزن ليحرق التـــابوت والجثة. ولكن Jewel تمكن من إنقاذها. وقد كانت بعض الطيور الجارحة تتابعهم. كذلك رفض صاحب مخزن الأدوية أن يبيع Dewey Dell الحبوب. وحاول عامل فى مقهى أن يغريها على الفسق معه. كما استعار Anse مجرافا وحفر القبر لـــزوجته Addir وأخذ Darl إلى مستشفى الأمراض العصبية فى مدينة «Jefferson». أمـــا الزوج Anse فقد اشترى لنفسه طقما جديدا من الأسنان واختار لنفســـه زوجـــة أخرى بعد أن سرق مال «Dewey Dell».

كانت الزوجة Addie تعتقد أنه يجب على الانسان أن ينتهك أستار الفضيلة تجنبا للوحدة. ولا يجب أن يسمح لكلمات مثل الخطيئة والحب أن تقوم مقام الاستهتار والتفانى. لقد عاشت مع هذا الاعتقاد واستعدت لملاقاة الموت فى أية لحظة. وكان لهذه المرأة منطق غريب: فقد كانت تقول إن Cash، هو ابنها الحقيقى، لأنه حين حملت فيه كانت لاتعلم أن زوجها كان يخونها، كما أنها لم تكن قد خانته بعد. أما ابنها الثانى Darl لقد جاء نتيجة خيانة ولذلك كانت لا تحبه، بل كانت ترفضه. أما Jewel، فقد كانت تشعر أنه ملكها وحدها فقط ولا ينتمى لأحد، سواء كان Anse أم Wilfield لذلك نرى أنها كانت تحب «Jewel و Cash» فقط. ولقد قاما بالواجب الكامل لتوصيل جثمانها إلى مدينة «Jefferson». ولكن Darl كان يكره Jewel، لأن أمه كانت تفضله عليه حتى أنه قال: «ليست لى أم». أما «Dewey Dell» فكانت لا تهتم بأمها و Vardaman، لم يكن قادرا عقليا على اتخاذ أى قرار.

والقصة عموما تشتمل على عدة نقاط جديرة بالبحث، فبالنسبة للأم Addie، فإنها ترى أن الانسان يجب أن يلتزم بنتائج استهتاره وعدم مبالاته، وأن يتقبل المعاناة والقسوة التى تصاحب تلك النتائج. أما Cash و Jewel، فمن الواضح أنهما كانا يوافقانها على هذا المبدأ. أما Anse، والأبناء الثلاثة الآخرون فمختلفون عنها فى هذا الرأى، وإن كان مرجع هذا التناقض، أسباب تختلف عند كل فرد فيهم. أما Darl فهو من النوع الشاعرى المتأمل، ولذا فهو موضوع بحث مستقل بذاته عن بقية أفراد الأسرة فهو مثل «Quentin Compson» كلاهما يعتبر نفسه يسبح فى التأملات باحثا فى الزوايا المظلمة من عقول الآخرين. أن Cash يحرص على الدنيا كما يفعل Jewel، ولكن Darl يترك الأمور تجرى ولا يشدد قبضته عليها مثل Quentin تماما.

ولهذا نجد أن النقاط الرئيسية فى القصة هى:

١ ـ مبدأ «Addie» فى البحث عن اللذة.

٢ ـ فقدان الحب العائلى ونتائجه.

٣ ـ البعد عن الحركة والانصراف التام للتأمل الذى لا نهاية له. بقى أن نقول إن للقصة عدة موضوعات أخرى خاصة إذا ركزنا البحث على شخصية Ans ، أو بعض الشخصيات الاخرى.

إن قصة (Sanctuary)، التى نشرت عام ١٩٣١، جعلت من فوكنر شخصية أدبية تتمتع بشهرة واسعة. لقد قال فى مقدمة للقصة من طبعة (المكتبة الحديثة)، إنه تساءل مرة عما إذا كان يستطيع أن يبيع عشرة آلاف نسخة من القصة. لقد طرق موضوعا مرعبا فى القصة يدور حول اغتصاب قاطع طريق شاذ من الناحية الجنسية لفتاة مراهقة. لقد كان قد أتم القصة فى ثلاثة أسابيع فقط قبل أن يدفع بها إلى الناشر. وجاء رد الناشر «Harrison Smith» فى الحال: «ياإلهى إنى لا أقدر على نشرها سيوضع كلانا فى السجن». كان هذا قبل أن يكتب قصة The Sound and the Fury أو قصة (As I lay Dying) لقد نسى كل شىء عن القصة حتى جاءته يوما المسودات من الناشر، فراجعها مراجعة واسعة، وكان من الواضح أن Harrison Smith قد غير رأيه. إن قصة (Sanctuary) تعتبر قصة (بوليسية مثيرة)، فهى من قصص الاثارة وهى على وجه العموم لا تظهر الكاتب فى تمام قدرته العظيمة. إذ أن الهجوم على (النزعات العصرية) فيه كثير من المبالغة. وتشبيه العالم على أنه (كرة باردة فى الفضاء)، صورة مأخوذة عن كتاب نهاية القرن. ولكن من الواضح أن القصة عمل لروائى ماهر جدا بلغ درجات رفيعة من القدرة الخلقية.

تبدأ القصة وكأنها ترجع إلى العصر القوطى ثم تتطور الأحداث وتتحرك حتى تظهر تلك الأحداث فى صورتين كما هو الحال فى السينما: صورة العصرية اللاأخلاقية. والعالم هو فى كامل النضوج. وهذه البداية القوطية تظهر على البعد فى منظر قصر الرجل الفرنسى العجوز. وكذا منظر البيت الريفى المتهدم والذى يحيط به غابة علق على حافتها لافتة (ممنوع الدخول)، والسماء مظلمة، وبالكاد

نلحظ قليلا من الحركة وبعض الأصوات الغريبة. يرى هناك رجل أعمى. والفتاة بطلة القصة تدعى «Temple Drake»، أما البطل ويسمى «Gowan Stevens» فهو رجل فاشل ومخمور دائما. البطل والبطلة صورة تهكمية للبطولة القوطية. تهرب Temple من «Lee Goodwin»، الذى يحاول إغراءها والاعتداء عليها. تهرب الفتاة إلى المخزن ويعثر عليها «Popeye» ويهددها بالقتل ويغتصبها نظير (عرناس ذرة). هذا المنظر فاق كل مناظر الجرائم الجنسية فى القصص القوطى. ثم يضعها Popeye فى بيت للدعارة فى مدينة ممفيس، ويحضر لها شابا يدعى Red لتتخذ منه عشيقا. كان Popeye يحضر عندها ليشاهدهما فى أثناء العملية الجنسية فأصبحت Temple نموذجا للانحلال الخلقى التام وهذه حقيقة ستقوم عليها كل الأحداث التى تتوالى بعد ذلك.

لقد قرر بعض النقاد – فى بعض الأحيان – أن Popeye يمثل العصرية المنحلة، فهو عاجز من الناحية الجنسية، ولكن بمساعدة (الشهوة الطبيعية) التى يمثلها red، يستطيع أن ينتهك حرمة النساء الجنوبيات التى تتمثل فى Temple والتى أصبحت فيما بعد حليفة له. أما التقاليد الموضوعية ويمثلها Benbow Horace المحامى فيحاول الدفاع عن Goodwin الذى اتهم بقتل Tommy. ولكن العصرية غير الأخلاقية التى يمثلها السياسيون ومجتمع المدينة Eustace Graham (النائب العام) فهى تسعى فى شنقه. قال فوكنر Faulkner : إن Popeye ليس إلا قصة رمزية تحمل فى ثناياها معنى أخلاقيا. والعجيب فى الأمر أن الكاتب حاول قرب نهاية القصة أن يرجع تصرفات Popeye إلى أسباب نفسية وطبيعية، وذلك بأن الكاتب أخذ يحكى قصة طفولة Popeye فكان نتيجة لذلك أن تحطم Popeye كرمز (للعصرية غير الأخلاقية).

وفى عام ١٩٣٢ نشرت له قصة (Light in August) وهى قصة تدور حول روح الصلاح والتقوى والخير. فى هذه القصة نرى فوكنر وهو يبدو قريبا جدا من Hawthorne، إن عدم القدرة على العفو عن الأخطاء البشرية وتقديم الواجب على

التســامح كل ذلك أســاس العــذاب الــروحى، كمــا عالجــه كل مــن «فــوكنر و Hawthorne. إن الديانة البروتستنتية كما عولجت فى قصة (Light in August)، كانت صارمة ومتهجمة وقاهرة بل (متصلبة وعبوسة) يقول القسيس العجــوز: إن فقدان روح التسامح والعفو والبر، كان السبب فى شنق «Joe Christmas». وفى هذا كانت قمة الحركة التى وجدت فى هذه القصة يقول القسيس عن الناس: «إنهــم لا يستطيعون، أن يتحملوا الشعور بالقسوة والانشراح، لذا يهربون إلــى تعــاطى الخمور والعنف والقتال. فلماذا لا يدفعهم دينهم إلى صــلب أنفســهم، وصــلب بعضهم البعض... إن هذا سيفعلونه بكل سرور... إن هذا هو الشىء الفظيع».

اختار الكاتب أن يصور المجتمع فى مــدينة Jefferson بــأن يتبــع الــكنيسة المسيحية، وهم طائفة من البروتستانت تتبع «Calvin»، ولكن الاحصاء فى الولايات المتحدة، يدل على أن طائفة المسيحيين البروتستانت الــذين يتبعــون يــوحنا المعمدان «Baptist»، وهم أكثر الطوائف عددا ويأتى بعدهم طائفة المســيحيين البروتستانت التى كونها جو ويزلى «Methodist»، ثم تليهم طــائفة المســيحيين المشيخية وهى تضم أقلية صغيرة. إن الأسباب التى دفعت بالكاتب إلى ذلك قد يكون منها أسباب أدبية ودرامية. إذ أن ذلك يتيح له الفرصة ليدخل مبدأ الجبرية وعلاقته من فساد الانسان، ومن هذه الأسباب أيضا، أن الــكاتب ربمــا أراد أن يؤكد على الأصل الأيرلندى والأسكتلندى للغــالبية مــن ســكان المــدينة. إن «Eupheus hines» والجد المجنون لجو كريســتماس Joe Christmas كان دائمــا يتحدث عن الجبرية والآثام والانسانية حتى Joanna Burden، عشيقة «Joe» وهى المحملة بالاثم، كانت تعتقد أن الله لا ينوى أن يرفع العذاب عن السود.

ولكن قصة Light in August، لم تكن كلها هجوما على التطرف البــروتستانتى فإن «Percy Grimm» وهو أداة المدينة فى قتل «Joe»، لم يفعل هذه العملية باسم الله. لقد كان يعتبر نفسه ممثلا للوطنية. فقد قال الــكاتب علــى لســان Grimm (الذى وصفه الكاتب على أنه نازى)، إن الوطنية قد توجد أيضا هذا النوع مــن

الاصلاح والتقوى الذى يعطى الحق فى تعذيب (الغير) إن Lena Grove و Byron Bunch كلاهما يعتقد أن الراحة النفسية والسلام يأتيان نتيجة لارتـكاب الاثـم الذى يغتفر. وكلاهما غير معصوم من ارتكاب الخطأ، بل هما قادران على الخداع والمكر. ولكن كلا منهما كان كريما لطيفا حنونا يتقبل الصدقات ويقدمها أيضـا. ويمكن أن تقرأ قصة (Light in August) على أساس أنها قصـة (سـيكولوجية)، فالطفل Joe كان ابنا غير شرعي لابنة «Eupheus Hines»، ولا يعرف أحد من هو أبوه. ولكن ربما (وهذا احتمال) يكون أبوه زنجيًا. لقد رفض Hines أن يستدعى الطبيب فماتت أمه وقت ولادته . وفى يوم عيد الميلاد (ومن هنا جاءت التسـمية Christmas)، وضع Hines الطفل فى ملجأ للأيتام. وكان الطفل يعامل هناك بإهمال وبرود. وذات يوم حين كان يأكل قطعة من معجون الأسنان، شاهد ــ دون قصد ــ الطباخ وهو يضاجع فتاة من التريلات. توقع الطفل أن يعاقب، ولكن الطباخ حاول شراء سكوته. وكان جده ــ وكان غير متزن العقل ــ يحتضر؛ كما وصفه الـكاتب على طريقة «Chillingworth» فى قصة (Scarlet Letter). وبعد مضى فترة كان Joe يعمل فى مزرعة Mc Eachern الذى كان يعامله بقسوة شديدة. ولم تكن هناك أيـة مودة بين الاثنين. حاولت «Mrs. Mc Eachern» أن تستميل Joe لـكى يسـاعدها على خداع زوجها، ولكنه رفض. كما رفض أن يتقبل منها أى عـطف أو مـودة، هكذا كان Joe يرفض القيام بأى عمل أو أى أداء لواجب بدافع الحـب، إذ كان طوال حياته لا يتقبل الحب، وكذلك لا يعطيه. كان من الممكن أن يعتبـر رجـلا أبيض، ولكنه رفض واختار أن يقدم للناس كزنجى. كان دائم الرفض حتى أنـه رفض أن يعامل على أساس أنه زنجى فى بلد أغلـب سـكانها مـن البيض. وفى النهاية كان هذا الرفض هو سبب الخلافات التى نشبت بينه وبين Joanna، ثـم انفصالهما الأمر الذى دفعه لقتلها وكان نتيجة لذلك أنه شـنق. أمـا القسـيس «Hightower»، فقد نشأ فى ظل تربية قاسية جدا ويعزى ضعف جسمه إلـى أن والده كان يرفض تقبل الصدقات ليساعد زوجته وطفله على أن يحييا حياة أفضل، فاضطر Hightower إلى الهرب، وقد كان وقتئذ صغيرا، هرب من بيت جده (الذى

كان قد نهب المزارع من جنود الاتحاد). وقد دخل Hightower الكنيسة لسببين، أولهما: أن يجد المأوى بعيدا عن الناس، وثانيهما: أن يجد وسيلة لمقابلة زوج جده الموجودة فى مدينة Jefferson. لقد قابل إحدى الفتيات وتزوجها (كانت الزوجة ابنة لمدرس فى مدرسة تعلم الدين، وكان الأب يتلهف على الهروب من هذا الصنف من المدارس). لقد خيب Hightower امل زوجته كزوج. وبعد عدة حوادث لا أخلاقية. انتحرت الزوجة وماتت، فنبذه أتباعه فى (الأبراشيه)، حتى أنهم حاولوا طرده من المدينة، ولكنه بقى فيها. كان صديقه الوحيد يدعى «Byron Bunch». لقد أدرك Hightower بعد مرور وقت طويل من حياته، طبيعة فشله وفشل الكنيسة، وحاول أن يقوم بجهد لينقذ Christmas وليعيد صداقته من Lean وطفلها ولكن باء بالفشل.

يمكننا أن نعتبر قصة (Light in August) قصة سيكلوجية، أو قصة دينية. فالموعظة التى يمكن استنباطها من القصة هى: أنه يجب على الناس أن يتعاملوا مع أنفسهم، ومع بعضهم البعض بالبر والتسامح والتغاضى عن الأخطاء البشرية؛ وإلا فإنهم يدعون إلى الانتقام والانحراف والعنف. إن القصة مليئة بصور كثيرة منها. فقد كتبها الكاتب فى براعة فائقة. نرى فى القصة ثلاثة خيوط لثلاث قصص، تروى كل بطريقة، حتى تلقى على الموضوع العام، ولتخلق شعورا لدى القارئ بالتنوع الكبير فى أوجه الحياة وتعدد أشكالها تعتبر هذه القصة أعلى منجزات هذا الكاتب.

أما قصة «Pylon» (التى نشرت عام ١٩٣٥) فتعتبر قصة فاشلة إذا ما قورنت ببعض الروايات التى نشرت قبلها مباشرة، وكذلك بالنسبة لقصة (Absalom Absalom) التى نشرت فى السنة التالية و«New Valois و New Orleans»، وهى المدينة التى تجرى فيها أحداث القصة. وتتكون شخصياتها الرئيسية من مخبر صحفى والمحرر وعائلة من الطيارين البهلوانيين. فى هذه القصة لم يكتب «فوكنر» عن «Yoknapatawpha» وإنما كتب عن «New Orleans» التى يعرفها تماما ويعرف عالم الصحافة والطيران البهلوانى أيضا. إن الفشل الذى أصاب

القصة لم يكن بسبب قلة المعلومات والتفاصيل، ولكن كان نتيجة فشل الفكرة نفسها. لقد بدأ فوكنر قصته بإلقاء الضوء على هذه العائلة العجيبة فهى مكونة من « Laverne و Jack Holmes و Roger Shumann » والأولى عشيقة للاثنين معا. الثاني ماهر فى القفز بالمظلة من الطائرات، والثالث متسابق فى مجال الطيران. و «Laverne»، لها ولد عمره ستة أعوام، ولا تدرى هى نفسها أى العشيقين والده. أما المخبر الصحفى فهو متورط مع (العائلة) فى أثناء وجودها فى مدينة New Valois. ففى مستهل القصة نسمعه يقول للمحرر «Hagood»؛ إن هؤلاء الثلاثة ليسوا بشرا مثلنا. فلو أن لهم دماء وعقولا بشرية، لما استطاعوا أن يلعبوا بهذا الجسم الحديدى. حطم هذه الطائرة على رءوسهم، فسترى أن دماء لا تتسرب من أجسادهم وإنما يخرج زيت وقود كالذى يحويه مخزن الطائرة فهؤلاء الناس ـ ـ كما كان ينظر إليهم المؤلف ـ ينتمون إلى العالم الجديد عالم الآلات والسرعة، وهو العالم الذى يختلف تماما عن أى شىء شاهده الانسان من قبل. ولكن الكاتب لم يوفق مطلقا حينما أراد أن يظهرهم على أنهم من سلالة غير سلالة البشر. ففى القصة لا نرى الشخصيات تتحدث عما يجول فى أنفسهم. فنحن لا ندرى ما يدور فى رأس Roger Shumann كمتسابق، وهو يسقط بطائرته ويموت، أو بماذا يشعر Jack و Laverne حتى يفسران لنا العلاقة الجنسية القوية التى بينهما كجنس من جهة، وبين السرعة والقفز من جهة أخرى. إنما جاء التفسير ليكون تفسيرا اجتماعيا أو قصصا من حياتهما أيام طفولتهما. ولذلك لم يوضح أيا من هذه التفاسير لماذا كانوا جنسا بشريا مختلفا.

يقول المؤلف فيما نشر تحت عنوان (فوكنر فى ناجانو). وهو اسم مدينة يابانية : «من حسن الحظ أن جميع شخصيات رواياتى تختار أسماءها بأنفسهم، فأنا لا أحاول أن أتصيد لهم أسماء، بل هم الذين يوحون لى بهذه الأسماء عندما أقوم بالتفكير فيهم. وإذا لم توح لى الشخصية باسمها فلا أحاول إعطاءها أى اسم. لقد قمت بكتابة عدد من الشخصيات، لم أمنحها أى اسم لأنها لم تخبرنى به. هناك شخصية رئيسية فى قصة (Pylon) مثلا بدون اسم. إن هذا اعتراف

ضخم إذا نظرنا إلى الشخصيات فى قصة (Light in August) فإننا ندرك تماما أن جميع شخصيات «فوكنر» تكوّن فى العادة جزءا هاما من بناء الشخصية نفسها. فالمخبر لم يفصح لنا عن اسمه لأنه شخصية غير موجودة بالمرة، بل استعارها المؤلف من قائمة الشخصيات الدرامية التى ألفها «T.S. Eliot». أما المحرر «Hagood» فإنه مأخوذ من فكر «Hollywood» عن محررى الصحف، فهم جميعا يصرخون بقسوة، ولكن قلوبهم من ذهب. إن خلفية القصة وإن كانت قد وقعت فى مدينة New Orleans بين المكاتب الصحفية والناس والمطار، فإنها تظهر وكأنها جزء من الغرب الامريكى. وبالرغم من أن هذه الخلفية قد رسمت بكل أمانة فإنها لا تساعد القارئ على فهم الطيارين، وكالعادة فإننا نشاهد عددا كبيرا من المناظر الجيدة والشخصيات المثيرة (شخصية Jiggs» على سبيل المثال). ولكن فشل قصة (Pylon) جاء نتيجة لعدم النجاح فى رسم الحياة داخل الشخصيات. كان لدى «فوكنر» الفكرة (الجرثومة) لعمل القصة، ولكنها لم تتطور ولم تبلغ حد النضج من خلال القصة. لقد جاء البناء الدرامى لشخصية المخبر الصحفى مهزوزا مما جعل القارئ يعتقد أن المؤلف كان ينظر إلى الطيارين من خارجهم فقط. لذلك بدأ الشك يتسرب إلى قلب القارئ فى مدى صلاحية الفكرة للقصة وأن الكاتب لم يعرف كيف يطور الشخصيات حتى تبدو ظاهرة واضحة أمام القارئ. وحقيقة، فإن الغريب فى هذه القصة أنها هى القصة الوحيدة بين قصص المؤلف التى لم تقدم أى جديد يدل على تقدم وتطور القدرة الفنية فى القصة عند الكاتب.

أما قصة (Absalom Absalom) التى نشرت عام ١٩٣٦ فكانت هى النواة الأولى التى بنى الكاتب من حولها قصص «Yoknapatawpha»، والتى من أجلها رسم «فوكنر» خريطته المشهورة، ووضع عليها هذه العبارة «شركة Jefferson مسيسبى»، المساحة ٢٤٠٠ ميل مربع السكان ٦٢٨٩ من البيض و ٩٣١٣ من الزنوج. المالك الوحيد «William Faulkner».

تذهب Quentin Compson إلى Harvard، وتطلب إليه Miss Rosa Coldfield أن يقص عليها قصة زوج أخيها «Thomas Sutpen»، وكانت تراه شيطانا، إذ أنه

رجل قد تملكته أطماع ملحة فى امتلاك مزرعة ضخمة، فاتخذ طريقا دفعه إلى تحطيم كل ما حوله. وفى Harvard طلب Shreve Mc. Cannon من Quentin أن يحدثه عن الجنوب، حدثنى عن الجنوب. ما هو شكله؟ ماذا يفعل الناس هناك؟ ولماذا يعيشون فيه؟، وردا على ذلك أطلعه Quentin على قصة «Thomas Sutpen» وعائلته. فأجاب Shreve؛ أود أن تطلعنى على شيء واحد آخر. لماذا تكره الجنوب؟ فكان رد Quentin سريعا ومباشرا: «إنى لا أكره الجنوب إنى لا أكرهه...» وكان يتنفس فى ضيق وصعوبة وصدره يعلو وينخفض فى انفعال ظاهر «أنا... أنا... لا أكرهه...» لقد كانت قصة«Sutpen» التى كررها عدة مرات. تمثل فى نظره الجنوب، فهذه القصة كانت تعيد إليه ذكرى قيام Sutpen وسقوطه، وما أصاب العائلة إثر ذلك من إفلاس وانحدار. كل ذلك استعاد ذكرى كل ما ورثه عن أجداده.. فأطماع Sutpen نشأت معه منذ طفولته. كان طفلا فقيرا ينتمى إلى أسرة فى غاية الفقر والحاجة. كان يلعب يوما أمام قصر لأحد الأغنياء الكبار من الملاك المزارعين، فطرده الخادم الزنجى (الذى كان يلبس الملابس المزركشة)، فلما كبر قليلا (بعد العاشرة). هرب إلى جزر الهند الغربية. وبعد فترة من الزمن تزوج من «Eulalie» وصار أبا لطفل هو «Charles» وحين عرف أن زوجته يجرى فى دمها أثر من الدم الزنجى هجرها وترك الطفل أيضا. (وفى مسيسبى) اشترى بعض الأراضى من الهنود الحمر، وأقام لنفسه بيتا ريفيا جميلا وتزوج من «Ellen Coldfield»، وهى ابنة صاحب متجر فقير، ولكنه محترم جدا وانجب منها طفلا وطفلة هما «Henry و Judith». ذهب «هنرى» إلى الجامعة وتقابل مع Charles Bon الذى تصادف وجوده هناك، وسرعان ما تعرف Thomas Sutpen على شخص Charles. أما Ellen فكانت تجهل من يكون Charles وإن كان قد راودها الأمل فى أن يتزوج Charles من Judith ابنتها. فى الحال رفض توماس Sutpen طلب Charles الزواج من Judith. وهنا تشاجر Henry مع ابيه وسافر مع Charles إلى نيو أورليانس، ولم تلبث الحرب الأهلية أن اندلعت ولكن توماس Sutpen أصر على عدم الاعتراف بشارل أو إظهار أية بادرة حب له؛ «لقد علم

هنرى أن شارل أخوه ويرغم هذه المعرفة فقد كان على استعداد بقبـول شـارل زوجا لأخته لأنه كان يرى أن هذه العلاقة الشاذة ستكون دليلا على ما سيصيب العائلة والجنوب كله من هزيمة ولكنه يعود ويرفض إتمام الزواج بعد أن علم أن دما زنجيا يجرى فى عرق شارل. أما الأب فقد قتل فى النهاية، والذى قتلـه هـو «Wash Jones» والد «Milly Jones» التى أنجب منها «Sutpen» طفله لم يعتـرف ببنوتها وتبرأ من «Milly»، لأن المولودة (أنثى). إن خطأ Sutpen (وكان دائمـا سيئ التخطيط) لم يكن خطأه وحده فقط. لقد كان خطأ «هنرى» بل خطأ الجنوب بأكمله، كان سببه رفض قبول الزنوج فى المجتمع كبشر متساوين مع البيض. فكان ذلك سببا فى اندلاع الحرب. كما كان سبب تحطيم عائلة Sutpen. فمثلا نجـد أن Charles Etienne St. Valery Bon. يضرب فى الأرض هربا من البيض كما فعـل Joe Christmas تماما، إننا نشعر ببراءته فى قصة (توماس Sutpen) وسعيه لتحقيق أطماعه فى تكوين أسرة. إن مجرد تمسكه القوى بوجهة نظر الجنوب تجاه الزنوج يعتبر جزءا من هذه البراءة. إن قصة (Absalom Absalom) عبارة عـن دوامـة تشعر فيها أن الشخصيات والأحداث دائمة الحركة لا تهدأ... فـالحركة العـامة لهذه القصة تندفع أحيانا إلى الأمام. وأحيانا أخرى إلى الوراء ولكنها لاتتـوقف عن الحركة.

وقصة (The Unvanquished) التى نشرت عـام ١٩٣٨)، تتـكون مـن خمس قصص متوسطة الطول، وكل قصة من تلك القصص. تدور حول شخصية Bayard Sartoris وتجاربه فى الحرب الأهلية. فنراه هو وزميله الأسـود «Ringo»، وهمـا يمران فى عدة مغامرات تشبه مغامرات Tom Sawyer. فتعالج القصة الأولى فترة طفولتهما. أما فى القصة الأخيرة فنرى Bayard طالبا بالجامعة يدرس القانون بعد انتهاء الحرب الأهلية. يقول الناقد «George Marion O'Donnell»: «إن القصـة تصور الصراع بين التقليديين (الذى يمثلهم Sartoris)، هؤلاء الـذين يتصرفـون بعيدا عن المبادئ الأخلاقية مستعينين بالمكر السيئ ويمثلهم Snopes إن هـذا الرأى قـد جانبه التوفيق لأن بعض قصـص (The Unvanquished)، وقد سـبق

نشرها فى مجلات صغيرة، نشاهد فيها الصبية من أهل الجنوب وهـم يـطلقون النيران على الجنود الأمريكيين من أهل الشمال، ثم يولون الأدبار ليختفوا تحـت (الجونلة الواسعة) لجدة Bayard ، كما نشاهد أيضا Rosa وهى تخـدع الجنـود الشماليين، وهم يفتشون البيت بحثا عـن الصـبية. أمـا قصـة (Skirmish at Sartoris)، فنرى العمة Louisa وهى تصر على زواج Drusilla من John Sartoris ، لأنها وقد لبست ملابس الرجال. قد اشتركت مع المغيرين على جنـود الشـمال، وبعد أن توقفت مراسم الزواج لفترة، ركب John Sartoris حصانه، وذهـب إلـى المدينة، وهناك قتل رجلين ليمنع هروب بعض الزنوج. ثم عاد ليتـم إجـراءات الزواج. أما القصة الوحيدة التى لها مـوضوع قـوى فهـى قصـــة (Odor of Verbena) ، ففيها نشاهد «Bajard» بعد أن نضج يرفض الاشتراك فى مبارزة مـع «Redlaw» الذى كان قد أطلق النار على John Sartoris. لقد رأى أن شدة تعلـق John Sartoris بأسلوب القديم لا يتطلب نوعا من البطولة فحسب، بل يتطلب أيضا قدرا من القتل العشوائى. لقد كان يرى أن «Drusilla» امرأة (شرهـة) لاتعيـر عمليات القتل أدنى اهتمام، لأنها تتم تحت شعار (الشرف). أمـا «جـورج وات George Wyatt» وبعض الرجال الذين يرغبون قتله. فإن Bayard يراهم وكأنهـم يلعبون أدوارا مسرحية له.

فإذا نظرنا إلى قصة (The Unvanquished) على اعتبار أن أحداثها تدور حول (القانون الجنوبى) فإننا نجدها تنتقد القانون. ومن جهة أخرى: نرى أن القصـة تشمل جزءا كبيرا قد شمل الكثير من الحكايات الرومانسية مثل مغارات الصبيين، والمغامرات الجريئة التى قام بها John Sartoris فى أثناء إقامته فى مـدينة «نيـو أورليانس» من المؤكد أن المؤلف قد سمع «Sherwood Anderson» وهو يتحدث عن Hemingway . لقـد كان Anderson و Hemingway قـد تعـرفا فى شـتاء ١٩٢٠ - ١٩٢١. وفى عام ١٩٢٣ نشرت مجلة «The Little Review» بعضا مـن قصص Hemingway ، وفى نفس العام قامت شركة «Contact» للنشر بنشر كتـابه (ثـلاث قصـص وعشر قصـائد)، وكذلك ظهـرت لـه عـدة قصـص فى مجلـة

Transatlantic ، التى نشرت قصة لهمنجواى بعنوان «In Our time» عـام ١٩٢٥. لذلك نستطيع القول أن المؤلف قد اطلع على وجهة نظر همنجواى ورأيه وعلـى شخصياته الدرامية، إن قصة فوكنر (Soldier's Pay) تشعر القارئ فى جزء كبيـر منها بأنها تقليد لأسلوب قصـة The Sun Also Rises وأن شـخصيتى Margaret Powers, Joe Gilligan عبارة عن تنويع غيـر فعـال لشـخصيتى «Jake Barmes و Lady Brett».

وعندما بدأ كتابة قصته (The Wild Palms) التى نشرت عام ١٩٣٩، كان فوكنر على علم تام بالفروق التى تفصل بين رؤيته للعالم وبين رؤية همنجواى، بـالرغم من ذلك فإن بعض الشبه موجود بين قصة همنجـواى (A Farewell to Arms)، وقصة (The Wild Palms)، ففى قصة (The Wild Palms)، نرى Henry Wibourne وهو طبيب شاب يقع فى غرام «Charlotte» وهى امرأة متزوجة وأم لطفلين. كانت «شارلوت» (وهى الأكثر تفانيا)، تحثه على التمسك والالتزام بـالحب، إذ كانـت تعتقد أن المجتمع يدمر الحب. لقد عاشا معا فى مدينة «شيكاغو» بـالقرب مـن بحيرة فى Wisconsin وفى مدينة «Utah» قريبا من أحد المناجم لقد عرف البـرد والفقر، ولكنهما لم يسمحا لأى شىء أن يتدخل فى حبهما. لقد حملـت شـارلوت فطلب من Wilbourne أن يجرى لها عملية إجهاض، ولكنه رفض ثم عـاد وقـام بإجراء العملية كما طلبت، لأنها ألحت عليه كثيرا وبعد العملية عـاد إلـى Gulf Coast ، وهناك تعرضت شارلوت لنزيف حاد ماتت بسببه فقبض على ولبورن وقدم للمحاكمة وأدين ثم أرسل للسجن.

فى قصة (A Farewell to Arms)، نرى أيضا أن «Frederic Henry و -Cathe rine» مثل بطل فوكنر، قد اختارا أن يعتزلا المجتمع لأنهما شعرا أن العالم أصبح لايبصر احتياجات المحبين. إلا أن (قصيدة) الحب فى روايـة همنجـواى أكثـر هدوءا وسلاما من قصيدة الحب عند فوكنر، كما توفى كل من المـرأتين، الأولـى بسبب الاجهاض، والثانية بعد الـولادة، وفى كل مـن القصـتين نـرى أن الرجلين قـد اتفقا على مبدأ «إذا قبض عليك المجتمع وأنت خـارج حـدود

مألوفة، فإنه لا يرحمك». كما أن المرأتين تعذبتا قبل الموت من الألم وقالتا: «لا تلمسنى» كما أنه فى القصتين نرى أن الرجل لم يسمح له برؤية جثة امرأته إلا بصعوبة. أما عن الفشل فقد استخدم فوكنر استهزاء التخيل وضحكاته رمزا ليدل عليه، أما فى قصة همنجواى (A Farewell to Arms)، فقد استخدم المطر رمزا للفشل. قال معظم المعلقين إن قصة همنجواى، كانت أكثر إثارة للحزن، وأقوى تأثيرا من قصة فوكنر The Wild Palms، وقد كان هذا حقا. ولكن الحب عند فوكنر وهو الحب الذى يقول: «كل شيء يهون فى سبيل الحب»، لا يبلغ هذا المدى عند همنجواى. لقد كان الحب عند شارلوت على حساب أطفالها وزوجها وحياة «ولبورن» وهدوء باله. إنها لم تكن تحب ولبورن بقدر ماكانت تحب الحب نفسه. إنها كما قال همنجواى وحدت المغزى فى الجنس والحب، وهذا يعنى فى الواقع أن ولبورن كان ضحية لها. ومن وجهة أخرى نجد أن فوكنر لم يصرح بأنه يقبل المبدأ الذى يقول: إن المجتمع يحطم الحب فعلى العكس من ذلك أن الالتزام المتفانى فى الحب وأداء واجباته هو الذى يحطم الحب.

لقد كتب فوكنر قصة (The Old man) فى أثناء كتابته لقصة (The Wild Palms)، نرى فى (الرجل العجوز The Old Man)، هذا السجين الهارب صاحب القامة الطويلة، وهو الشخصية الرئيسية فى القصة، يتقبل التزاماته إلى حد إثارة الضحك لمجرد إشباع رغبته فى أداء الواجب. إنه يناضل ضد النهر حتى يوقف الفيضان، ويخضع الثعابين والتماسيح، ويتفادى طلقات الرصاص التى تصوب إليه. ثم فى النهاية يعود من تلقاء نفسه إلى السجن، بعد أن أطفأ نار حبه للمغامرات، ووسط هذ كله نرى السجين الهارب وهو يتمتع بدخان السيجار وهو يتصاعد فى الهواء. نلاحظ عند قراءة هذه القصة أن السجين لم يفعل سوى القليل لتحسين حظه فى الحياة، حقا إنه شجاع ومتفان لأنه يشعر أنه مضطر ليكون كذلك. إنه يرضى بنصيبه الذى قدر له وهو سعيد به وإذن فهو حر. لهذا تعتبر القصة نقدا للحب فى قصة (The Old Palms) التى فيها عندما يرفض المحبان أن يواجه حبهما الحدود والتصرف دون اندفاع، وكان من أثر ذلك أن الصراع حطم حياتهما.

إن كل الشخصيات الدرامية فى قصة (The Hamlet) التى نشرت عــام ١٩٤٠، تنتمى إلى طبقة الفلاحين. فقد قال فوكنر عنهم بأنهم أحفاد هؤلاء الذين كانــوا لا يمتلكون العبيد. إن أسماءهم إنجليزية وأيــرلندية أو أســكتلندية يســاعدون كنائسهم ومدارسهم، يتزوجون ويرتكبون الزنى فيما بينهم أحيانا، ولكنهم يرتكبون جرائم القتل بكثرة... إنهم ينتمون إلــى المــذهب البــروتستانتى، والحـــزب الديمقراطى، وهم كثيرو الانجاب، ومن الملاحظ أيضا أن فوكنر يعاملهم باحترام، ولا يحتقرهم أو يمارس ضدهم الشعور بالتفوق لمجرد أنهم من سلالة الذين لــم يمتلكوا العبيد.

فى الواقع أن قصة (The Hamlet)، تعتبر قصـــة عــائلة «Snopes» وخــاصة «Flem» الذى ينتقل إلى قرية «فرنشمان بند Frenchman's Bend» على مبعـدة عشرين كيلو متر من «جيفرسون»، وهناك يقوم بعمليات غش ونصب ضد الأهالى. كان وجه وصوت Flem جامدا لا ينم عن أى شــعور أو عــاطفة، لا يســتريح أو يستمتع بأى عمل يحترم النظم العادلة، يعمل على الاستفادة من أية بادرة مــن حسن النية قد تصادفه، هكذا قال عنه Jody Varner حين قابله أول مــرة وقــد يسمع أن «Ab Snopes» (ولد Flem)، كان يحــرق ويخيف النــاس «هــل أنــت «Flem»؟ أليس كذلك أنا «فارنر». فرد عليه الآخر «أحقا هذا» ثم يبصق علــى الأرض. كان وجهه عريضا ومسطحا، ولون عينيه كلون الماء الراكد، ناعم المظهر مثل فارنر نفسه، وإن كان أقصر منه قليلا. يلبس قميصا أبيض وسروالا رمــاديا رخيصا قال فارنر: «كنت آمل أن أقابلك. لقد سمعت أن والــدك كان لــه بعض المتاعب مع الملاك مرة أو مرتين وبعض هذه المتاعب جد خــطيرة. لاك الآخــر شيئا فى فمه ثم أجاب: «ربما لأنهم لم يعاملوه المعاملة الصحيحة. أنا لا أعــرف شيئا عن هذا الموضوع كما أنى لا أهتم به». ولكن الذى أود أن أقــوله أن ذلك ربما يكون نتيجة خطأ، وكل خطأ يمكن إصــلاحه ويصــبح النــاس أصــدقاء. ألا توافقنى على ذلك؟» كان فارنر يمضغ شيئا فى فمه وكان وجهه خاليا مــن أى شىء ينم عن شعوره الداخلى عندما قال: «إذن فإن أباك لم يدرك أن الــطريق

الوحيد ليبرهن على حقوقه، هو الذى يحثه على جمع حاجياته ويرحل عن البلـد. سياتى اليوم عندما ينظر من حوله فلا يجد بلدا آخر يذهب إليه، توقف فارنر عند ذلك وانتظر بعض الوقت وجاءه رد الآخر» إن هناك الكثير من البلاد الجميلة».

وانتقم Flem من أسرة فارنر وقد كان أكبر ملاك المنطقة، وتزوج مـن «Eula Varner» وهى رمز للاخصاب ورمز لنضوج الربيع والصيف. غررت بأغلب سـكان المدينة، وفاق مكرها مكر «Wily Ratliff» وفى نهاية القصة نراها ترحل إلى مدينة جيفرسون.

نلاحظ أن قصة (The Hamlet)، قد اشتملت على بعض أجزاء مـن قصصـه الصغيرة السابقة. وبالرغم من الأجزاء التى تتعامل مع Flem، فقد استعمل فيها بعض التعبيرات الدارجة. إلا أن هذه القصة قد حوت قطعا كانت فى غاية البلاغة والموسيقية، وبعض هذه القطع يملأ عدة صفحات، وقد خصص المـؤلف هـذه القطع حين كان يصف Eula، أو يصف الحب الشاذ الذى كان يكنه Ike Snopes لبقره، والقصة تشمل أربعة مواقف مختلفة فى الحـب فهنـاك زواج «Houston» الفلاح، وزواج «Mink Snopes» ثم العلاقات الخرافية الخاصة بـ «Eula» وزواجها من «Flem» هذا الزواج الذى قام على غير حب. ثم الحب الذى كان يـكنه Ike للبقرة. ياللسخرية لقد كان حب Ike للبقرة نقيا، بل أنقى من أى نوع من أنـواع الحب الذى يسمى (حبا عاديا). إذا كانت اللغـة الـرومانسية المهـذبة التـى استخدمها الكاتب فى وصف هذا الحب تعتبر وسيلة مناسبة أم لا، فهذه مسـألة أخرى. لقد كانت اللغة فى حد ذاتها جذابة وجميلة فهى تتعارض بشدة مع اللغـة الشعبية التى استخدمها الكاتب فى أجزاء أخرى.

إن الجدل والمناقشات التى دارت حول (النثر الأمريكى الأصيل)، إنما يـرجع إلى التقاليد المتبعة فى كتابة القصة الطويلة، التى امتاز بها بعض الكتاب الـذين عاشوا فى ولايات الحدود، وخاصة فى الجنوب الغربى الأمريكى. ومن بين أشـهر هذه القصص الطويلة كانـت قصـة (Georgia Scenes) التـى كتبهـا «H. B.

Longstreet» عام ١٨٣٥، وقصة (Sut Lovingood's Yarn) للكاتب «جورج هاريس George. W. Harris» عام ١٨٦٧، أما الكاتب «مارك توين Mark Twain»، فقد كان هو الكاتب الذى حول هذا الأسلوب الفكاهى إلى أدب. فالتعبيرات التى كانت تستخدم فى هذه القصص الطويلة، كانت ذات طابع شعبى لا يخضع لقواعد اللغة، كما أن طريقة السرد كانت تحوى الكثير من الجمل الاعتراضية والمبالغات الواسعة. وبقصة (The Hamlet)، يكون المؤلف قد قدم إضافة كبيرة إلى الاتجاه الأمريكى الأصيل فى الكتابة، نرى «Ratliff» مندوب شركة لبيع ماكينات الخياطة وهو يشترك فى حركة القصة، ويترجم الكثير من معانيها، وبذلك يكون شبيها للبائع الأمريكى من أهل الشمال، الذى كان ينتمى للقرن التاسع عشر، والذى عرف (كما كان أيضا) بالعطف والظرف وبلاذع اللسان فى بعض الأحيان. هناك ثلاثة مناظر استعارها الكاتب من تقاليد الحكايات الطويلة وهى قصة مبادلة الخيل، وقصة (Flem Snopes)، وهو يضحك على الشيطان وقصة الهجوم الوحشى لحصان داخل البيت.

أما قصة (Go Down Moses) والتى نشرت عام ١٩٤٢، فهى تشبه قصة «The Unvanquished» إلى الحد أن القصتين تتكونان من عدد من القصص التى يرتبط بعضها بالبعض والمقارنة تنهى عند ذلك. لأن قصة (Go Down Moses)، قصة جادة وبحث مثير للعار والأسى فى العلاقات بين السود والبيض. وليس هناك من شك فى أن أجمل القصص السبع فى هذه الرواية هى التى اختير لها اسم (The Bear)، وقد جرت العادة عند الكثير من الكتاب عندما يتعرضون لشرح المبادئ الاجتماعية والأخلاقية عند فوكنر، فإنهم يشيرون إلى قصة (The Bear) هذه لأن الكاتب نفسه قال عنها: «إن الوضع السليم والصحيح تجاه الطبيعة يؤدى بالانسان أن يتخذ موقفا سليما وصحيحا تجاه بنى البشر، سودا كانوا أو بيضا. فإن «Old Ben» وهو الذئب كان أكثر من ذئب يصطاد، إنه رمز للبرية للحرية للشجاعة، وللأرض الطيبة المنتجة. أما «Sam Fathers» فهو ابن رئيس قبيلة «Chickasaw» وهو عبد زنجى يفهم ما هى البرية ويحاول أن يعلم دروسها

Isaac (Ike) Mc Caslin. ومن سام فاذرس Sam Fathers تعلم Ike التحمل والتواضع والشجاعة وتعلم أن الطبيعة ملك للناس جميعا لا يملكها أحد ولا يجب أن يتملكها شخص بعينه، ولا يجب أن تستغل بواسطة قلة من الأفراد. ففى الطبعة الاولى التى نشرها فوكنر للقصة نجده يقدم لنا منظرا روحانيا للعالم ولا يشبه هذا العالم الذى وصفه الشاعر «Coleridge» فى قصيدته (The Ancient Mariner). وفى الطبعة الثانية التى ظهرت مع قصة Go Down Moses فى كتاب واحد نرى المؤلف قد زاد على الطبعة الأولى بعض العناصر مثل مساوئ الرق، واستغلال الحضارة.

وفى رواية Go Down Moses قصتان: الأولى: عن تاريخ حياة Ike، والثانية: تاريخ حياة المولدين من نسل السود والبيض، الذين سيرثون «Old. C. McCaslin» وهو جد Ike. لقد كان يعلم Ike أن هؤلاء الورثة قد عانوا الكثير من الاحتقار وعاملهم الناس كأنهم بهائم أو أشياء لا تمت إلى البشر. أما «Lucas Beauchamp» فإنه (وإن كان من الملونين) لم يقبل أن يعامل بمثل هذه المعاملة، وسنقابله بعد ذلك فى قصة (Intruder in the Dust)، حيث يكون الشخصية الرئيسية فى القصة. كما سنقابل سلالة هؤلاء الذين ظهروا فى قصة (Intruder in the Dust)، فى قصة (The fire and the hearth)، وهى الجزء الثانى من قصة Go Down Moses، وسنلاحظ أن نصف هذه القصة Go Down Moses تقريبا يدور حول Ike والبرية، أما النصف الآخر فيدور حول الزنوج.

فى قصة (The Bear) بعد المراجعة نجد أن Old Ben (الذئب) يهاجم الذين يستغلون البرية، ولكنه هو نفسه يحطم، أما فى الجزء الرابع الطويل من القصة نرى Ike وابن عمه McCaslin Edmonds يتحاوران حول ميراث Old C.McCaslin الذى آل إليه عن طريق الورثة الزنوج. إن وجهة نظر الكاتب تتركز فى أن الموقف الصحيح من البرية سيؤدى حتما إلى موقف سليم تجاه الزنوج. وهذه النقطة سبق للكاتب أن نادى بها وذكرها فى قصة «Delta Autumn» التى يظهر فيها Ike

رجلا عجوزا بلغ السبعين من عمره. إن كثيرا ممـا كتـب فى قصـة Go Down Moses ، يتميز بجمال طاغ خاصة فيما كتب عن المناظر التى تصـف Old Ben، والحقول العـذراء والغابات. ربما كانت قصـة Pantaboon in Black من أحسـن قصصه، فهى وصف فريد لتصرفات زنجى أصـابه الجنون بسبب الحزن. بديهى أن قصص فوكنر لم تكن كلها ناجحة، ولم تكن كلها على مسـتوى واحـد مـن الاتقان.

فقصة (Bud Wash)، كانت قصة فكاهية تدور حـول شـخصية «Uncle Buch و Uncle Buck»، ووقوع هذا الأخير فى شرك زواج لم يكن هو راغبا فيه. وعلـى العموم فإن القصص التى جاءت بعد قصة Go Down Moses، امتـازت بقـدرة الكاتب على خلق شخصيات جديدة وإن كان ذلك دليلا فيما بعد على ضـعفه، إذ قللت بشكل ملحوظ من قدرته البلاغية المؤثرة. كان من المنتظر أن يقوم بـدوره (كأى كاتب مشهور وحاصل على جائزة نوبل) فى دراسة المشـاكل الاجتمـاعية وتقديم الحلول لها. وإذا كان قد قام بهذا الـدور بمحض إرادتـه أو لشـعوره بالواجب فالملاحظ أن هذا الدور لم يكن مناسبا لقدراته.

كانت قصة (Intruder in The Dust) أو قصصه المتأخرة. فهى عبارة عن قصة مؤثرة تصف العلاقات التى تربط بين «Charles Mallison» الشاب وبيـن «Lucas Beauchamp»، وهو الاجراء البطىء الذى تعلم منه الصبى فى النهاية أن يتقبـل الزنجى العجوز كبشر مساو له. إن هذه القصـة تـذكرنا بقصـة (Huck Finn)، وقصة (Nigger Jim)، وإن كانت قصة (Intruder in the Dust)، تعد أفضـل مـن القصتين سالفتى الذكر فإن فوكنر لم يكتف بذلك بل أضـاف إليهـا شـخصية (Gwin Steven)، وعم «Charles» ومحام «Lucas» كما جعل على لسـان Steven خطبة غريبة (بالنسبة للنسق العام) عن الجنوب وعدائه للشـمال، ثـم الـوسائل الفعالة التى يجب اتباعها للحصول على علاقة أفضل بيـن الأجنـاس. وكانـت نظريات Steven (للأسف) غير مقنعة كما تدخلت فى سرعة القصة بشكل خـطير ولولا ذلك لكانت القصة أبسط وأكثر جمالا.

أما الكتاب المعنون (Knight's Gambit) الذى نشر عام ١٩٤٩، فقد احتوى على عدد من القصص البوليسية، وقد أظهر الكاتب فى هذه القصص أنه لايرغب فى التمسك بالطرق التقليدية عند كتابة مثل هذه القصص. لقد استخدم الحيل القديمة المعروفة، إلا أنه أضاف إليها نوعا من الدراسات النفسية ليسبر أغوارها، كما رسم شخصياته بأسلوب القصص الطويلة. وفى عام ١٩٥٠ نشر كتابا بعنوان (Collected Stories) ، جمع فيه قصة (These Thirteen)، التى سبق نشرها عام ١٩٣١ وقصة (Dr. Martino) التى نشرت عام ١٩٣٤، بالاضافة إلى بعض القصص الأخرى. وبالطبع كان بين هذه القصص قصص لاتستحق أن يعاد طبعها ونشرها، ولكن كان هناك إلى جانب ذلك قصص ممتازة أوضحت فى جلاء أن فوكنر يعتبر واحدا من أمهر كتاب القصة، فقد تميز عن معاصريه بالقدرة الفائقة على التركيز واتساع الأفق. ومن أحسن القصص فى هذه المجموعة قصة (Red Leaves) قصة موت زعيم قبيلة هندية اسمه «Issetibbeha» ، وكذا قصة (Wash) التى هى أساس قصة Absalom Absalom ، وقصة (That Evening) ، وقصة (That Evening Sun) ، وقصة (Dry September)، وقصة (A Rose for Emily) ، وقصة The Barn Burning إن عالم قصص الكاتب القصيرة هو عالم «شكسبير» من حيث تنوع شخصياته ودقة اللغة والايماءات، والزمان والمكان. أما (Requiem for a Nun) التى كتبت عام ١٩٥١، فهى مسرحية ذات موضوع أخلاقى والمسرحية تكملة لقصة (Sanctuary) وتدور حول شخصيات Temple Drake و Gowan Stevens ، وكذلك «Nancy Manigoe و Gavin Stevens» ، والفصول فى هذه المسرحية تذكرنا بالمسرحيات (اليعقوبية)، إذ أنها مزينة بالحوار البلاغى عن مدينة «Jefferson» وولاية مسيسبى. فإن «Temple و Gowan Stevens» هما شابان يذهبان إلى المدرسة فى قصة (Sanctuary) ، وقد أصبحا فى هذه المسرحية عجوزين، وصارا والدين، وكلاهما يشكوان من القلق وعدم الاستقرار، وأنهما غير سعيدين. وحركة المسرحية تتضمن جريمة قتل طفل ارتكبتها «Nancy Monigoe» ، تحملها على الاعتقاد بالتطهر عن طريق المعاناة،

وأنهما على استعداد لتحمل هذا العبء. والمسرحية على وجه العموم تعتبر فقيرة بالنسبة لكاتب فى حجم «William Faulkner» ، وفى عام ١٩٤٥ نشر المؤلف كتـــابا بعنوان (A Fable) ، بدأه فى فرنسا وهذا الكتاب عبارة عن قصة رمزية ذات مغزى أخلاقى، أكثر من قصة ذات مضمون رومانسى. ولذا نجد أن القصة تبحث عـن سلام وأمن الانسان، ولكن.. لسوء الحظ جاءت رسالة فـوكنر هــذه مضــطربة ومحيرة، والتعابير فيها غير واضحة، حتى كان من الصعب جدا فهمها. والقصـــة تحتوى على وصف بديع (فى أجزائها) يدل على التفوق والنبوغ ويبدو أن «فوكنر» عندما بدأ كتابة قصة «A Fable» ، تخيل أنها خطبة أو موضوع بلاغى كبير أكثر من أنها قصة.

ثم جاءت بعد ذلك قصة (The Town) ، التى نشرت عام ١٩٥٧، وهى القصـــة الثانية فى سلسلة القصص كان قد وعد بكتابتها عن عائلة «Snopes». وهذه القصة تفضل قصة (A Fable) ، وإن كانت لاتصل إلى مستوى (The Hamlet) ، ونشاهد فى هذه القصة عددا كبيرا من الشخصيات القديمة مضافا لها Charles Mallison و Gavin Stevens ، وكأنه كان يقرأ المستقبل. ولكن نلاحظ أن «فوكنر» لم ينجح فى رسم شخصية «Eula و Flem» فى هذه القصة على النحو العــظيم الــذى كان عليه فى قصة (The Hamlet) . لقد كتب بعد ذلك قصة (The Mansion) ونشرها فى عام ١٩٥٩، وقد خصصها المؤلف لشخصية «Mink Snopes» ، وقد جاءت هــذه القصة لتظهر براعة فوكنر السابقة. أما قصة (The Rivers) عـــام ١٩٦٢، فقــد نشرت قبل وفاته بقليل وهى أكثر احتواء لترجمته الشخصية من أى قصة أخرى، فهى حنين جارف لصباه فى مدينة Oxford . لقد كانت السيارة فى هذه الآونة شيئا جديدا، وكانت الشوارع عبارة عن مستنقعات. كانت الشــخصيات هــى «Boon Hogganbeck» من قصة Miss Reba و (The Bear) وزوجها، وقد سبق أن وصفها فى قصة (The Sanctuary) . إن أغلب الموضوعات التى عالجها فـوكنر فى أغلـــب قصصه الطويلة والقصيرة كانت تعالج أمورا لها علاقة بالفضائل الأساسية للدين المسيحى، منها احترام النفس، والاحترام المتبادل مع الغير، والعفو عـن النفس

وعن (الغير)، والصبر والجلد، والاعتدال بين الكبرياء والتواضع والبر والاحسان. إن فوكنر كاتب كبير وربما كان أحسن روائى أمريكى. والسبب فى ذلك بساطة عقليته التى تكون جزءا من عبقريته. نراه عندما يضطلع بموضوع ما لـه أبعاد كبيرة (كما هو الحال فى Pylon و A Fable) يندمج فيه بل يغرق فيه بشكل مؤسف. أما إذا عالج مواضيع يستشعرها فى قرارة نفسه وقلبه مثل: مشكلة الزنوج فى قصة (Dry September)، وكرامة Disly فى قصة (The Sound and the Fury)، واهتمام Anse Burdren بنفسه فى قصة (As I lay Dying) وغضب Sarty Snopes الصغير فى قصة (Barn Burning)، فإن المؤلف يصير عظيما. إن جميع موضوعات فوكنر بسيطة، ولكنها مركزة وملحة كمواضيع الانجيل، ولحسن الحظ كانت قدرته على الابتكار عظيمة جدا، وقوية جدا، لذلك نراه وقد أضاف إضافات ذات شأن فى قضية القصة، وأنها شكل من أشكال الفن. ولا يوجد فى الأدب الامريكى من تمكن من الابداع فى هذا العدد الضخم من الشخصيات التى عاشت وتعيش فى ذاكرة القارئ مثل ما فعله فوكنر، ومن المحتمل ألا يكون هنا من ابتكر هذا العدد الوفير من الشخصيات التى تنتمى إلى كل مستويات الحياة مثل ما فعله المؤلف فى قصة واحدة مثلا مثل: (Light in August أو The Hamlet) ففوكنر لم يعان مطلقا من قلة الخيال أو ضعفه. لقد كان فوكنر سيدا على أسلوبه مسيطرا مالكا له. هذا الأسلوب الذى امتاز (بالبلاغة العالية)، وكذلك (بالبلاغة الشعبية). قال أحد النقاد عن أسلوبه: إن فوكنر له صوت قديم وعميق كصوت بوق الصيد، وهذا وصف جيد لأن لغة فوكنر فى القصة تثير ذكريات الماضى، أو بالأحرى تحكى الماضى للحاضر. فإذا قرأ الانسان شيئا لفوكنر فإنه يشعر وكأنه اختلط بتاريخ العذاب والمعاناة والكمد، وكذلك مع تاريخ الصبر والتحمل والتفانى والحب.

فى الوقت الذى بلغت فيه أعمال فوكنر أوج عظمتها، أو حتى منتصف هذا الأوج، كانت معظم كتابات معاصريه أمثال: «Theodore Dreiser و Sinclair Lewis و John Dos Passos» من القصص (الواقعية)، بمعنى أنها لم تبدع شخصيات

أسطورية، أو شخصيات رمزية عالية، وكانت تحتوى على نثر شاعرى وبلاغة غنية مثل مافعله فوكنر. فالواقعية التى عالجها هؤلاء الكتاب كانت مجرد محاولة لـكى يعكسوا تجارب الحياة اليومية، أو (الحقيقة العارية). إن هذا الـوقت كان فيـه الكثير من الكتاب يشكون فى الأسلوب البلاغى المتأنق، كما كانوا يشكون أيضا فى التقاليد الأدبية. لأنهم لـم يعتـرفوا أن (واقعيـة) «Dreiser أو Lewis أو Dos Passos» تقاليد أدبية. ولذلك أصبحت القصة فى نظرهم هى القصة التى لها قيمـة وثائقية، بمعنى أن قصة «Lewis» المسماة (Main Street)، لابـد وأنهـا قصـة حقيقية للشارع الرئيسى فى مدينة Sauk Centre بولاية «Minnesota» حيـث نشـأ الكاتب . ولهذا قوبلت قصتا فوكنر (The Hamlet, as I lay Down) بـالكثير مـن الدهشة حين قرأهما القارئ، ترى أيكون الكاتب قد كتـب الـوصف الحقيقـى «للمسيسبى»، كما هو من واقع حاله، أم أن يكون الكاتب قد بالغ فيه؟ وفى هذه الحالة الأخيرة يكون فوكنر قد جاوز الحقيقة؟

وإذا نظرنا إلى الخلف قليلا، لأدركنا أن قصص فوكنر من بعض الوجوه أقرب إلى التقاليد الأدبية الأولى منها «الواقعية الجديدة».

إرنست همنجواى ERNEST HEMINGWAY

بقلم

فيليب يونج Philip Young

من الجائز جدا أن يكون E. Hemingway أشهر الكتاب الأمريكيين إبان فتـرة حياته. فقد كان معروفا بأسلوبه وأبطاله ومنهجـه واتجـاهاته جميعهـا، ليس فى البلاد التى تتكلم اللغة الانجليزية فحسب، ولكن فى أى مكان يمكن أن تباع فيـه مؤلفاته. ربما كان سبب ذلك أنه لا أحد من كتاب الرواية ترك أثرا مشابها علـى النثر كما تركه هيمنجواى فى القصة الحديثة. فأينما وجدت كتبه، فإن طريقته فى الكتابة كانت تقلد وتستخدم أو تستوعب أو يعاد تشكيلها.

ولكن مضى وقت طـويل لم تكن فيـه أعماله مفهومة كما ينبغى، وحتى شخصه أيضا لم يكن مفهوما وخاصة فى العقد الأخير من هذا القرن بالرغم من انتشـار ونمو التعليم والوعى.

فليس هناك مفتاح واحد يفتح للقارئ مغاليق أفكار الـكاتب. أمـا فى حـالة هيمنجواى، فهناك ما يشبه المفتاح والذى لا يمكن أن يغيب عن انتباه القـارئ المتعلم. هذا الشىء (ويا للعجب) ظهر فى أول قصة فى أول كتاب له يضم مجموعة من القصص القصيرة. وهو الكتاب الأول من نوعه والذى يستحق الاهتمام. وقـد نشر هذا الكتاب عام ١٩٢٥ تحت اسم (In our time)، ومن المحتمل أن يـكون المؤلف أراد أن يشير فى تهكم مرير إلى العبارة المشهورة التى وردت فى كتـاب الصلاة للكنيسة الانجليزية والتى تقول: أيها الرب أنزل على زماننا الأمن والسلام O Lord و Give peace in our time، والعجيب فى الأمر أننا لا نجد فى هذا الكتاب

الامن والسلام مطلقا، وكذا نفتقدهما فى كل قصة من قصصه ومرة أخرى نجـد عجيبا من الناس أن «الناس لم تلتفت إلى الكتاب». ذلك لأن القراء لم يعلمـوا على وجه اليقين أن الكاتب هو الشخصية الرئيسية فى القصص التى يظهر فيها.

فإن نصف قصصه قد أوقفها على شخصيته هو. فتجاهلها الناس لفترة طويلة بشكل محرج. فالصبى ذو الوجه الملىء بالبقع. هذه الشخصية طـورها الـكاتب بعناية لتصبح شخصية لرجل اسمه Nick Adams (سواء كان صبيا أو رجلا)، لقد رتبت هذه القصص فى ترتيب زمنى، فجاءت أولا قصص «Nick Adams»، عنـدما كان صبيا، ثم قصصه حين بلغ سن الرجولة المبـكرة، وكانـت هـذه القصص مرتبطة بعضها ببعض برباط وثيق، وعلى ذلك يمكن لنا أن نعتبر هذا الكتاب قصة واحدة طويلة، لأن هناك قصصا صغيرة تصبح غير مفهومة إذا لم يكن القارئ قد طالع القصة السابقة.

إن أهم قصص هذا الكتاب وأفضلها معنى هى القصـة الأولـى وعنـوانها (Indian Camp)، وهى تكشف إلى حد كبير عما كان يصبو إليه الكاتب لخمسـة وثلاثين عاما تقريبا من عمره. فهذه القصة تدور حول طبيب هو والد Nick الذى يقوم بمساعدة امرأة هندية بإجراء الولادة بعملية (قيصرية) مسـتخدما مـطواة كبيرة وبدون تخدير، أما زوج المرأة فهو مريض بالشلل، يرقد فى سرير مثبـت فى الحائط على ارتفاع من السرير الذى ترقد فيه زوجته، والتى ظلـت تصرخ لمـدة يومين. وكان الصبى Nick يحمل بين يديه حوضا من الماء ليستعمله الأب. وقـد قام أربعة رجال بالامساك بالمرأة حتى انتهت من وضع الطفل وعندما أتم الطبيب مهمته ألقى نظرة على السرير الاعلى، وعرف أن الزوج الذى كان يسـمع صراخ زوجته المستمر لمدة يومين قد فصل رأس نفسه تقـريبا بمـوسى. إن القـراءة المتانية لهذه القصة توضح فى جلاء أن هيمنجواى، لم يكن مهتمـا هنـا بهـذه الأحداث المزعجة وإنما كان كل اهتمامه منصبا على تـأثيرها علـى الصـبى الصغير، والظاهر أن هذه الأحداث لم يكن لها أدنى تأثير على الصـبى، ولـكن

حينما تقدمت به السن أصبح شديد الخوف وعصبيا. وهنا يروى هيمنجـواى أن سبب هذه الحالة التى انتابت الصبى، كانت بتأثير هذه الأحداث.

لقد زودتنا هذه القصة برؤية داخل طبيعة أعمال المؤلف. هذا إلـى جـانب النهاية الهامة للقصة عندما يتناقش «Nick» ووالده حول الموت وخاصة الموت بيد الانسان نفسه (الانتحار). بماذا قتل نفسه يا أبى؟ «لست أدرى السبب يا نيك»، ولكنى أظن أن الرجل لم يكن يستطيع تحمل الأوضاع. «هل هناك كثير من الناس يقتلون أنفسهم؟». «إنهم قلة من الناس يا ولدى».

فقد كانا جالسين فى المركب Nick فى المؤخرة والأب يقوم بالتجديف. وفى هذا الصباح المبكر والأب يجدف، شعر الصبى بأنه لن يموت قطعا، والآن فإن فـكرة الموت (من الناحية الجمالية)، تكون خارج موضوع بحثنا. ولـكن لا يمـكن أن نتجنب الاشارة إلى الحقيقة المرتبطة بالشخصيتين اللتين ظهرتا فى بداية القصة (وهما الطبيب وولده)، وأنه قد قدر عليهما أن يموتا يـوما مـا. فـإن الـدكتور «Clarence Edmonds Hemingway» (وهو الصورة الأصلية للدكتور Adams، قـد مات منتحرا بأن أطلق الرصاص على نفسه بسبب سـوء صـحته عـام ١٩٢٨، وكانت الحرب الأهلية التى اشترك فيها تحت إلحاح من الكاتب قد تسببت فى سوء صحته، أما الصورة الأصلية للابن Nick Adams، فهـى صـورة «Ernest Miller Hemingway» الذى أطلق على رأسه طلقة من بندقية صيد عام ١٩٦١.

وهناك حوادث أخرى كثيرة فى حياة بطل القصة ترتبط ارتباطا وثيقـا بحيـاة الكاتب نفسه منها اهتمام الكاتب الكبير بالعنف. وفوق كل ذلك اعتقاده الجـازم بأن العنف هو الموت. ومن النادر أن تجد فى تاريخ الأدب قصة أخرى تشمل هذا التركيز الكبير على ما يستجد من أشياء فى المستقبل كما تفعـل هـذه القصـة الصغيرة.

أما القصص الست الأخرى من مجموعة (In Our time)، فهى تتعلق «بنيـك Nick»، ولكن ليست لها نفس الفترة التى تتميز بهـا قصـة Indian Camp وإن

كانت كل قصة منها تثير القلق بشكل أو بآخر. ففى قصة «The Doctor and the Doctor's Wife» يكتشف Nick أنه غير مطمئن إلى شجاعة والده، وأنه غير مرتاح بالمرة إلى طريقة والدته فى نظرتها للأشياء، والقصتان الأخيرتان وهما The End of Something و The Three-Day Blow)، فتصفان فى إسهاب النهاية المؤلمة لحب فى سن المراهقة إلى جانب وصف لأشياء أخرى؛ وفى قصة (The Battler) يركب Nick قطار بضاعة، ولكن رجل (الفرملة) يقذف به من القطار المتحرك. ثم يقابل ملاكما سابقا فيوسعه ضربا مبرحا ثم يقابل زنجيا متعطلا، وكان هذا الزنجى مؤدبا، وإن كان متوحشا عندما يحل مشاكله بطريقته الخاصة. وليس علينا أن نشك فى أن Nick، قد تعرض لأكثر مما يستحق. بعد قصة (The Battler)، تأتى قصة صغيرة جدا لا يزيد طولها عن صفحة واحدة لتؤكد هذا الشك، إذ تقول هذه القصة: إن Nick يشترك فى الحرب العالمية الأولى، وإنه قد أصيب بجراح، وإنه اتفق مع العدو على (صلح انفرادى)، فلم يعد يحارب من أجل وطنه، أو من أجل أى شىء آخر. إنه من المستحيل المبالغة فى أهمية هذه القصة الصغيرة عندما نحاول أن نفهم (على أى صورة) كان هيمنجواى وأعماله. فهذه القصة سنراها مكررة (بشكل أو بآخر) فى الشخصية الرئيسية التى تحمل اسم (Frederic-Henry) فى قصة (وداعا للسلاح) وكذلك ستمثل هذه القصة الصغيرة اللحظة الحاسمة فى حياة كل أبطال هيمنجواى بصورة أو بأخرى. على مدى ربع قرن من الزمان على الأقل، إن الجروح التى أصابت Nick لها أهمية كبرى لسببين: إن هذه الجروح ترمز إلى ما أصابه حينما كان صبيا يعيش فى الغرب الأوسط الأمريكى. ومن هنا يبدو أن أبطال هيمنجواى رجال جرحى. جرحى ليس فى أجسامهم فحسب، كما هو واضح، بل جرحى نفسيا كذلك. أما السبب الثانى: أن Nick وصديقه قد اتفقا على (صلح منفرد) جعلهما (غير وطنيين)، يشير ذلك إلى بعد الكاتب عن الجمعيات المنتظمة كلها واستمراره فى هذا البعد هو وأبطاله الذين ظهروا فى عدد من الكتب حتى نهاية الثلاثينيات.

أما القصة الأخيرة فى هذه المجموعة وهى (Big Two-hearted River)، فهى تتنبأ أيضا بكل ما ستكون عليه قصص الكاتب فى المستقبل.

صحيح، إن القصة غامضة وتبقى كذلك حتى ترى فكر الكاتب. لقد كان الكاتب يشكو عام ١٩٥٠ من أن القصة ظلت ربع قرن (٢٥ عاما)، دون أن يفهمها أحد. ولكن القصة بسيطة جدا إذ هى: عبارة عن دراسة لشاب جرح فى الحرب، ويخرج فى رحلة صيد بمفرده، يهرب من الناس، لأنه يعانى مما كان يسمى (صدمة القنبلة)، فهو يحاول بكل استماتة أن ينقذ نفسه من الجنون.

جاءت بعد ذلك مجموعتان من القصص القصيرة: الأولى بعنوان (Men without Women)، نشرت عام ١٩٢٧. والثانية بعنوان (Winner take Nothing)، نشرت عام ١٩٣٣. ضمنهما هيمنجواى قصصا أخرى عن Nick Adams. والمجموعتان لم تغيرا شيئا، ولكنهما ملأتا بعض الفراغات فى حياته الأدبية. ومن هذه القصص قصة (القتلة)، وقد أعيد طبعها مرات ومرات، إنها تعرض لنا موقفا بائسا. وهى تدور حول رجل رفض أن يستمر فى العدو هربا من بعض المجرمين الذين يريدون قتله، وفى قصة أخرى (The light of the World)، يتطرق الكاتب قبل الأوان، إلى العالم العبوس عالم البقاء والشذوذ الجنسى. وفى القصة الثالثة (الآباء والأبناء Fathers and Sons)، نرى الكاتب وهو فى أشد حالات الانزعاج والاضطراب من وفاة أبيه، (وفى هذه الأثناء كان لا يعلم أحد السبب فى ذلك وظل الأمر كذلك، حتى عاد بطل قصته (For Whom the Bell Tolls) واسمه (Robert Jordan)، ليقول إن أباه مات منتحرا. وفى القصة الرابعة (A way you will never be) يقابل Nick المصير الذى كان يحاول دائما أن يتجنبه ويبعد عنه كما نراه فى قصة (Big Two Hearted River)، هذا المصير هو أن يصاب بالجنون نتيجة مباشرة لتجاربه فى الحرب. استطاع هيمنجواى أن يملأ عدة ثغرات أخرى فى صورة Nick وذلك بواسطة عدة قصص قصيرة استعمل فيها ضمير المخاطب.

وكان من الواضح أن الراوى فيها هو Nick. ففى إحدى هذه القصص (وهى عن الحرب) وعنوانها (Now I lay Me)، كان Nick يطلق عليه هذا الاسم أيضا. وتدور القصة حول الأرق الذى كان Nick يعانى منه لفترة طويلة بسبب جراحه. إنه لا يستطيع النوم (لكى يفكر) كان عقله مشغولا دائما عندما يكون منتبها بالصور والأحداث التى وردت من قبل فى قصص سابقة.

وفى قصته (In Another Country)، يزيد هيمنجواى من اهتمامه بشخصية ضحية الحرب. وبهذا يكون هيمنجواى قد أشار نحو قصته (The Sun Also Rises)، التى تحطم فيها (الجيل المفقود) ولقى نفس النكبة.

والآن أصبح واضحا ما هو نوع هذا الصبى الذى أصبح الآن رجلا فهو ليس ساذجا بالتأكيد فهو أمين نشيط وأهم من ذلك كله أنه حساس.

إنه شخص يفضل الحياة خارج المنزل، قوى الأعصاب، وإن كان يبدو عصبيا فى بعض الأحيان. لذلك ينبغى علينا أن نعرف تماما Nick، لأنه سيتخذ أسماء أخرى فى كتب أخرى، ولكنه يبقى مع ذلك معروفا فى العالم أجمع تحت اسم (بطل هيمنجواى)، وكل واحد من هؤلاء الأبطال مثل «Nick» تماما من حيث طفولته وصباه ومراهقته ورجولته الأولى، حتى الجراح التى ستبقى دائما طالما أن هيمنجواى يعيش يروى لنا مغامراتهم. والآن أصبح هناك حاجة ملحة بشىء دائم يضمد هذه الجراح، وعند هيمنجواى دائما هذه الشخصية التى ستقوم حتما بهذه الوظيفة.

وعلى كل حال فهذه الشخصية ليست هيمنجواى متخفيا. وطبعا يجب أن تكون هذه الشخصية مختلفة عن شخصية البطل ذلك، لأنه هو الذى يصوب أخطاء البطل، ويصحح عيوبه، ويقوم موقفه. نحن عادة ما نطلق عليه اسم (بطل القانون والنظام) لأنه يمثل قانونا، لو أن البطل تمسك به وسار عليه لتمتع بحياة طيبة وسط عالم مملوء بالعنف والفوضى والشقاء، وبطل القانون يضرب به المثل فى الشرف والشجاعة والصبر والتحمل، وهذا كله يبرهن فى وقت الشدة على أن

الرجل (رجل)، كما نقول. وكان ظهور هذا الــرجل (أول مــا ظهــر) فى القصص القصيرة أيضا أنه «Jack» الملاكم فى المباراة ذات الخمسين ألفا وقد وعد بــأن يخسرها ففعل ذلك. وهو أيضا Manuel مصــارع الثيــران الــذى (لا يقهـــر) لا يستسلم أبدا مهما ضرب بالرغم من أنه عجوز ومثخن بالجراح.

إنه Wilson دليل الصيد الانجليزى فى قصة (The Short Happy life of Francis Macomber) ، الذى يعلم سيده مستويات الصيد التى تجعله ســعيدا وذلك قبــل وفاته بوقت قصير. إنه «Cayetano» المقامر فى قصـــة (The Gambler, the Nun and the Radio) الذى يخفى ألمه الشديد مع أنه مصاب بطلقتين فى بطنه فى حين كان Nick والذى كان اسمه فى هذه القصة «Mr. Frazer» لا يخجل من أن يتألم بصوت عال وهو بشر مثله.

أما أشهر بطل من أبطال القانون وأحسنهم فهو «Santiago» العجوز الذى ظهر فى أحدث قصة لهيمنجواى وهى قصة (The Old man and the Sea)، والنقطة هنا أنه تصرف بشرف وبشجاعة كبيرة وصبر، وهو يرى السمكة الكبيرة التـــى قــام بصيدها وقد التهمتها الحيتان. فإذا أردنا أن نلخص رسالة بطل القانون نقــول إنها الحياة: أنت تخسر فماذا يهم سلوكك وأنت تتحطم.

إن الأمور الثلاثة التى سبق ذكرها، وهى الجروح والانعــزال عــن المجتمــع والقانون كانت مواضيع جميع القصص القصيرة المهمة التى كتبها هيمنجــواى سواء كانت من داخل القصص أم من خارجها. فكل هذه الاعمال جــاءت فى عشر مجلدات، منها ست روايات وقصة واحدة هزلية وكتاب عــن صــيد الحيــوانات الكبيرة وكتاب آخر عن مصارعة الثيران، ومسرحية.

وهكذا أقيم الأساس الذى أرجو أن يساعدنا على أن نفهم أعمال هيمنجواى، ومكانتها وتوضيح معانيها.

أما القصة الهزلية فهى تهكمية وعنــوانها (The Torrents of Spring)، وقــد ظهرت عام ١٩٢٦، وهى محــاكاة لقصص «Sherwood Anderson» بــوجه عــام

وبقصة «Dark Laughter» التى ظهرت عام ١٩٢٥ بوجه خـاص. والقصـة أداء مسل ومعتدل، وهى لاتمت بصلة إلى أى شىء كتبـه هيمنجـواى. وقـد أعلن المؤلف فى هذه القصة بأنه حرر نفسه من ضعف شنيع تجاه شخص كان قد وقع تحت نفوذه. وقيل إنه فسخ عقده مع ناشريه «Boni and Liveright» لأنهما رفضا نشر القصة. فأصبح المؤلف حرّا وأخذها وأعطاها إلى Scribner. كان هيمنجواى يفصله على غيره. ليس من المعقول أن يكون هيمنجواى قد اتخذ من كتابه هذا سببا لكى يغير ناشره، ولكن الواقع أن Liveright، قـد رفض القصـة فى حيـن Scribner قبلها ونشرها، ومن هذا اليوم أصبح Scribner هو المكلف بنشر بقيـة أعمال هيمنجواى.

وقبل أن ينتهى العام أرسل هيمنجواى للناشر Scribner القصـة الحقيقيـة الأولى التى كان عنوانها (The Sun Also Rises) وهـذه القصـة أكدت وأثبتـت لأصحاب بيت Scribner للنشر مدى حكمتهم وتعلقهم حينما قبلوا نشر قصته التى رفضها Liveright وسرعان ما أصبح الكتاب أكثر الكتب مبيعا وتـأسست شـهرة المؤلف. وقصة (The Sun ALso Rises) تقدم لنا بـطلها «Jake Barnes» الـذى يتحول جرحه (بمعناه الحرفى والرمزى)، من العمود الفقرى إلى أعضاء التناسل، فقد فقد أعضاء التناسل فى الحرب، وتذكر للعلم أن Nick هو الآخر كان مصابا فى العمود الفقرى. إن Jake هو الرجل الذى لا يستطيع النوم إذا كانت رأسـه قـد بدأت تعمل وتفكر. فهو الرجل الذى يبكى حظه فى سكون الليل، وهو الذى عـزل نفسه عن المجتمع، وعن حياة الطبقة الوسطى. لقد عاش فى باريس وسط مجموعة من النفعيين الدوليين.

وهم مجموعة من الناس يعيشون دون هدف. قذفت بهم الحرب بعيـدا عـن طريق الحياة المألوفة، هذا هو كما قالت Gertrude Stein يوما لهيمنجواى (الجيل المفقود) الذى كان كتابه سببا فى شهرتها. إن القصة مملوءة بـالحركة – شراب ـ صيد أسماك ـ مصارعة ثيران، إلى جانب العلاقات المشبوهة «لبرت أشـلى Brett Ashley»، لم تحب «برت» Jake Brett ولا كان «Jake» يحبها، فهو مصاب

فى أعضاء التناسل ولا حيلة له فى عمل شيء كانت برت Brett (وهى من ضحايا الحرب)، مخطوبة لرجل من ضحايا الحرب أيضا. وبالرغم من ذلك فقد تقلبت بين Cohn (وكان كاتبا)، و «Romero»، ولكنها فى نهاية الكتاب تتركه لتعود إلى Jake ثانية.

إن الكتاب لا يؤدى إلى أى شيء. وهذه هى النقطة الأساسية فى القصة. حركة مستمرة ومستديرة مثل الشمس. وهى الكلمة التى عنوان القصة: تشرق الشمس ثم تسرع لتصل إلى المكان الذى أشرقت منه (والعنوان مقتبس من الكتب الدينية).

وما أمتع الجزء الأكبر من الكتاب والأسلوب قوى وأنيق، والحوار شيق ورشيق، والكتاب رائع فى مبناه ومعناه، إن رسالة الكتاب هى الحياة بالنسبة لهؤلاء الناس عديمة الجدوى. إن قصة (The Sun Also Rises)، ستبقى أحسن قصتين كتبهما هيمنجواى.

أما القصة الثانية واسمها (A farewell to Arms وداعا للسلاح)، نشرت عام ١٩٢٩، وقد قامت هذه القصة بتفسير للكيفية التى وصل بها شخصيات قصة (The Sun Also Rises) وخاصة البطل، وصلوا إلى الحياة التى كانوا يعيشونها. وفى سياق القصة نشاهد Lt. Frederic Henry وهو من جرحى الحرب مثل «Nick Adams» (وكانت أكثر جراحاته خطورة إصابة ركبته، نفس المكان الذى سبق أن أصيب فيه هيمنجواى) كان هنرى هذا نموذجا لنتائج الحرب فهو لا يستطيع النوم ليلا ما لم يكف عن التفكير وإذا حدث وغلبه النوم، فإنه لا يرى أملا ما، بل يرى أضغاث أحلام مزعجة. وحين كان فى طور النقاهة فى أحد مستشفيات الجيش فى «ميلانو» أحب الممرضة الانجليزية، ولكن عندما أعيد إلى الجبهة اضطر إلى الهرب من الجيش كى ينجو بنفسه. هرب إلى سويسرا ومعه الممرضة وهى فتاة مطيعة تسمى «Barkley»، وقد حملت منه، إلا أنها ماتت فى أثناء الوضع تاركة «هنرى Henry» بمفرده لا يملك شيئا (إنه رجل فى شرك) لابد أنه قال ذلك عن

نفسه. فلقد وقع فى الشرك جسمانيا واجتماعيا فى كلتا الحالتين لابد أن تكون النتيجة سيئة للغاية إذ لا سبيل غير ذلك. ومرة أخرى تجد أن هيمنجواى، كتب هذه القصة بطريقة غاية فى الروعة، والنثر نظيف وقوى، والناس فيها أحياء، والقصة مبنية فى عناية فائقة.

فى مستهل القصة نجد منظرا قصيرا يمثل نذير الشؤم، وتأزم الحالة ـ المطر ـ العبء والموت. كل ذلك يمهد لما سوف يأتى. أما الحركة فى القصة فقد ربطها الكاتب بعناية فائقة وبشكل دائم ومستمر وبمهارة فائقة ربطها بموضوعات القصة: (الحب والحرب). لقد كتب كثيرون عن الحب والحرب، ولكن أغلبهم لم يستطع أن يربط بينهما كما فعل هيمنجواى. ففى قصة (وداعا للسلاح) يتخذ الحب والحرب مسارين متوازيين، ولكنهما يتلاقيان فى القصة وكأنهما على موعد. فنلاحظ أن هنرى وعلاقته بالحرب تأخذ ستة أطوار: التحاقه بالجيش ثم اشتراكه فى عمليات حربية خطيرة وإصابته بعد ذلك، ثم انتقاله إلى دور النقاهة فى «ميلانو». ثم التقهقر الذى أدى إلى الهرب، كل ذلك تشابك مع علاقته «بكاترين»، وهى بدورها قد تعرضت لستة أطوار هى الأخرى متقابلة مع أطواره: من علاقة جنسية عابرة إلى حب حقيقى ـ إلى الحمل ـ الاعتزال فى جبال الألب إلى رحلة المستشفى الذى ماتت فيه. وكجميع كتبه الجيدة فإن قصة (وداعا للسلاح)، لا تستطيع عجالة كالتى كتبها الآن أن توفيها حقها فشخصية «Frederic Henry»، شخصية ضخمة جدا إنه هيمنجواى، هو (البطل) بكل وضوح تام. إن هنرى يمثل كثيرا من الرجال. إنه يمثل تجارب وطنه: منذ نشأته إلى اشتراكه فى الحرب، ثم المرارة ثم الهروب. إن جميع الأمريكيين يستطيعون أن يقرعوا فيه تاريخهم الحديث والفترة العصيبة من Wilson إلى Harding. كما أن هنرى عبر عن خيبة أمله فى المثل العليا التى ادعت الحرب أنها قامت من أجلها، واضطر إلى القفز فى النهر ليهرب من الجيش.

كان هنرى يلخص الشعور السائد عند الامه بأسرها. لقد قال الكثيرون: إن قصة هيمنجواى تخلو من أية قيمة إيجابية، ولكن Robert Penn Warren

لا يوافق على هذا الرأى الذى أحرزه Henry من حالة الاضطراب والفوضى، إلى حالة النظام والحب فهو يبين الفرق بين الأكفاء من الناس الذين يحبون النـظام، وبين غير الأكفاء وقد تعامل هنرى معهم جميعا. إن القيم الاخلاقية هذه لم تأت عفوا بالنسبة للحركة فى القصة، بل هى من الأسس التى بنـى عليه ، الـكتاب، وبالرغم من هذه الأسس فإن الأثر النهائى للكتاب، والذى جاء نتيجة الامتـزاج بين التشاؤم والمثالية يشبه كثيرا الأثر والعلاقة التى تربط هيمنجواى وأبطاله.

فقد كانت علاقة قوية دائما. وبالنسبة للتشاؤم الكثير الـذى سـاد الـكتابين الأخيرين فلم يكن غريبا أن نجد البطل وهو هيمنجواى نفسه وبدون تخف وهـو على أهبة الهروب من المجتمع الذى رفضه فى قصة (وداعا للسلاح) أما الكتابان فهمـا (Death in the Afternoon) الـذى نشر عـام ١٩٣٢، و (Green Hills of Africa) الذى نشر فى عام ١٩٣٥. لم يبلغ أى من هذين الكتابين قدرا كبيرا من الأهمية. فالاول يدور حول مصارعة الثيران، وهو أحد الموضوعات الكثيرة التـى كان هيمنجواى يعلم عنها الكثير. أما الكتاب الثانى فكان عن صـيد الحيـوانات الكبيرة، وكان المؤلف على علم غزير فى هذا الموضوع، ولكن الراقع أن الكتابين يجمعهما موضوع واحد هو الموت. موت الثيران والخيول والحيوانات الكبيرة. لقد اعترف «هيمنجواى» بأن الموت كان موضوعه مستحوذا على تفكيره لمدة طويلة. وعلى الكتابين مسحة من العصبية كما لو أنهما كتبا تحت أعصاب متوترة، فممـا لا شك فيه أن مصارع الثيران، نموذج جيد لبطل القانون فهو عندما يقوم بـدوره فى الحلبة، فكأنه قس رفيع الشأن يقوم بالطقوس الدينية. إن مصارع الثيران وهو فى الحلبة يواجه الموت العنيف، إنما كان بسلوكه وقتئذ يجسد القـانون، وهـو ما قاله عنه المؤلف (الكياسة تحت الضغوط)، وكل من الكتابين قد احتوى علـى أجزاء طويلة عن أسبانيا وأفريقيا، وموضوعات أخـرى كلهـا جـديرة بـالقراء. أما أوضح شىء كان يمثله كل من الكتابين، فهو صورة الرجل الذى (منـذ وقـع هذا الصلح المنفرد)، كان قد قطع كل جذوره التى تغذيه فأحس بشعور قوى من الجوع وأن عليه أن يبحث، إما عن جذور جديدة أو يعيد إنشاء جذوره القـديمة،

هذا إذا أراد أن يبدأ فى كتابة قصص جيدة من جديد. وكان هذا العمل غير شاق أو صعب. إذ كان كتابه التالى بعنوان To Have and Have not ، الذى نشر عـام ١٩٣٧ مشيرا إلى هذه الحقيقة. والكتاب عبارة عن قصة (وإن لم تكن جيدة إذا ما قورنت بغيرها للكاتب ولكنها قصة اعترف فيها بكل وضوح بأنه تعلم شيئا من الممكن أن تكون له أهمية بالغة لو أنه تعلمه قبل أن يمارس الكتابة. وكما هـى عادته قديما وحديثا، فإن بطل القانون فى هذه القصة واسـمه «Harry Morgan» هو الذى يقوم بإعطاء الدرس، والكتاب يحكى قصة رجل اضطر أن يخرج علـى القانون والنظام، لأنه لم يستطع أن يعول زوجته وأولاده عن طريق عمـل شريف، وهكذا أصبح خارجا عن القانون فقام بتهريب الخمور والناس أيضا من «كوبـا» إلى «الولايات المتحدة». وفى نهاية القصة يقتل الرجل، ولكن قبل أن يموت يكون قد تعلم الدرس الذى تعلمه المؤلف نفسه أخيرا وهو: «أن الانسان وحيد لا أمل له».

والقصة وإن كانت فى ذلتها قليلة الشأن فإنها تمثل عند هيمنجواى أمرا بـالغ الأهمية. فالقصة تعنى نهاية فترة نفى طويلة ابتـدأها «Nick Adams» بـالصلح المنفرد ونهاية عزله «هيمنجواى» الأيدولوجية عن العالم: الانسان وحده لا أمل له. وما أن حل عام ١٩٣٧، وهى السنة التى نشر فيها القصة كان هيمنجواى قد عاد واحتضن المجتمع الذى هجره لمدة عشرين سنة. ورجع ثانية (لحرب أخـرى من أجل الديمقراطية).

ربما كانت الحرب الأهلية الأسبانية واحدة من أهم الأسـباب التـى دفعـت الكاتب إلى العودة إلى عالم الناس. لقد اشترك فى هذه الحـرب (بصـورة غيـر رسمية)، فى صف النظام الذى كان يسود فى هذه الآونة. فكان عمله الطويل التالى هو مسرحية (The Fifth Column) التى نشرها عام ١٩٣٨. والمسرحيـة تمجـد أعمال المحاربين، وقد كان على صلة بهم كما أعلن عن تأييده وثقته فى أهدافهم. وتتميز المسرحية بحوار بديع وبطلها Philip (وهو اسم مجرد عن أى اسم آخـر ومن السهل أن تدرك أنه البطل لأنه مصاب بالأرق معـذب بـذكرياته ثـم يحس الرعب ليـلا.

إنه يشبه «Scarlet Pimpernel» غير أنه فى زى أمريكى. إنه شاب لطيف يعمل مخبرا صحفيا، ولكنه مستهتر ومبذر فقد كان غـارقا لأذنيـه (دون أن تعـرف عشيقته Dorothy فى تأييد الوضع السائد وهو الديمقراطية.

أما قصة (For Whom the Bell Tolls) والتى نشرت عام ١٩٤٠، فهى تحـكى ما دار فى ثلاثة أيام من عمر البطل Robert Jordan. كان روبرت متطوعا فى الحرب الأهلية الأسبانية (مع أنه أمريكى). أرسل البطل لينضم إلى فـرقة مـن رجـال العصابات الذين كانوا ينتشرون فى الجبال بالقرب من «Segovia»، وقد عهد إليـه بمهمة نسف جسر له أهمية استراتيجية حتى يتقدم الديمقراطيون. وفى كهف يقع فيه رجال العصابات أمضى فيه البطل ثلاثة أيام وثلاث ليال وكان يتوقع وهـو فى الكهف ما كان ينتظره من دمار. وكان البطل قد وقع فى حب ابنـة أحـد العمـد الجمهوريين الذى قتل، وكانت الفتاة قد اغتصبت أيضا بواسطة الفدائيين. لقـد كان Jordan، يعتقد أن الهجوم على الجسر محكوم عليه بالفشل، ولكن القادة لـم ينصرفوا عن الفكرة إلا بعد فوات الأوان. لقد نجـح Jordan، فى نسـف الجسر بالكامل، ولكن عند ابتعاده عن الجسر المحطم أصيب بجراح قاتلة فتـرك هنـاك ليموت، ولكن Jordan، رأى الحكمة من وراء التضحية التى قام بهـا. والـكتاب ينتهى بدون مرارة. لم تكن هذه القصة بغير أخطاء. قصة الحب فيها وإن كانـت قصة غير عاطفية فإنها رومانسية جدا صبت فى قالب مثالى. وبالقصة كثير مـن الأجزاء التى يتحدث عنها Jordan فيقول: إنه يناضل من أجل العقيدة التى جاء من أجلها، وما أكثر ما حقق من أجلها. وبالرغم من ذلك فإن Jordan قـد تعلـم الكثير. تعلم كيف يعيش وكيف يعمل. لقد مات ولكنه أدى واجبه.

وكانت الطريقة التى مات بها كفيلة بأن تقنع الكثير مـن القـراء أن الحيـاة تستحق أن يعيش الانسان لها، ولكن هناك أيضا أشياء أخرى يهون الموت مـن أجلها. إن الطريقة التى كتب بها المؤلف هذه القصة تدل دلالة واضحة على أن عبقريته قد عادت إليه وعادت إلى سابق عظمتها الأولى. فلم يـكتب هيمنجـواى

كتابا مثل هذه القصة من حيث إثارتها للشعور بالحياة والتخطيط المتين، وعطائها الوفير لهذا العدد الوفير من الشخصيات الثانوية المملوءة بالقوة والحيـاة، وكذا الحوار الممتع الحى. لقد كانت هذه القصة أنجح قصة من حيث عدد النسخ التى بيعت منها. ولكن بعد هذا النجاح أمضى المؤلف عشر سنوات كاملة صامتا، ومـرجع ذلك فى المقام الأول لركود النشاط الأدبى إبان الحـرب العـالمية الثـانية. وحيـن خرج من صمته عـام ١٩٥٠ بـكتابه (Across the River and Into the Trees)، أعلن النقاد والسواد الأعظم من القراء أن مواهب هيمنجواى التى كانت عظيمة يوما مـا، قد ماتت وانتهت، فالقصة حقيقة عمل فقير. إنها قصة تدور حول (كولـونيل) فى الجيش، (صورة طبق الأصل تقريبا من المؤلف) ذهب إلى البندقية وقت السلم فى إجازة لصيد البط ولمقابلة صديقته (وهى فتاة صغيرة جدا) كان اسم الـكولونيل «Richard Cantwell»، وكانت على جسده آثار الجروح القديمة، وخاصة تلك التى كان يعانى منها Frederic Henry فى قصة (وداعا للسلاح)، ومرة أخـرى نقـابل «بطلة هيمنجواى»، وهذا اللقب سبق أن أطلـق علـى الممـرضة الانجليـزية «Cathrine» بطلة قصة (وداعا للسلاح)، وكذا على الفتاة الاسـبانية «Marie»، بطلة قصة (For Whom The Bell Tolls)، ويطلق الآن على الكونتيسة الايـطالية الصغيرة «Renata» بطلة هذه القصة (وجميعهن كن نفس الفتـاة الجميلـة مـع اختلاف جنسياتهن، وذلك على عكس البطل فإنه لم يغيـر جنسـيته، كلهـن كن صغيرات فى السن وقد كن يصغرن فى السن كلما تقدم سـن البـطل). إن هـذه القصة تبعث على الاهتمام لسبب عجيب.

فمنذ مائة عام من تاريخ نشر هـذه القصـة، نشر Hawthorne قصـة «The Scarlet Letter»، قال فيها: «هناك شعور لا يقاوم ولا يمكن تجنبه، له قوة القـدر يدفع الانسان إلى أن يتجول كالشبح حول المكان الذى كان له فيه بصمة كبيـرة فى حياته وأعطاها لونا معينا». وليس فى تاريخ الأدب الأمريكى من تمـكن مـن توضيح قول Hawthorne مثلما فعل هيمنجواى وبطل قصته. إذ كان هذا البطل فى قصته: Across the River and into the Trees أكثـرهم إيضـاحا لأن الـكولونيل

«Cantwell» زار نفس المكان الذى جرح فيه لأول مرة، وكذلك فعل Nick Adams و Frederic Henry، وهمنجواى نفسه، ثم أحضر أجهزة القيـاس وأدوات البنـاء وحدد المكان الصحيح الذى أصيب فيه، ثم بنى لنفسه قبرا ونصـبا تـذكاريا فى نفس المكان الذى كان له فيه أثر ضخم على حياته هناك وليس فى المكان الـذى عاش فيه لأول مرة، ولكن فى المكان الذى توفى فيه.

إن النقاد الذين تنبئوا بفناء عبقرية هيمنجواى بعد هذه القصة، وبفناء بـطله أيضا، كانوا لحسن الحظ مخطئين لأنهم جميعا وبدون استثناء اضـطروا إلـى الاعتراف بأن كتابه الذى جاء بعد هذه القصة بعنـوان (The Old man and The Sea) انتصار عظيم للمؤلف ولقصته القصيرة جدا. فالبعض يصر على أنها قصـة طويلة وإن كانت قصيرة بعض الشىء. (حتى لقد أشيع فى وقت ما أن هذه القصة ستكون الجزء الأول لعمل كبير فى دور التكوين). هذه القصة تعنى بصياد سـمك كوبى. فبعد أربعة وثمانين يوما قضاها فى البحر، لم يتمكن مـن أن يصـيد أى شىء. تجرأ «Santiago» وتعمق فى عرض البحر وحيدا، وهناك وفق فى صيد سمكة كبيرة جدا، كانت تسبح فى تيار (الخليج)، وذلك بعد أن قضى يومين وليلتين وهـو يجذبها إلى جانب المركب، ثم ضربها برمحه وبذلك تمكن من ربطها إلى مـركبه. وما لبث أن هاجمته الحيتان وبدأت فى التهام صيده. ضرب الرجل الحيتان بـكل ما لديه ليبعدها عن سمكته وقتل منها الكثير ولم يبق معه إلا ذراع دفة المـركب المكسور ليحارب به. ولكن الحيتان كانت قد التهمت جسم السمكة ما عدا الهيكل العظمى، فسحبه إلى البيت وهو يكاد يموت تعبا، وذهب إلى فراشه ليحلم بأيامه الماضية. وكما هو المألوف نرى أن القصة (والبطل القانونى) يعلمنـا الـرسالة: مهما بلغ الانسان من السن وأصبح كهلا وحظه من الحياة قليل، فمـا يـزال فى استطاعته أن يكابر ويخاطر ويتمسك بالقواعد ويثابر بالرغم من ظروفه الصـعبة. فإذا خسر. فبخسارته هذه يكون قد أصاب انتصارا. وإذا نظرنا إلى القصة مـن زاوية أخرى فإننا نلاحظ أنها قصة رمزية تحمل فى طياتها معان أخلاقية تتعلـق بالمؤلف نفسه. فهى قصة كفاحه هو. قصة إصراره، وقصة مشاكل حياته الأدبية،

وأن Santiago مثل همنجواى كان ماهرا. إذا بدأ عملا ما،فإنه يبدأه بعناية ودقة أكثر مما يفعله معاصروه، غير أنه لم يكن حسن الحظ دائما. لقد كان يوما ما قويا وبطلا لا ينافس، أما الآن فإن شهرته قد تعرضت للأخطار. تقـدمت بـه السـن فأصبح عجوزا، ولكنه ما زال يستشعر فى نفسه قوة كافية. فهو يعرف جيدا أسرار مهنته وصناعته. ثابت العزم يسير وراء النجاح الحقيقى. لا يضيره أنه سـبق أن امتحن قوته من قبل، ولكنه يصر على أن يجربها أيضا مرة أخرى. وفعـلا قـام بذلك. فبعد أن أمسك بصيده وجاءت الحيتان وأكلتها منه (وهى ستحاول دائما)، ولكنه هو الذى صاد السمكة وهو الذى حارب من أجلها وقد فعل كل ما يستطيع أن يفعله للحفاظ عليها. وكان فى النهاية سعيدا. وإذا نظرنا إلى القصـة نـظرة شاملة فإنها تبدو تمثل الحياة والصراع فيها مع قوى الطبيعة التى لا تقهر. هذا الصراع الذى يمكن بعده نيل النصر. إنها ملحمة الحياة. إنها مباراة تبدو فيهـا تفاهة الخطأ والصواب أمام الشىء العظيم الذى هو الصراع.

فالنظرة للحياة فى هذه القصة قد طرأ عليها تطور كبير عما كانت عليـه أيـام اليأس فهى تمثل كثيرا عند المؤلف: احترام للصراع من أجل الحياة، ومن أجل البشرية والاقرار بأن الرجل البسيط قادر علـى اكتسـاب الاحتـرام والـكبرياء والبطولة، بالرغم من أنه أصبح من المعروف أن هيمنجواى قد ترك وراءه عـددا كبيرا من الكتابات لم تنشر، (قصص وترجمات وشعر قيل عن بعضها أنها معـدة للنشر)، إن همنجواى لم يأت بعمل له أهمية حقيقية بعد قصة (العجوز والبحر)، أما صمته الأخير فمرجعه للمرض. فقد تعرض للمرض مرات عـديدة أدى إلـى إنهاك قواه. ولم يشف الكاتب تماما من الجراح التى أصـابته مـن رحلتـه فى أفريقيا، وهناك سبب آخر لهذا الصمت هو الضرائب. فالحكومة تسـتولى علـى الجزء الاكبر من دخله على شكل ضرائب. فقد كان دخله من قصة (The Snow of Kilimanjaro) مائتى ألف دولار(٢٠٠,٠٠٠ دولار)، فما بـالك وقـد تـرك وراءه قصتين وعددا من القصص القصيرة، فإن زوجته الأخيرة وأولاده الثلاث، يرثون مبلغا لا بأس به، دعنا نلقى الضوء على همنجواى (الرجل) وحيـاته المتعـددة

الألوان. ولد «أرنست ميلر همنجـواى» فى ضـاحية تسـمى «Oak Park» مـن ضواحى «شيكاجو» يوم ٢١ يولية سنة ١٨٩٩ وأغلب سكان هذه الضاحية من الطبقة الوسطى. كان والده يعمل طبيبا وكان محبا للصيد، وكانت أمـه متـدينة وتحب الموسيقى. لقد اختلف الوالدان فى اختيار الطريق الذى يسـلكه الابـن فى التعليم ويظهر أن الوالد هو الذى انتصر فى النهاية. أما طفولته فإن الجزء الأكبر منها (والذى ترك أثرا عميقا فى نفسه وفى ذاكرته) أمضاه فى مـدينة «Michigan» حيث كان يقضى بها الأجازات. وقد انعكس ذلك فى عدد من القصص عن الصبى Nick Adams. وفى صباه تعلم همنجواى الملاكمة (التى تركت إصابة فى عينيه فى أثناء التمرين)، ثم لعب كرة القدم وهو فى المدارس الثانوية إلا أن هذه اللعبة لم تستهوه. وفى هذه الأثناء كان يدرس اللغة الانجليزية بتعمق، كمـا كتـب بعض الأشعار الخفيفة. وحرر عددا من الأعمدة مقلدا «Ring Lardner» وقد اسـتمر فى هذا التقليد حتى أتقنه، ثم حاول كتابة عدد من القصص القصيرة.

وبالرغم من أنه كان يبدو من كتاباته أنه سيصير كاتبا فكاهيا فإنه حاول أيضا كتابة بعض القصص الجادة. وكانت هذه الفترة أهم فترة فى صباه ـ وقد بـدأ الكتابة عن الجزء الجميل من شمال «متشيجان»، كما بـدأت تـظهر خصـائص أسلوبه وخاصة طريقته فى الحوار منذ ذلك الوقت. ومنـذ سـنوات قليلـة قـال همنجواى: «إن أحسن فترات العمر للكاتب هى عندما يكون صبيا ويعيش حيـاة غير سعيدة، أما هو، فقد عاش فى صباه حياة سعيدة بعض الشـىء. فلقـد كان يشعر بالضجر من حياته المنزلية وحياته فى Oak Park فقد ترك منـزله مـرتين ليعيش بمفرده: مرة حين انتهى من دراسته الثانوية وذهب إلى مدينة «Kansas»، ود لو أنه ذهب إلى أبعد من ذلك. فقد كان مشوقا جدا للاشتراك فى الحرب لولا اعتراض والديه فضلا على أنه كان حديث السن فى السابعة عشرة، فلمـا رفض طلبه عدة مرات ليلحق بالجيش، راح يطلب عوضا عنه أن يعمل فى جريدة «Star» التى تظهر فى مدينة Kansas، وكانت وقتها واحدة من أحسن الجرائد فى الولايات المتحدة. وعندما طلب إليه ذكر سنه لم يكتب الحقيقة. وهذا يفسر حقيقة أن كثيـرا

من الناس ظلوا يعتقدون أنه من مواليد (١٨٨٩)، ونظرا لكفاية تجاربه الصحفية فى أثناء دراسته الثانوية، فقد أعطى وظيفة (مخبر صحفى)، وهنا اشتهر بنشاطه وحرصه الشديد على العمل، وأخيرا تم له ما كان يصبو إليه فتمكن من الذهاب إلى الحرب برتبة ملازم أول شرفية ليعمل سائق سيارة إسعاف تابعة للصليب الأحمر فى الخارج. وفى يوم ٨ يوليو ١٩١٨ أصيب بجرح خطير فى «Fossalta di Piove»، عندما كان ينقل الشوكولاته إلى القوات فى إيطاليا، ومنحته السلطات الايطالية وساما لبطولته لقد أجريت له عدة عمليات فى ركبته وبعد دور النقاهة فى «ميلانو» استمر يعمل مع فرقة المشاة الايطالية حتى إعلان الهدنة، وبعد الحرب، وكان قد (أصيب وتحطم من الناحية الأدبية والقدرة على الكتابة)، كما قال صديق له. عاد إلى الولايات المتحدة حاملا معه كسوته العسكرية التى اخترقتها الطلقات. وذهب مرة أخرى إلى شمال ميتشجان، حيث بقي هناك مدة يقرأ ويكتب ويصطاد. ثم انتقل إلى كندا ليعمل فى جريدة «Toronto Star». ثم رجع إلى شيكاجو. ولكنه لم يجد سعادته فى الولايات المتحدة وتزوج. لقد قبل وظيفة (مراسل أجنبى) فى «باريس» لحساب جريدة «تورنتو ستار»، واستمر فى عمله هذا فترة من الزمن إلى أن استقر بها نهائيا ككاتب تحت إشراف «Gertrude Stein» وآخرين. حقيقة إن عمله ككاتب لم يمنحه الكثير من الناحية المادية، ولكنه بدأ يلفت الأنظار بعمله الأدبى، وكانت قصته (The Sun Also Rises) سببا فى شهرته وهو مازال فى العشرينيات، ولم يعد يشكو من المشاكل المالية المتعاقبة.

ومن ناحية أخرى كانت قصة حياة هيمنجواى مزيجا من النجاح والفشل. لقد قرر أنه فشل فى الثلاث مرات الأولى، وكان قد تزوج من Hadley Richardson وهى أم ابنه البكر، ثم تزوج من Pauline Pfeiffer، وهى أم لولديه التاليين للبكر، ثم تزوج مرة ثالثة من Marthe Gellhorn الروائية. أما زوجته الرابعة فهى Mary Welsh من ولاية Minnesota وكان قد قابلها فى انجلترا عام ١٩٤٤. أما الزوجات الثلاث الأوليات فقد كن جميعا من مدينة St. Louis. وعلى مدى الثلاثينيات وحين كان يعيش فى أغلب الأوقات فى Key West وبولاية Florida كان نشاطه يتزايد

كرجل رياضي أكثر منه كاتب قصة. في الأربعينيات زاد نشـاطه غيـر الأدبـي في المجالات الأخرى، ولكنه مع ذلك نشر كتابا واحدا في هـذه الفتـرة. لقـد كان موضوع هذا النشاط غير الأدبى موضوعا لعدة قصص رومانسية تصف مغامراته في الحرب العالمية الثانية. وفي عام ١٩٤٢، تطوع هو ومركب الصيد التي يملكها (والتي سماها Pilar)، في مشاريع تابعة للبحرية الأمريكية على شواطئ «كوبـا». وكان الهدف من ذلك شبه انتحارى، وهو تحطيم غواصة كانت قد شوهدت في هذه المنطقة. وفي عام ١٩٤٤ حين كان في انجلترا (كمـراسل معتمـد)، ذهـب مـع الطيران الانجليزى في عدة مهمات حربية. وقبيل غزو الحلفـاء لفـرنسا تعـرض هيمنجواى لحادث تحطمت فيه سيارته ونقل على أثره إلى المسـتشفى، حيـث أجريت له عملية جراحية في رأسه (٥٧ غرزة)، ولكن حين سـمع بنـزول قـوات الحلفاء على الشاطئ الفرنسى ترك المستشفى. وبعد أن شق الحلفاء طـريقهم في داخل القارة ألحق نفسه بالفرقة العسكرية الرابعة مـن الجيش الأول التـى كان يفضلها دائما. وفي أثناء وجوده في هذه الفرقة شاهد الكثير من العمليات الحربية في Schnee Eifel في «لوكسمبرج»، كما شاهد الاصابات التي لحقت بفرقته في غابة «Hurtgen». لقد كان معروفا عنه أنه يذهب دائما للمقدمة. ففـي الـظاهر كان هيمنجواى مجرد مراسل حربى، ولكنه في حقيقة الأمر كان لـديه جيشـه غيـر الرسمى، والذى له أثره الفعال فقد كان لديه عربات مزودة بالأسلحة الأمـريكية والألمانية وتحمل زجاجات (مولوتوف والمفرقعات)، إن التاريخ يذكر أن الفرنسيين قد حرروا عاصمة بلادهم من الألمان، وهذا صحيح، ولكن الحقيقة الأخـرى أن هيمنجواى ومجموعة جنوده غير النظاميين كانوا مشتبكين في قتال مع الألمان في ميدان (قوس النصر)، في حين كان جيش «Leclerc»، مازال في الجنوب من نهـر السين. واتخذ هيمنجواى وجيشه هذا من فندق «Ritz» ثكنة لهم بعد أن استردوه من الألمان وحرروه نهائيا.

إن همنجواى الرجل البطل، وهمنجواى الرجل الذى ينتمى إلى المجتمع، قـد خلقا همنجواى الأسطورى، وهذه شخصية خيالية تختلف في بعض النقـاط مـع

الشخصية الحقيقية. فقد كان يثير فى الآخرين حماسا عجيبا، كما كان يثير فى البعض منهم نفورا فالكثير من المعلومات التى نعرفها عنه تظهره أكثر من مجرد مراسل صحفى. إلى جانب ما نعرفه عنه نراه يعيش معظم سنواته الأخيرة فى مزرعة «Finca Vigia»، التى تقع فى سفح جبل بالقرب من «San Francisco de Paula» على بعد تسعة أميال من «Havana». لقد كان كريما شديد الاحساس بالناس، مشهورا كأديب، وأعماله منتشرة ومقروءة. يتقن اللغة، خبيرا بالملاحة، وخبيرا بالتاريخ الحربى والمناورات. لقد تمكن من تطويع عزيمته أن يتغلب على الخوف، والتحق بالجيش فى الحرب العالمية الثانية. وأبدى من الشجاعة ما دفع الجنود المحترفين على أن يشهدوا له بأنه أشجع رجل عرفوه. كان «همنجواى» رجلا موهوبا قوى الشخصية، وإن كان فى بعض الأحيان تبدو تصرفاته شاذة. ففى قصة (Across The River and into The Trees)، يقول سائق الكولونيل «Cantwell»: «إن تصرفات الكولونيل الشاذة فى بعض الأحيان، إنما ترجع إلى كثرة ما تعرض له من إصابات» وبالرغم من أن هذا التشخيص يبدو وكأنه لا علاقة له بموضوعنا فإنه أحد النتائج التى ترتبت على إصابات هيمنجواى أنه مثل الكولونيل «Cantwell»، قد تعلم كيف يصمد أمام هذه الضربات حتى استمر فى الحياة. ومن الطبيعى أن هيمنجواى، لا يريد أن يدخل فى التاريخ إصاباته، ولكن ليس هناك من بأس فى أن نذكر أن قائمة إصابات هيمنجواى كانت طويلة جدا. فقد شجت رأسه وتعرضت أكثر من اثنتى عشرة مرة للارتجاج، وكانت بعض الحالات خطيرة جدا. كما تعرض ثلاث مرات للخطر، نتيجة اصطدام سيارات. ومنذ وقت قصير حين كان فى الأدغال الأفريقية تعرض لسقوط طائرته مرتين فى مدى يومين متواليين، وعانى على أثر السقوط من عدة جراح داخل جسده كما أصيب بالتواء فى العمود الفقرى وارتجاج شديد فى المخ لدرجة أن قوة إبصاره قد ضعفت لفترة ما، وبمناسبة هذا الحادث الذى تعرض له، نشرت بعض الصحف القليلة نعيا له ـ وقد قرأ بنفسه النعى ـ بعد شفائه وقد سر من هذا سرورا كبيرا، أما فى أثناء القتال فقد أصيب فى تسعة مواضع من جسمه،

وتعرض لست إصابات فى رأسه. وحين كان فى الثامنة عشر من عمره، وكان يحارب فى إيطاليا فى الحرب العالمية الأولى ألقيت عليه قنبلة، وقد ترك فى مكانه لاعتقاد الناس من حوله أنه مات ولم يستطع الأطباء فى هذه الأونة استخراج أكثر من مائتين وسبعة وثلاثين جسما صلبا من بدنه. وفى النهاية بدأت صحته فى الاضطراب. ولم تطب له الاقامة فى «كوبا» تحت حكم «كاسترو» فتركها إلى «إسبانيا»، التى كان يحكمها «فرانكو»، وعاش هناك دون مضايقات بالرغم من قصة (For Whom The Bell Tolls). وهناك تابع مصارعة الثيران مرة أخرى وكتب قصة (The Dangerous Summer). وهى قصة مبتورة. تبدو وكأنها قصة صحفية تصف مصارعات الثيران. ثم مالبث أن عاد إلى الولايات المتحدة واستقر فى Sun Valley بولاية Idaho، لقد كان مريضا، وكان يشكو (إلى جانب إصاباته السابقة) من مرض ضغط الدم وسرطان الجلد. حتى لقد قال زائروه فى هذا الوقت: إنه هزيل شاحب اللون بشكل ظاهر ومنطوى على نفسه، وفى حالة قلق دائم، وانقباض نفسى حاد، لقد أعطى خمسا وعشرين صدمة كهربائية كعلاج، ودخل مستشفى «Mayo Clinic» مرتين كما كان يشكو من النقاد بوجه عام، وأخيرا حدث (والدنيا لم تكن تعلم إلا القليل عن خطورة حالته)، أن صدم العالم بالنهاية المحتومة للكاتب وكان ذلك يوم ٢ يوليو ١٩٦١.

لا ينبغى لنا أن نقول إن اعتلال صحته كان السبب فى قلة إنجازاته، بل على النقيض فقد قال فى قصة (وداعا للسلاح): «إن الدنيا تحطم الناس، ولكن كثيرا منهم يصبحون أقوياء فى المكان الذى تحطموا فيه». لقد كانت حياته العملية ـ ككاتب ورياضى لمدة طويلة ـ دليلا على صحة هذا الرأى. فلنبدأ أولا بهمنجواى الكاتب وليس الانسان. فالكثير من الناس من يعتقد أن شهرته إنما ترجع إلى أسلوب نثره وهو الأسلوب الذى امتاز بالنظافة والبساطة والوضوح. إن المسئولين عن منحه (جائزة نوبل) فى الآداب، إنما كانوا يعبرون عن هذا الرأى فقد قالوا حين منح هذه الجائزة عام ١٩٥٤: «إن الكاتب يمتاز بسيطرة قوية على أسلوبه فى القصة الحديثة».

من غير المعقول أن يكون أسلوب همنجواى فى الكتابة قد جاء عفوا. فقد قال الكثير من المشتغلين بالآداب إن أسلوبه يرجع ابتداء إلى زمن بعيد إلى «Mark Twain» ، حين كتب أول فصل فى قصته (Adventures of Huckleberry Finn) والتى نشرت عام ١٨٨٤. فقد كان مارك توين، يريد أن يكتب قصصه بلغة أى صبى أمريكى، ولا يريد أن يكتب بأسلوب إنجليزى (أدبى)، وإنما بلغة إنجليزية (طبيعية)، أو بالأخرى بلغة الحديث الأمريكى العابر لأن مارك توين، كان أول كاتب يستعمل (اللغة الأمريكية) فى الكتابة، ذلك لأنه وجد فيها النقاء والشاعرية، وهى ميزة لم تنتقص على مر السنين والايام.

إن حياة كثير من الكتاب الذين جاءوا بينه وبين «توين»، كانت تشبه حياة هيمنجواى نفسه فلنأخذ «Stephen Crane». لقد بدأ حياته مبكرا جدا. بدأ مخبرا صحفيا، ثم مراسلا أجنبيا، (فهو مثل هيمنجواى تماما) وقد سافر كل منهما بعيدا للاشتراك فى القتال، وكل منهما صدم بموت أبيه، كما أفسد العنف طفولتهما، لذا كانا يريان معا أن الحرب هى التجسيد الرهيب للعنف، كما أنها تجسيد للحياة. لقد جرب كل منهما قوته ضد العنف، وفى النهاية اعترف لهما بالشجاعة. ربما سيساعدنا هذا التشابه بينهما على استنباط من أين أتى هيمنجواى بأسلوبه هذا الذى امتاز به وكذلك الخصائص المميزة لحواره، كل ذلك يمكن أن نراه فى أعمال Crane ، وهو فى أوج عظمته. (وهذا دين اعترف به هيمنجواى بطريقة غير مباشرة). إن أى مجهود يبذل لكتابة نثر بسيط مختصر، مكثف خال من التغييرات المألوفة والتشبيهات المصطنعة، أى نثر كلماته أبسط وأسهل ما يمكن، لابد من أن يكون قد استفاد وتأثر من مجهودات «جرترود شتاين Gertrude Stein». وبالاضافة إلى ذلك نجد أن هيمنجواى مدين وخاصة فى قصصه الأولى «شرويد أندرسن Sherwood Anderson»، وكذا إلى عدد آخر من الكتاب (وإن كان ذلك بشكل أقل) أمثال F. Scott Fitzgerald و Ezra Pound و Ring Lardner و Joseph Conrad و Ford Madox Ford و Van Turgenev.

من المألوف أن يعترف أغلب الكتاب بدينهم فى كتاباتهم المبكرة. أما فى حالة هيمنجواى فإن الوضع معقد لأن ثمانية عشرة من قصصه الأولى، وكذا مسودة قصته الطويلة الأولى، كانت جميعها فى حقيبته وسرقت من زوجته الأولى عندما كانت مسافرة إلى «لوزان» بالقطار، لذلك فإن المادة التى تسجل خطواته الأولى المتغيرة قد فقدت، وهذا مؤكد لاريب فيه. ولكن يجب أن نذكر أنه لم يفقد بعضا من نسخ المسودات التى أسماها Three Stories and ten Poems والتى نشرها فى مدينة Dijon عام ١٩٢٣، وكما يوضح العنوان عبارة عن محاولة أولية لكتابة الشعر، وبعض قصائده تذكرنا بالكاتبين Stephen Crane و Vachel Lindsay . أما القصص الثلاث وهى : Up in Michigan و Out of Season و My Old Man ، فلا تعتبر من الأعمال الكاملة، وإن نشرها فى كتاب بعنوان «In Our Time». وعلى أى حال فهذه القصص تكشف عن وقوعه تحت تأثير كتابات الآخرين. إن قصة (My Old Man) أصدق دليل على تأثر همنجواى بالكاتب Sherwood Anderson ، فهذه عبارة عن صورة شفافة من قصة S. Anderson هذا الواسعة الانتشار، التى كان عنوانها: (I Want to Know Why)، وقد أعيد نشرها قبل قصة همنجواى بعامين. فكل من القصتين يدور حول سباق الخيل، كما يصفه الصبى بلغته الدارجة. وفى كل من القصتين يواجه الصبى مشاكل أكبر من سنه، لأنه تعرض لأوهام رجل عجوز كان قد تعلق به جدا، يقول همنجواى: إنه لم يكن قد قرأ قصة S. Anderson عندما كان يكتب قصته (My Old Man). فإذا كان الأمر كذلك فإنها تكون مصادفة غاية فى الغرابة حقا. أما قصة (صبيين أفاقا من سحر الحب). فإنها تذكرنا بقصة Scott Fitzgerald التى بعنوان The Beautiful and the Damned والتى نشرت عام ١٩٢٢. أما قصة (Up in Mihchigan) أهم القصص الثلاث. فهى عبارة عن مقدمة لقصص Nick Adams التى كتبها هيمنجواى بعد ذلك مباشرة. تقع حوادث القصة فى محل Indian Camp. وقد تعرض فيه Nick Adams للعنف والوحشية والألم. إننا نجد فى هذه القصة Up in Michigan فتاة تسمى Liz تتعرض هى الأخرى لنفس الدرس.

إن تأثير الكتاب الآخرين على كاتب بارز فى حجم هيمنجـواى ظـاهر جـدا، ويمكن التعرف عليه حتى فى أحسن أعماله وأعظمها، وأوضح مثال على ذلك ماجاء فى أجمل قصتين لـه: «The Snows of Kilimanjaro» و «The Short Happy life of Francis فالاثنتين لاجدال فى أنهما من تأليف همنجواى. وكلاهما تعتمدان علـى قصصه السابقة وتحملان شبها بها. قصة (The Short Happy life of Macomber) تشمل وصفا مفصلا عن مراحل تعليم (القانون) وقيمه. «Macomber» رجل جبان يتعلم القانون من Wilson دليله المحترف فى أثناء الصيد. فهو يتعلم كيف يـكون رجلا. يواجه الخطر من أوله بفزع بالغ فيهرب منه خـوفا، ولـكنه فى المنـاسبة التالية وقد علمه Wilson القانون، أو روح القتال، فإنه يكتشف أن مخـاوفه قـد زايلته. فاستعاد رجولته وبدأت حياته (ولو لمدة قصيرة).

هذا هو هيمنجواى فى أوج براعته، ولكن بـالنسبة للـطريقة التـى تنـاولت الخلافات الكبيرة التى كانت تخيم على العلاقة بين Macomber وزوجته Margot، فإنها تشبه إلى حد كبير جدا بعض الأفكار التى كتبهـا D.H. Lawrence عـن الجيش فى أمريكا، إذ كانت ضمن مقال له نشره عن قصة Scarlet Letter للـكاتب S. Anderson. أما الجزء الموجود فى القصة والذى يعالج فيه الخوف والـرجولة فهو صياغة معادة تماما لما فى قصة Setephen Crane بعنوان The Red Badge of Courage وهى قصة كان هيمنجواى قد عبر عن إعجابه بها منذ فتـرة طـويلة. وكذلك قصة The Snows of Kilimanjaro، وهى القصة التى نـالت الـكثير مـن المديح بسبب تألق هيمنجواى فى كتابتها من الناحية الفنية. فإن بعض مـادتها تذكرنا بكثير من الكتاب وينسحب هذا أيضا على بنائها غير العادى. إن له سابقة شديدة الشبه بقصة تجريبية نشرت عام ١٨٩١ لكاتب يسـمى Ambrose Bierce تحت عنـوان An Occurence at Owl Creek Bridge وكلا القصـتين تعـالجان موضوع رجل على حافة الموت، ويرى الرجل بعين خياله تجربة لفراره من الموت بطريقة واقعية، حتى أن القارئ ينخدع لاعتقاده أن هذه التجربة قد وقعت فعلا. وكلا القصتين تتفتحان على موقف يكون فيه الموت أمرا محققا. ثم بنظرة إلـى

الخلف يبين الكاتب فيها كيف وصل الأمر إلى هذا الموقف، ثم بنظرة إلى الأمام تبين الهروب محض خيال. وتنتهى كل من القصتين، بأن الموت قد حدث فعــلا، ذلك لأن الموت هو الحدث الواقعى. فى بعض قصص هيمنجواى، نلمــح شــبها بينها وبين بعض الأعمال الأدبية لكتاب آخرين. فإذا كانت قصــة To Have and Have not لاتدين بالكثير إلى مجمــوعة قصص James Joyce المســماة Ulysses و «Frank Narris» المسماة Moran of The Lady Letty و Jack London المسماة Sea Wolf فإن ذلك الشبه يعتبر من المصادفات المستحيلة. ولكن من الانصــاف أيضــا أن نقــول ليست جميع أعمال هيمنجواى مســتوحاة من (الغيــر). تقــول Gertrude Stein عن أعمالــه: «إنهــا تبدو حــديثة، ولكن تفــوح منهــا رائحــة المتاحف». أما Edmund Wilson فقد قــال: «يجب ألا يظن أن هيمنجواى قــد تعــرض للمصير الأدبى الذى تعرض لــه الكتاب من أنه اســتوحى أعماله مــن (الغير)، ولقد كتب Alfred Kazin يقول: «لا علاقة لهيمنجواى بالثقافة التى كانت تحكم فترة ما قبل الحرب».

يحتمل أن تكون كل هذه الأحكام خاطئة. فهو كغيره من الــكتاب راح يــطلب شيئا ممن سبقوه من أقرانه، ولكن هذا الشىء يفضل تجاربه وذوقــه الحســاس يصبح شيئا آخر ذا معنى وشديد الجاذبية. لقد صنع بقوة شــخصيته ومهــارته الفنية بما استعاره، فأصبح هذا الشىء المستعار مميزا وخاصا به، ويملكه بشكل لايمكن أن ننكره. فربما لا توجد أى دولة فى العالم تقرأ الكتب الأمريكية ولا تتأثر بأعمال هيمنجواى أما نحن فى الولايات المتحدة فقد تعودنا أن نقرأ له. حتى أننا لم نعد نلحظ فيه من جديد. أما من الناحية الايجابية فإن هيمنجــواى قــد بشر بالقيم الموضوعية والأمانة، وعاون على تنقية كتابتنا مــن العــاطفية والمبــالغة والزخرف الأدبى وسطحية الفن. وهو الوحيد تقريبا الذى أعاد الحياة إلى أسلوب الحوار. لقد شغف كثير من الكتاب بتقليد أسلوبه فى النثر أكثر من شغفهم بــأى كاتب آخر. لقد اشتهر بكتابة نثره، وكان نثره يمتاز بالشعبية والبساطة المعتنــى بها، وكذا ببناء الجمل واختيار الكلمات. لقد كانت جمله فى العادة قصــيرة وفى هــذا

اقتصاد كبير عند استعمال الألفاظ حتى قال Ford Madox Ford : «إن كلمات هيمنجواى تلفت النظر، كالحصى عندما يستخرج من قاع الغدير». إنه تأثير الصوت الذى تحدثه الكلمات، وكذا نظافتها ووضوحها والعناية الفائقة عند اختيارها، لقد امتدت هذه الدقة الفائقة حتى وصلت إلى عملية البناء، لقد كان هيمنجواى يعمل ببطء، ويراجع كل دقيقة مراجعة شاملة وواسعة. لقد قال عن نفسه بأنه أعاد كتابة الصفحة الأخيرة من قصة (وداعا للسلاح) تسعا وثلاثين مرة وأنه قرأ مسودة The Old Man and The Sea ما يقرب من مائتى مرة قبل أن ينتهى منها.

بقى لنا أن نقول كلمة عن عالم هيمنجواى. هذا العالم الذى خلقته تجاربه وخياله. إنه عالم محدود هذا هو عالمه الذى نشاهده فى كتبه. إنه عالم يعيش فى الحرب، الحرب بمعناها الحقيقى (أسلحة وتخطيط)، أو الحرب بمعناها المجازى كما توضحه أعمال العنف والدمار التام فى كل مكان. إن الناس فى هذا العالم يتصرفون من واقع هذه الظروف، ظروف الخوف وحالة الطوارئ. أما اللذة فهى سريعة وتفرضها أحوال القتال. ومن هذه اللذة نوع يبقى بعد زوال المسبب لها وهى التى تسمى (القانون) وما يتصل به من قيم الجندية وأخلاقيات زمن الحرب. إنه عالم لا تثمر فيه الأشياء، إنما هو عامل يتفجر فيه الأشياء وتتفكك وتتحطم. إنه عالم قد أنقذ من التعاسة الكلية والمتاحة بواسطة الصبر والشجاعة والجدارة. بواسطة ما يمكن أن يعطيه الانسان عندما لا يشعر بالألم، وبواسطة تدخل الحب الذى لا يتعدى إجازة قصيرة. بالسعادة التى يشعر بها الانسان وهو يقوم بزيارة البلاد الأخرى. بالصيد، بالمقاهى التى يجلس عليها الانسان لفترة، وبأشياء أخرى صغيرة. إنه عالم يرى من خلال شق فى الجدار وبعدسة مكبرة.

قد نستطيع أن نتجادل حول عدم كفاية العالم الذى خلقه هيمنجواى. نعم هذا صحيح. إننا نحتج عليه إنه ليس العالم الذى نتطلع إلى الحياة فيه. ونعتقد أيضا أننا لا نعيش فيه. فإذا ما نظرنا قليلا إلى الوراء فسنذكر جيدا الكثير من الحروب (الصغيرة)، كما أننا نذكر كذلك حربين كبيرتين. إننا نعد أنفسنا الآن

لليوم الذى سوف ندخل فيه مجزرة هى نهاية العالم. قد تعارض عالم هيمنجواى، ولكن من الصعب علينا أن نجد شيئا نبرهن به على أن عالم هيمنجواى، لم يكن العالم الذى كنا نعيش فيه. إن الوقت لم يحن بعد حتى ندرك أى العوالم التـى تحدث عنها الكتاب سيكون عالمنا الذى يلزم علينـا أن نعيش فيـه، فـكل ذلك سيتوقف على مايحدث، وإنك لن تعرف مطلقا متى سيتم (السـلام فى عصرنـا)، برغم أن هيمنجواى فى نبوعته الساخرة قد حددها منذ البداية. فلقـد رأى منـذ البداية فى نظرة ثاقبة وبرغم إمكانياته المحدودة رأى كثيرا من حقائق جيلنا الذى نعيش فيه. ومن المحتمل أن يكون بعض ما ذكره يحمل علامات الصدق والخلود.

توماس ولف THOMAS WOLFE

بقلم
هوف هولمان C. Hugh Holman

كان «توماس ولف Thomas Wolfe» دائما فى صراع مرير وغضب جارف مع ما يسميه (معجزة الحياة العجيبة المرة)، فهى المعجزة التى يراها فى المتناقضات. فعناصر الحياة وعناصر الفن كما يراها «ولف»، عبارة عن مجموعة من المتضادات. والكاتب لا يستطيع أن يفهم الشىء إلا إذا استحضر نقيضه ووازن بينهما وعقد بينهما المقارنة. لذلك نرى أن ترتيب هذه المتناقضات أصبح الطابع الظاهر والوحيد الذى يميز أعماله. وقد كونت الأجزاء المهمة لأربع قصص واسعة وطويلة، وسبع قصص قصيرة، ومجموعتين من القصص القصيرة، ثم مقال فى النقد. فكتابه (Look Homeward Angel) يحمل فكرة البعد والقرب، وقصة (Of Time and the River) وقصة (From Death to Morning) وقصة (Web and the Rock) وقصة (You Can't Go Home Again)؛ كلها تدور حول فكرة البيت والمنفى. وحتى فى مجال الجغرافيا نجد أيضا هذا التناقض. الجنوب والشمال.. الريف والمدينة.. السهل والصخور.. أمريكا وأوروبا ـ الأب والأم (جنوب وشمال كارولينا) ـ الغنى والفقير، وحتى تصويره لنفسه حمل نفس النمط من التناقض. ففى قصة (The Web and the Rock) وفيها ترجم حياته يقول Esther Jack : له وجه كوجه الملاك المجنون.. كأن هناك جنونا وظلاما وشرّا فى عقله، إنه أكثر قسوة من الموت، وأجمل وأدق من الزهرة، لقد صنع قلبه ليحب ولكنه الآن مملوء بالكراهية والظلمة».

ونلحظ فى أعماله صراعا فى لب الموضوعات حتى لقد قال: «لقد اكتشفت أخيرا

أمريكيتى.. سأحطم رؤيتى عن الحياة، عن هذا العالم، عن أمريكا بأشد ما لدى من قوة، ولكن باستقامة قصد، وحب نقى». لقد كان على قدم المساواة مع Walt Whitman و Mark Twain و Sherwood Anderson. لقد وصفهم قائلا: «إنهم رجال شاهدوا أمريكا من رؤية شاعر».

لقد كان (الاندفاع نحو الملحمة)، والرغبة فى تحديد معالم الشخصية الأمريكية عن طريق القصة وتصور التجربة الأمريكية، كان هذا حاضرا ومتسلطا فى قصصه. وفى أعماله نلاحظ موضوعا آخر متناقضا كذلك، ولكنه ملح بنفس القدر من التناقض. هذا الموضوع هو الوحدة والانفراد. وبمعنى أوسع كان موضوع أعماله هو (نفسه) واكتشافها، وتجميع قدراته لمعرفتها. لقد كانت قمة عمله تبدو فى التعبير الموسيقى عن العواطف الشخصية وفى التعبير البلاغى عن المواقف الشخصية. وعدا Whitman لا يوجد كاتب أمريكى كبير عنى بنفسه بهذا القدر من الاتساع والكثافة، وبهذا الشعور والاحساس الكبير بأهميته مثلما فعل Wolfe. إن هذا الاهتمام البالغ بالمتناقضات قد انعكس أيضا على أسلوبه. نراه فى هذا التباين الموزون الذى تزخر به كتبه، وفى هذه المقارنات العجيبة بين الصور، وفى استخدامه للجمل المتناقضة مثل: «التغير غير المتغير»، و «الفخم والمتوحش»، و «الضعيف والقوى»، و «الغنى والفقير». «لقد كان «لولف Wolfe» هذا أسلوبان يختلف الواحد منهما عن الآخر ويتعارض معه فى نفس الوقت. فمرة يكتب بتركيز موسيقى مجموعة من الصورة الحسية قادرة على إثارة ردود فعل عنيفة لدى القراء، مثل تلك الردود التى تحدث نتيجة للتجربة المباشرة. ولا يطاوله أحد من الكتاب الأمريكيين فى القرن الحالى فى هذه الخاصية سوى «أرنست همنجواى»، فهو القادر على إثارة البدن عن طريق الصور المباشرة التى تدغدغ أعصاب القارئ. قال «ولف»: «إن ذاكرتى تنفرد (بدرجة أكبر من المعتاد) بقدرة على إثارة واسترجاع الانطباعات الحسية بتركيز كبير مثل الروائح والأصوات والأشكال والاحساس بالأشياء»، إن أسلوبه يكون فى أحسن حالاته حين يريد أن ينقل هذه الأحاسيس للقارئ.

نادرا ما كان «ولف» يقنع بأن يترك المنظر أو الحس يتكلم عن نفسه، بل كان يشعر بالتزام يقضى بضرورة تحديد العاطفة التى يربطها بالمنظر وأن يومئ بمعنى أو بحكمة عن طريق استخدامه للتأثير البلاغي، ويظهر هذا التناقض والمقابلة بكل وضوح أيضا فى صفات البناء القصصى عند هذا الكاتب.

فالمناظر الدرامية نجدها كاملة من جميع النواحى (التنفيذ والقوة والتلقائية)، فبعض الفصول من أعماله التى نشرت مستقلة لقصص قصيرة، كانت وحدات قصصية قوية، مثل: The Child by Tiger، التى نشرت فى مجلة Saturday Evening Post كقصة قصيرة فى أول الأمر، ثم كفصل كامل فى قصة (The Web and the Rock) فإنها تعتبر خير مثل لذلك. وكذلك كانت قصص Only the Dead Know Brooklyn و The Lost Boy و An Angel on The Porch. أما القصص ذات الطول المتوسط فقد عمل «ولف» بأقصى جهد فأنتج سبعا منها نشرت جميعها فى المجلات كوحدات مستقلة. بالرغم من أن الكاتب قد قسم (فيما بعد) خمسا منها لتصبح أجزاء فى قصص طويلة وهى The Web of Earth، وكانت أنجح أعماله من حيث البناء وقصة A Portrait of Bascom Hawke التى فتتت ووزعت فى قصة (Of Time and the River) كصورة لشخصية Bascom Pentland، وقصة (No Door) التى رتب المؤلف الجزء الخاص منها بعالم الانسان، ثم زاد من اتساعها لتصبح قصة (Of Time and the River)، وقصة (The Party at Jack's) التى ضمها الكاتب بعد أن زاد فى طولها إلى قصة (You Can't Go Home Again) وهذه القصص الخمس تمثل نموذجا للكتابة الدرامية فى القصة عند المؤلف. فهى غنية، وموضوعاتها حازمة فى السيطرة على الأحداث والحركة، وموضوعية من حيث وجهات النظر.

وزيادة على ذلك فإن «ولف» قد تطلع إلى تحقيق طموحه لكتبه، فإلى جانب التجارب التى تشغل جزءا من مادة القصة عنده، فإنه أضاف إلى القصة جوا أسطوريا استمده من المنطقة التى نشأ فيها كتجسيد لصيغتها وروحها، وقد بدأ

النقاد فى الاهتمام بالفكرة الجديدة للأسطورة، وكان «ولف» يكتب مسودة قصـة نشرت فيما بعد باسم The Hills Beyond ، والأسطورة هنا قامت على الحقيقة التـى تؤخذ قسرا. المسألة ليست مسألة التمسك بالعقيدة، أو عدم التمسك بها، بل هى (فى بساطة شديدة) أن تراها. حتى تراها. حتى يمكن استيعاب وتحديد المـظهر الأسطورى فى التجربة الانسانية. فراح «ولف» يبحث فى الأسـاطير والخـرافات القديمة، ولم يكتف بذلك، بل رجع أيضا وبحث فى صلب تجاربه هو. فجاءت قصة (Of Time and the River) وشـخصياتها لتـرمز إلـى «Heracles و Faustus و Orestes و Helen و Telemachus» وغيرهم. وبعد أن حدد الخطوط العـريضة للموضوع فى خطاب إلى Maxwell E. Perkins يقول: «والآن لا تفزع لهذا كلـه، وفكر فى أنى أكتب أسطورة يونانية». ولكن كل ذلك لا يذكر أبدا فى القصة عندما تأخذ شكلها. إنى أعتقد أن ذلك سيعطى للقصة موضوعا ممتازا ووحـدة قـوية. وهذه المشاريع وغيرها كانت أحد المواضيع الرئيسية لمراسلات المـؤلف مـع الناشر Scribner والناشر Harper، وكذلك مع وكيله. فبرغم القوة الـدرامية لـكل منظر على حدة، وكذا المدى المدروس للأسطورة فى خطة القصة، فـإن القصـة كوحدة كبيرة تبدو هلامية الشكل والموضوع. كل ذلك حير النقاد حين نشر كتابا لأول مرة. إن البناء فى أعماله يبدو (وإن كان ذلك على السطح) كأنه التسـلسل التاريخى لقصة حياته. فقد اكتشف النقاد والدارسون الصلة القوية بيـن كتبـه وتاريخ حياته، لاحظوا أيضا أن «ولف» كان يستخدم بكثرة تجاربه المباشرة التى تتمثل فى أشخاص حقيقيين، وأحداث واقعية. إن بعض النقاد يدعون أن أعمـاله ليست ترجمة لحياة «ولف» الشخصى، ولكنها قد تـكون تـرجمة لحيـاة «ولف» القصصى. وعلى وجه العموم فإن Floyd C. Watkins الذى قام بحصر اسـتخدام «ولف» للمواد التى كان يستمدها من بلدته Asheville قد انتهى إلـى أن قصـة Look Homeward Angel بها أكثر من ثلاثمائة شخصية أو مكان، وصفت وذكرت بالاسـم الحقيقى لهـا. ويمـكننا القـول أنـه لا يوجـد بالقصـة شـخصية أو مكان أو حادث واحـد من نسـج خياله. لقد قال «ولف» بعد أن ألقى سـلاحه:

Dr. Johnson إن الانسان يبحث فى نصف الكتب بالمكتبة حتى يمكنه أن يـكتب كتابا واحدا. وبنفس الطريقة أقول: «إن كاتب القصة يبحـث فى نصـف سـكان المدينة ليصنع شخصية واحدة». ولكن ذلك لا يعد دفاعا قويا، خاصة وأن الناس فى المدينة قد ظهروا فى القصة من وراء غلالة رقيقة جدا وأن الأسماء لم تتعرض إلا لتغيير تافه جدا Chapel Hill تغيرت إلى Pulpit Hill و Raleigh إلى Sydeney و Woodfin Street إلـى Woodson Street أو Reuben Rawls إلـى Ralph Rolls كما تغير اسم أبيه من W.O.W. Wolfe إلى O.W. Gant واسم أمـه مـن Eliya Westall Wolfe إلى Eliya Plentland Gant واسم أخيه من Benn Wolfe إلى Ben Gant. لقد كانت الطريقة الفنية للكتابة عند «ولف» تقوم على المزج بين الواقعية للأشياء والأشخاص وبين الرومانسية فى العواطف. واستطاع الكاتب بهذه الطريقة أن يعكس بكل دقة صوره المتضادة. وربما كان أيضا الازدواج بيـن الـطبيعة والفن. فمن ناحية نجد أن الكاتب قد التزم بكل التفاصيل الدقيقة لصورة العـالم كما هو فى الطبيعة حتى أنه قد وجد أنه من الصعب عليه أن يأتى بشـىء لـم يتعرض لتجربته الشخصية. ومن ناحية أخرى كانت نظرته للطبيعة، ودور الفـن تماثل تماما نظرة نقاد وشعراء القرن التاسع عشر الرومانسيين.

لقد كانت نظرته الجمالية هى النتيجة الطبيعية لتعليمه وتربيته. فقد ترك ستة من المعلمين آثارا كبيرة على «ولـف»، خمسـة منهم كانوا رومانسـيين. تركت Margaret Roberts (وكانت لمدرسته لمدة أربع سنوات فى المدرسة الابتدائية) أثر لا يمحى عليه لحبها الشديد للشعراء الانجليز. لقد ظهر اسم Mrs. Roberts تحت اسم Mrs. Leonard فى قصة Look Homeward Angel لقد ملأت هذه المـدرسة قلب الصبى بحب مماثل لكل من « Wordswoth و Burns و Coleridge Herrick و Carew و Jonson و Shakespeare و Poe و Hawthorne و Melville و Scott وفى جامعة North Carolina درس الفلسفة على الأستاذ Horace Williams الـذى ظهر فى قصصه تحت اسم Vergil Weldon والذى كان يطلق عليـه Hegel in the Cotton Belt. كان الأستاذ «وليم» متصوفا وقد علم «ولف» لونا من ألوان الجدل

على طريقة هيجل Hegel، وهى التى تنادى بأن الفكرة (أو الفرض)، لا بـد أن ينتج فكرة عكسية (هذا ما يعرف بنظرية التباين)، ثم إن التفاعل بين الفـكرتين تنتج عنه فكرة جديدة هى فكرة المواءمة. كما درس «ولف» أيضا على الأسـتاذ Frederick Koch الذى بدأ عمله مع فرقة التمثيل بالجامعة، وقام بتشجيع طلبتـه على كتابة المسرحيات الشعبية وتسجيل ملاحظاتهم عن المحيط الذى يعيشـون فيه؛ وكان أول عمل ناجح كتبه «ولف» مسرحية من فصل واحد أخرجتها ومثلتها فرقة التمثيل بالجامعة، ولعب «ولف» دورا فيها، وفى معهـد Chapel Hill تـأثر «ولف» كثيرا بمحاضرات أستاذ من أنصـار Spenser هـو الأسـتاذ Edwin A. Grecnlaw تأثر به وبنظرياته عن العلاقة القوية بين (الأدب والحياة). وفى جامعة «هارفرد» تأثر «ولف» تأثيرا كبيرا بـأحد أسـاتذته John Livingstone Lowes، وكان هذا الأستاذ يكتب وقتئذ قصته المشهورة بعنـوان The Road of Xanadu، والذى ظلت نظريته عن الطبيعة عند Coleridge فى ذاكرة «ولف» حتى مات. لقـد ظلت هذه القصة صورة أمينة لاهتمامات العقل عند الفنان. وقد تـأثر أيضـا فى جامعة «هارفرد» بجورج بيرس بيكر George Pierce Baker الذى اشتهر كمـدير (لمعمل ٤٧) للدراما. ولكن ولف اختلف بعد ذلك مع «بيكر» هـذا لعـدم رضـا «ولف» على ثناء «بيكر» على الطلاب الذين كانوا ضد الرومانسية.

إن الرومانسية الملحوظة فى نظرية الجمال عند المؤلف نادت بالشك فى جميـع أشكال العقلانيات، وضرورة التأكيد على أهمية التعبير عن الشعور عنـد الفنـان كأسمى هدف للعمل الفنى. ولكن هذا الرأى ما لبث أن تعارض مع وجهة نـظره ككاتب قصة التزم بضرورة تمثيل المجتمع، لذلك بقيت قصصه فى منـطقة الشـد والجذب، بين الالتزام بتمثيل المجتمع، وبين التعبير عن الذات.

إن ميل «ولف» فى أن يرى ويعبر عن الأشياء بطريقة المقابلة ربما يكون قـد تعلمه من أستاذه Horace Williams ومن المحتمل أيضا (كما قال بعض النقـاد) أن يكون هذا الميل نتيجة لفشل عقله فى استيعاب المشاكل التى تواجهه. وقـد

يكون هذا الميل صفة من صفات أهل الجنـوب. إذ أن المـواطن الأصـلى فى الجنوب قد عرف بشدة شغفه بالمتناقضات. فهو مفتون بالألفاظ ذات المعنييـن. كما أنه رجل تدور فى رأسه أكبر الأحلام، ومع ذلك فهو قليل الحركة تجاه الأعمال الكبيرة. إن السكان فى منطقة «ولف» وقعوا كما وقع «ولف» بيـن الـرومانسية ماضيهم وحاضرهم الواقعى الزاخر بالفقر.

ولد «توماس ولف» فى الثالث من أكتوبر عام ١٩٠٠ فى مدينة «اشفيل» بولاية «كارولينا» الشمالية، التى أطلق عليها اسم Altamont و Libya Hill فى قصصـه، ليعيش وسط المناصرين للحركات الشعبية التى كانت تنادى بالحرية فى التعليـم، وفى المجتمع، وفى المسائل الاقتصادية. مما أعطى الولاية طابعا مختلفا عن بقيـة ولايات الجنوب، وزيادة على ذلك فإن «ولف» جاء من مدينة صغيرة جبلية بعيدة جدا عن مناطق جذب السكان وأطماع الأغنياء، ولكن سرعان ما جعلتها المنافسة على امتلاك الأراضى ميدانا للمغامرين من الطبقة الوسطى، الأمر الـذى وصـفه «ولف» فى قصة «You Can't Go Home Again» وصفا مـؤلما وإن كان بـراقا. وكان من الصعب أن تجد فى الجنوب مدينة أغلبها من الـطبقة الـوسطى مثـل ما كانت عليه «أشفيل»، أيام طفولة «ولف»، ولكنها كانت مثل جميع مدن الجنوب تشعر بمرارة الهزيمة، وقرصة الفقر، ولذعة طعم التميـز العنصرى، لـذلك جـاء اهتمام «ولف» بالطبقة الوسطى، كانت والدته تعمل مدرسة وعاملة فى مكتبة قبـل أن تتزوج، وكانت تنتمى إلى عائلة تتمتع بمركز مرموق فى المنـطقة. أمـا الأب William Oliver Wolfe، فكان يملك مصنعا لكسر الأحجار، وكان رجلا قويا ضخم البنيان، يكثر من الطعام كان «توماس» أصغر إخوته الثمانية، مات اثنان منهم فى طفولتهما. ويذكر الكاتب فى طفولته أن والدته اشترت فندقا صغيرا وذهبت ومعها (توماس و Ben) شقيقه لتقيم فى هذا الفندق، وتركت الزوج فى البيت القديم ومعه ابنتهما Mabel (أما الابنان الآخران والابنة فلم يقيموا معهم فى البيت). لقد كان كل أصدقاء الكاتب من الباعة المتجولين، ونزلاء فى الفندق الصغير، الذى كانـت تديره والدته. أما شقيقه Ben فقد كان أقرب الناس إلى قلبه حتى أن موته المبكر

كان فاجعة قوية للكاتب، تركت فى نفسه جرحا لم يندمل. لقد عبر «توماس» عن نفسه بعد ذلك بأنه «رجل الوحدة الذى خلقه الله وحيدا»، لقد رد هذا الشعور بالوحدة إلى أيام طفولته حتى أنه كتب مرة لابنته عام ١٩٣٢ يقول: «لقد تعلمت منذ كنت طفلا أن أكون وحيدا، وأنا فى الثامنة من عمرى، وأظن أنى بقيت كذلك منذ هذه السن». لقد تعلم فى المدارس الابتدائية الحكومية حتى الحادية عشرة من عمره ثم ألحق بعد ذلك بمدرسة خاصة يديرها زوجان هما Mr. and Mrs. Roberts. لقد كان تلميذا ذكيا لا يجد صعوبة فى متابعة دروسه حتى عرف عنه الجد والاجتهاد فى الدراسة طول الفترة التى استمرت أربع سنوات قضاها فى هذه المدرسة. وحين بلغ الخامسة عشر من عمره ألحق بجامعة شمال كارولينا وكان يصغر أقرانه بثلاث سنوات، وبذلك أصبح الشخص الوحيد من بين أفراد عائلته الذى وصل إلى هذا المستوى من التعليم. حدث وقت إلحاقه بالجامعة أن أجرى تعديل شامل فى نظم الدراسة بها فتحولت من كلية للدراسة الأدبية الحرة إلى جامعة تعنى بالبحث والتعليم الجامعى المنظم، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت الجامعة مركزا للنشاط فى حركة (الجنوب الجديد) أو بالأحرى مركز التحرر فى الجنوب، ومرة أخرى تعرض الصبى لموجة التغيير. فقد واجه النزاع الحاد بين القديم والحديث. وفى الجامعة أثبت «ولف» أنه طالب مجتهد، وأنه «رجل ذو مكانة فى المدينة الجامعية» جم النشاط فى المناظرات والنشر والروابط المختلفة كما اشترك فى النشاط المسرحى أيضا. وقد انتهى من دراسته الجامعية وهو فى سن العشرين. وكان يأمل أن يتابع دراسته بعد ذلك حتى يصير كاتبا مسرحيا. ثم ألحق بعد ذلك بجامعة «هارفارد» بعد أن استدان من والدته بعض المال بضمان ما عسى أن يرثه من أملاك أبيه بعد وفاته. وفى «هارفارد» بقى ثلاث سنوات حصل فى نهايتها على درجة الماجستير فى الأدب الانجليزى. وفى أثناء هذه الدراسة تركز اهتمامه فى (المعمل ٤٧)، فى قسم الدراما حرصا منه على دفع مشروعاته للأمام ليصبح كاتبا للمسرح إن الصورة التى رسمها (للمعمل) هذا فى قصة Of Time and the River كانت هجوما ممزوجا بالتهكم على نظريات علم

الجمال. وبالرغم من أن الأستاذ Baker الذى كان اسمه فى القصة Prof. Hatcher، كان شخصية مليئة بالحقد إلا أن الكاتب عند رسمه كان يكن له الاحترام التام.

وبالرغم من أن أساتذة عظاما مثل John Livingstone Lowes قد أثنوا على «مقدرته الممتازة» فى التحصيل والدراسة فإن «ولف»، كان تواقا ليكون كاتبا مسرحيا. ففى خريف عام ١٩٢٣، حاول أن يبيع بعضا من هذه المسرحيات فى نيويورك، ولكنه فشل فى ذلك واضطر أن يقبل وظيفة مدرس لغة إنجليزية فى جامعة نيويورك فى يناير ١٩٢٤، وقام بالتدريس فى هذه الجامعة بصورة متقطعة حتى ربيع ١٩٣٠. وفى خلال هذه الفترة قام برحلات وزيارات لأوربا، حيث قابل Mrs. Aline Bernstein وربطتهما علاقة حب عنيف. كانت هذه السيدة مصممة أزياء ومناظر، كما كانت تكبره بسبع عشرة سنة، فضلا عن أنها متزوجة وأم لطفلين. إنها Esther Jack فى قصصه. وفى خريف ١٩٢٦ بدأ «ولف» فى لندن وضع هذا الفيض السريع من ذكريات طفولته على الورق ليصبح قصة ضخمة. صاغها الكاتب من نسيج (لحمة) النثر و (سداة) الشعر، الذى كان يشكل عنصرا هاما فى حياته الأدبية فى هذا الوقت من الزمان. لقد وفق فى ذلك، فإن القصة كانت تحمل طابع Ulysses للكاتب Joyces وذلك باعتراف «ولف» نفسه كما تضمنت القصة أيضا بعضا من آثار H. G. Wells و Sinclair Lewis. وحين عاد إلى نيويورك استمر فى كتابة القصة، فى حين كانت علاقته بالسيدة Bernstein تقوى ثم تضعف ثم تنمو من جديد. كتبت السيدة Bernstein عن هذه العلاقة فى كتابها الذى سمته The Journey Down (وهى قصة حياتها بقلمها). أما «ولف» فقد سجل هذه العلاقة فى قصته The Web and the Rock. إن تأثير هذه المرأة على الكاتب كان قويا ومتدفقا وقد ظهر فى قصته Look Homeward Angel (كتب مسودتها عام ١٩٢٨)، وكانت مثار جدل. وعلى أى حال فقد انتهى من كتابة القصة ثم سافر إلى أوربا فى شهر يوليو على أثر خلاف شديد وقع بينه وبينها، وكان قد ترك المخطوطات مع وكيله، فلما رجع إلى نيويورك فى يناير ١٩٢٩، وجد

خطابا فى انتظاره من Naxwell E. Perkins المحـــرر (فى مــؤسسة أولاد Charles Scribner للنشر)، يعرب فيه عن اهتمام الـــدار بـــالقصة إذا كان مـــن الممـــكن إعدادها للنشر.

جدد «ولف» علاقته بالسيدة Bernstein وأهـــداها قصـــة Look Homeward, Angel ، وقد عمل بكل نشاط ليعيد ترتيب مخطوطات القصة (لقد أضاف وحـــذف فيها)، حتى تصبح صالحة للنشر. إن النسخة الأصلية لهذه القصة كانت عبـــارة عن سجل مفصل وكامل عن أجداد Eugene Gant: مولده ــ طفولته ــ مـــراهقته وأيام شبابه. بدأ القصة بتاريخ حياة والده الذى ملأ تسعين صفحة ثـــم تنتهـــى بتخرج Eugene من المدرسة الثانوية. وقد دون فى حوار خيالى بينـــه وبيـــن روح أبيه: «إنك تعبر عن عالمك». ثم ترك المنزل (ليدور ببصره فى الآفـــاق البعيـــدة الواسعة) لقد صمم Perkins على حذف الجزء الخاص بالافتتاحية التاريخية وعلى حذف بعض المواد الغريبة والشـــاذة وعلـــى ضرورة إدخـــال بعض التغييـــرات الطفيفة. نشرت القصة فى ١٨ أكتوبر ١٩٢٩، وربما تكون القصة قد تعرضت (قبل النشر) إلى رقابة المحرر بشكل أطول من أى عمل آخر لكاتب قصة موهوب مثـــل «ولف»، لذلك وصفت القصة أنها أبعد ما تكون عن فكرة وكتابات وترتيب المؤلف من أى قصـــة نشرت تحمل اسمه. لقد استقبلت القصة فى التو اســـتقبالا حســـنا بسبب قوتها الدرامية وموسيقيتها المركزة وحتى قبل أن يمتدحه Sinclair Lewis، كما فعل فى خطابه الذى ألقاه عام ١٩٣٠ فى حفل تسلمه (لجـــائزة نـــوبل)، كان «ولف» قد صار شخصية أدبية مرموقة يعمل لها ألف حساب. لقد قدمت له مدينة «أشفيل» ما يستحقه من اللوم، لأن القصة صورته حانقا عليها. لقد بدأت بالفعل حياة قصصى له مستقبل باهر. وفجأة وجد نفسه غير مستريح لهذه الشهرة التـــى كان يتعطش للتمتع بها من قبل. فلم تكن أسرته هى التى جـــرحت، وكذا ســـكان «أشفيل» فحسب، وإنما أصابه الجرح هو نفسه، فقد أحس بأنه ملـــزم بتقـــديم قصة ثانية تفوق الأولى وتعتبر خطوة إلى الأمام. لقد كان ذلك الوضع الذى رأى من الواجب أن يناضل فى سبيل تحقيقه.

استقالَ من عمله كمدرس فى جامعة نيويورك وأنهى علاقته بالسيدة Bernstein وسافر إلى أوربا لمدة عام فى منحة مقدمة من «مؤسسة Guggenheim»، ولما رجع أمريكا استقر فى شقة فى حى Brooklyn، وكانت رغبته فى الكتابة تدفعه للسهر الطويل، وقد وصف هذا كله فى كتابه «The Story of a Novel»، كما صوره أيضا فى قصة (You Can't Go Home Again)، وقبل أن ينشر قصته Look Homeward Angel، بدأ يخطط لقصته التالية، بل كتب بعضا من أجزائها. لقد ناضل فى جد كى يخرج كتابه الثانى. اشترك بقصته القصيرة التى عنوانها A Portrait of Bascom Hawke عام ١٩٣٢ فى مسابقة ونال عنها جائزة مالية (٥٠٠ دولار)، قدمتها مجلة Scribner، ثم قصة قصيرة أخرى The Web of Earth كتبها ونشرها فى مجلة Scribner فى الفترة التى كان يسكن فى حى «بروكلين». لقد شجع نجاح القصتين المؤلف على الاستثرار فى الكتابة. على هذا النمط، وفى المدة من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٤ كتب قصة Death the Proud Brother التى ظهرت بعد ذلك معدلة تعديلا كبيرا تحت اسم You Can't Go Home again، وكتب أيضا قصة No Door. وهذه الأخيرة كان Scribner قد رأى أن ينشرها عام ١٩٣٤ كقصة منفصلة، ولكن الذى حدث هو أنها قسمت إلى جزأين نشرا فى مجلة Scribner الجزء الأول بعنوان (No Door) والثانى بعنوان The House of the Far and Lost، ثم أعيد نشر الجزأين معا فى عام ١٩٦٢ فى كتاب واحد بعنوان The Short Novels of Thomas Wolfe وعلى كل حال لم يذهب جهده فى قصة (No Door) هباء لأن بناء الموضوع الذى كان قد طوره فى هذه القصة قد استخدمه كنموذج سار عليه فى قصة «Of Time and the River».

وبالرغم من أن «ولف» كان يعيش على المبالغ الضئيلة التى تدفع له نظير قصصه القصيرة فى المجلات، فإنه رفض عرضا تقدم به ممثلون من شركة «مترو جلدوين ماير» السينمائية يطلبون منه أن يكتب لهم بعض القصص التى تصلح للسينما نظير مبلغ يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ دولار أسبوعيا. وقد بنى رفضه على أنه «مازال لدى الكثير لكى أتمه».

لقد كان يناضل فى كتابة قصة كبيرة جدا باسم The October Fair، كان من المقرر لها أن تظهر فى أربعة أجزاء على الأقل وتشمل فترة زمنية تبدأ من أول الحرب الأهلية الأمريكية إلى الوقت الحاضر، وتحوى مئات من الشخصيات وبطل جديد هو David Hawke بدلا من Eugene Gant. لقد كان يعمل «ولف» مع المحرر Maxwell Perkins ليل نهار وفى نهاية الأسبوع يحاول الاثنان إعطاء هذا العمل الضخم شكلا وتنسيقا مقبولين، وإن كان من الصعب تحديد الدور الذى قام به المحرر فى كتابة هذه القصة، فإنه من المؤكد أنه لعب دورا فى تكوين القصة الكبيرة الثانية. وباعتراف «ولف» نفسه، كان Perkins المحرر هو الذى أشار على بموضوع البحث عن (والد)، ليكون موضوعا لقصته الجديدة. والظاهر أيضا أن Perkins هو الذى أعاد الكاتب إلى شخصية Eugene Gant وحثه على ترك شخصية «David Hawke». كما كان هذا المحرر هو الذى ثبط همة المؤلف عن الاستمرار فى كتابة تاريخ أمريكا بغير الأسلوب المعتاد ـ وهو أسلوب كتابة تاريخ أمريكا عن طريق الترجمات الشخصية، وكان المحرر أيضا هو الذى أصر على أن ترسل قصة: (Of Time and the River) إلى المطبعة بالرغم من احتجاج «ولف».

كانت هذه القصة (Of Time and the River) قصة كبيرة يتابع فيها الكاتب تاريخ حياة ومشاعر Eugene Gant. تبدأ القصة لحظة أن يترك البطل مدينة Altamont إلى «هارفارد» ويتتبعه الكاتب هناك، ثم يسير وراءه إلى «نيويورك» حيث يقوم البطل بتدريس مادة (الثقافة العملية). يغادر البطل نيويورك إلى أوربا وهناك يبدأ كتابة قصة، ويتعرض البطل لتجربة حب فاشلة مع فتاة تدعى Ann. وفى نهاية القصة تجده يقابل Esther على ظهر الباخرة التى تقله إلى أمريكا. أما قصة «ولف» Look Homeward Angel، فبالرغم من أنها تفتقر إلى الجديد فى البناء فإنها تمتاز بالوحدة. وقد جاءتها هذه الوحدة عن طريق التركيز على عائلة ومدينة جميلتين، وعلى أسلوب حياة أيضا. والقارئ لهذه القصة يرى انطباعات الشباب، وكذا الاندفاع الحاد نحو تحقيق الذات. وهنا تنتهى القصة. وحين نعقد

مقارنة بين هذه القصة وقصة (Of Time and the River) نجد أن موضوع القصة الأخيرة هذه أقل أهمية، ولكن أكثر عمقا، كما أن البناء أقل تماسكا، ولكن صيغ فى بلاغة أقوى. لقد قوبلت القصة (Of Time and the River) عند نشرها بـردود فعل مختلفة. أثنى عليها الكثير، لأنها كانت تحقيقا لوعد قطعه المؤلف على نفسه بعد كتابة قصة Look Homeward Angel، ولكن الحقيقة أن القصة لم تكن لهـا شكل محدود وتنقصها الحكاية كما يعيبها المبالغة العاطفية. أما المسائل التـى أثارت الجدل فى هذه القصة هى: هل من المسموح فى القصة أن تحـل السـير الشخصية محل الابتكار؟ وهل الأسلوب البلاغى مهما كانت شـاعريته يمـكن أن يحل محل العرض الدرامى؟ وهل يمكن الاستغناء عن المباشرة وتسـتخدم بـدلا منها بعدا جماليا؟

فى خريف ١٩٣٥ نشر «ولف» كتابا بعنوان «From Death to Morning»، وهـو مجموعة من القصص كانت قد كتبت أولا لتصبح أجزاء فى قصـة (Of Time and the River)، ولكنه آثر أن ينشرها فى المجلات. وحين نشر هذا الـكتاب هـاجمه النقاد فلم يجد رواجا أو حتى الاهتمام الذى كان يسـتحقه. إن القصص التـى نشرت فى هذا الكتاب لم تكن كلها على مستوى واحـد. ولكن الكتاب قـد أظهـر «ولف» وهو يجرى تجاربه فى فن القصة. إن مقدرته الفـائقة فى كتـابة القصص القصيرة والمتوسطة تظهر بكل وضوح فى أعماله مثل: Death the Proud Brother و Only the Dead Know Brooklyn و In the Park و The Web of the Earth». ولكن «ولف» كان على يقين من أن الكتاب سيأخذ حظه العادل من النقد يوما ما، وقال أيضا: «إنى أعتقد أن قصص الكتاب، كتبها كأحسن ما تكتب القصة»؛ لقد كان الحكم الذى قال حكما دقيقا بشكل مدهش، أما إذا كان الكتاب قد بين لنـا ما يتمتع به الكاتب من عبقرية فنية، (وهو أمر لم يعترف به النقـاد إلا نـادرا) فإن ذلك قد تم كذلك من خلال شخصياته وحوادثه عن الوحدة الأساسية، ومن ثم عن ميله ناحية الترجمة الذاتية فى جميع أعماله. وفى عام ١٩٣٦ نشر «ولف» بحثا أدبيا عنوانه «The Story of Novel»، وقـد كان البحث محاضرة ألقاها المؤلف فى

مؤتمر للكتاب عقد فى مدينة Boulder بولاية «كولورادو». لقد قال فى هذا البحث كيف كتب قصته (Of The Time and the River) قال فى تواضع تام وفى أمانة واستقامة، حتى أنه ظهر لكثير من النقاد أنه يريد أن يبرهن على أنه ببساطة، ليس بكاتب قصة عندما كتب قصتين طويلتين ومجلدا من القصص القصيرة، من واقع تجاربه المباشرة. وتحت إشراف المحرر فى مؤسسة Scribner للنشر. لهذا كتب Robert Penn Warren يقول: «إنه بالرغم من النشاط العجيب، والموهبة الأدبية القوية كانت أعمال «ولف» تبين ولمرة ثانية حدوده، وربما حدوده الضرورية، عندما حاول أن يستخدم بشكل مباشر، وربما بشىء من السذاجة تجاربه الشخصية وحدود إمكاناته الفنية». وقد أضاف «برنارد دى فوتو» فى مقال آخر شديد القسوة قال فيه: «إن قصص «ولف» قد جمعها Perkins وخطط لها Scribner». قال أيضا: «كون «ولف» عبقريا فهذا لا ينكره أحد ولكن العبقرية وحدها لا تكفى».

لقد كان الحرج الذى أحس به «ولف» من مقال «دى فوتو De Voto» جرحا عميقا، ففى عام ١٩٣٦ تملكت «ولف» رغبة طاغية فى أن يبرهن أن «دى فوتو» كان مخطئا. ولقد دفعته هذه الرغبة (بالاضافة إلى غيرها من الأسباب) إلى تغيير ناشره. وكان من بين هذه الأسباب الخلاف مع Perkins حول قيام «ولف» بكتابة قصة تدور حول رجال Scribner، وكان الخلاف على أجر التصحيح فى قصة (Of Time and the River). أدى هذا الخلاف إلى وجود عدد من قضايا القذف أرادت مؤسسة Scribner تسويتها خارج المحكمة، ومن أهم هذه الأسباب أن ميول «ولف» واتجاهاته، كانت لا تتمشى مع ميول واتجاهات Perkins وأن «ولف» يريد أن يسلك طريقا غير طريق Perkins، لقد بدا أن هذه القطيعة المؤلمة مع مؤسسة Scribner فى منتصف عام ١٩٣٦. وفى عام ١٩٣٧. أعد «ولف» ترتيبه لنشر كتبه مع مؤسسة Hareper and Brothers» على أن يقوم Edward C. Aswell بوظيفة محرر له.

أمضى «ولف» صيف ١٩٣٧، وهو يكتب فى (كابين) يقع على جبال «كارولينا» الشمالية. وقد كان سعيدا جدا حين وجد أهل بلدته يستقبلونه باعتزاز وسعادة،

وأنهم قد صفحوا عنه. ولقد تعلم من هذه التجربة أنه لا يستطيع أن يذهب إلى البيت مرة ثانية. وهى فكرة كانت تدور فى خلده ترمز للحقيقة التى تقول: نحن نتحرك إلى الأمام لا إلى الخلف». فبدأ فى نشاطه المعتاد ليظهر للناشر الجديد Aswell شيئا من أعماله الجديدة. واقترح فى ذلك الوقت أن يكتب قصة كبيرة الأبعاد. فخرجت فى أربعة مجلدات، وكان يجد فى البحث عن الشكل والبناء الذى يستطيع من خلاله تنفيذ السجل الصوتى (لاكتشافات رجل برىء للحياة والدنيا) وسمى هذا الكتاب The Vision of Spangler's Paul ووضع عنوانا إضافيا قال فيه: «قصة مولده وحياته وقوته، وسعيه هنا وهناك فى الأرض، وسيره إلى أعلى أو إلى أسفل فيها، ورؤيته للمفقود الذى لا يعثر عليه أحد أبدا، وأمريكا الموجودة دائما؛ ويغير اسم البطل مرة ثانية ليصبح اسمه Doaks لكى يرمز إلى طبيعته الحقيقية. وقال: إن The Doaksology عبارة عن تاريخ أسرة البطل. وأخيرا اختار George Webber بطلا لها، وهى شخصية تشبه إلى حد كبير شخصية David Hawke الذى كان «ولف» يود لو يجعل منه بطلا لقصة Of Time and the River، وقد كتب عنه يقول: «إن البطل أصبح فى غاية الأهمية، لا لكونه ضحية مأسوية للظروف، أو لكونه البطل الرومانسى الذى يصارع ويثور ضد المحيط فحسب، ولكن لكونه نوعا من الآلة الممغنطة التى تتجمع حولها أحداث الحياة، وبها يستطاع أن يتفهم الأحداث وتفسر وترتب».

وفى مايو ١٩٣٨ أرسل إلى Aswell كمية كبيرة من المخطوطات كان مجموع كلماتها تقدر بمليون كلمة. كان قد جمع موادها وكتبها من أجل قصته الجديدة. ولكنها لم تكن كتابا معدا للطبع. وقد اعترف «ولف» بأن هذه المخطوطات تحتاج إلى ما يزيد على سنة من العمل والترتيب قبل أن يظهر المجلد الأول. ثم سافر بعد ذلك إلى الغرب وأنهى رحلته بسبب مرضه الخطير (الالتهاب الرئوى)، وكان ذلك فى مدينة Vancouver، ثم ذهب إلى مدينة Seattle، وهناك ساءت صحته ونقل إلى مستشفى Johns Hopkins فى مدينة «بلبتمور» حيث اتضح أن الالتهاب الرئوى كان نتيجة لبكتريا مرض سل قديم أصيب به فى الماضى فى رئتيه، ثم

انتقلت البكتريا إلى المخ وتوفى فى ١٥ سبتمبر ١٩٣٨، ولم يكن قد بقى على عيد ميلاده الثامن والثلاثين سوى ثمانية عشر يوما.

تمكن Edward Aswell من استخلاص ثلاث كتب من تلال المخطوطات التى تركها له «ولف». وكان الكتاب الأول The Web and the Rock نشر عام ١٩٣٩، ولم يختلف كثيرا عما كان المؤلف قد خطط له بالرغم من أن الأربعمائة صفحة (الأخيرة) كان قد كتبها «ولف» بأسلوبه المبالغ القديم الذى كتب به قصة (Of Time and the River) وبطل القصة George Webber يشبه إلى حد كبير Eugene Gant برغم اختلافهما من حيث الشكل والجسم وحياة العائلة. والجزء الأول من الكتاب يعود بنا إلى فترة طفولة البطل، ثم فترة وجوده بالمدرسة الثانوية، ثم سفره إلى نيويورك حيث يقابل Esther Jack. وتصبح القصة بعد ذلك سجلا لعلاقة غرامية مغرية. ثم يذهب Webber إلى ألمانيا بعد ذلك وهناك يتعرض للضرب من بعض المشاغبين فى أثناء احتفال «عيد أكتوبر» فى مدينة ميونخ. ومن حوار بينه وبين نفسه يفهم Webber أن عليه أن يخرج نفسه من الماضى. وقصة (The Web and the Rock)، تعتبر قصة ناقصة، فهى تبدو كجزأين غير متجانسين ومرتبطين بصعوبة. ولكن هذه القصة كانت أقرب إلى القصة المتكاملة من قصة (Of Time and the River)، إذ أننا نجد فى الأجزاء الأولى من القصة ما يشير إلى أن المؤلف قد أعد هذه الأجزاء قبل وفاته. حيث نلمس فيها نوعا من السيطرة على مادة القصة والرغبة فى الكتابة الدرامية بدلا من الالتجاء إلى عنصر البلاغة. إن «ولف» كان لايزال يقف فى حيرة بين الشكل القصصى واللغة.

والكتاب الثانى وهو قصة (You can't go Home Again) والذى جمعه Aswell يعتبر أقل درجة من الناحية الفنية بالنسبة لقصة (The Web and the Rock) لقد نشرت (You can't go Home Again) عام ١٩٤٠. وقد تمكن Aswell من جمع مادتها فى قالب قصصى موحد. وكان المؤلف قد أتم هذه المادة ورتب جزءا منها

فقط قبل وفاته. والقصة تروى لنا حكاية Webber ولكن المؤلف أضاف لنا تفسيره عما إذا كان يعنى أن البطل آلة مغناطيسية تجمع حولها أحداث الحياة. والكتاب وإن كان من الصعب أن تطلق عليه لفظ قصة. فإنه يحوى قصة حياة George Webber فى بناء قصصى مفكك: يعود البطل من أوربا ويكتب كتابا ثم يذهب إلى Libya Hill (Asheville) لحضور جنازة عمته، ثم يسافر ثانية إلى أوربا حيث يشاهد تفاهة الشهرة فى شخص Lloyd Mcharg (Sinclair Lewis) ثم إلى ألمانيا ويرى هناك قطائع النظام النازى، ويكتب خطابا طويلا يضمنه عقيدته، ولكن الحقيقة أن الشخصية التى منحت هذا الكتاب القدر الكبير من الحيوية، لم تكن شخصية البطل Geroge وتجاربه التى مر بها، ولكن كانت هى وجهة النظر إلى الحياة التى نراها من خلال George و Mr. Katamoti و Mr. Jack والحفل الذى أقامه فى بيته والقاضى Bland والصورة التهكمية للانهيار المادى والأخلاقى لمدينة Libya Hill و Daisy Purvis و Lloyd McHarg و Foxhall Edwards وعائلته و Mr. C. Green الذى قفز من الدور الثانى عشر من فندق الأدميرال Admiral Francis Drake ، واليهودى الخائف الذى هرب بالقطار من ألمانيا. كل هؤلاء كانوا القوة الدرامية فى الأساس الذى قام عليه الكتاب. وهؤلاء الذين رأوا أن قدرة «ولف» إنما تركز على رسم الشخصيات وملء المناظر بالحيوية والنشاط، فسيجدون فى قصة (You Can't go Home Again) أيضا أحسن كتاباته وسيطرة كبرى على أسلوبه ستظهر عما قريب. ومن ناحية أخرى فإن الذين يرون أن قوة «ولف» فى اختياره للألفاظ، فإنهم حتما سيشعرون أيضا بالناحية الدرامية وسرد الحوادث فى هذه القصة، لأن صفاته ومزاياه الفنية قد ظهرت فى هذه القصة. ولكنها كقصة تعتبر أقل قصصه الناجحة، ومع هذا فيلاحظ بين صفحاتها شىء من الغموض والبعد عن الحقيقة، والخطط التى لم تتوافر لكتاب كبير.

أما الكتاب الثالث الذى استخلصه Aswell من المخطوطات المتروكة له، فكان قصة بعنوان The Hills Beyond نشرت عام ١٩٤١، وكان قليل من أجزائها قد نشر فى المجلات بعد عام ١٩٣٥، ولكن أغلبها لم ينشر من قبل ومن أحسن تلك

الأجزاء قصتان صغيرتان الأولى The Lost Boy والثانية Chickamauga إلى جانب (١٥٠) صفحة من أجزاء متناثرة أخرى والقصة الرئيسية تحكى حياة عائلة Joyner وكان من المفروض أن تصبح مقدمة لكتاب كبير. فى هذه القصة نرى المؤلف وهو يبتعد عن الرومانسية التى صاحبت أعماله المبكرة وأصبح فى هذه القصة أكثر نزوعا للواقعية. وعلى كل حال فإن قصة (The Hills Beyond) لم تضف إلا القليل للمؤلف كقصصى. وفى عام ١٩٤٨ نشرت له مسرحية Manner-house (وكانت بين المخطوطات أيضا)، وكان «ولف» قد حاول أن يبيعها قبل وفاته لمنتجى التمثيليات، ولكنه لم يوفق. وفى عام ١٩٥٧ نشرت المسرحية فى مجلة Esquire تحت اسم Welcome to Our City بعد أن أجريت عليها بعض الاختصارات لفصولها العشرة.

أما المخطوطات التى استخلص منها Aswell هذه الكتب الثلاثة فهى ضمن مجموعة William. B. Wisdom فى «هارفارد». وهذه المخطوطات مازالت تحتوى على الكثير من المناظر والأقسام والشخصيات التى لم تنشر بعد وهى فى انتظار من يعيد تحريرها حتى يمكن نشرها.

إن حياة «ولف» الفنية مثل جميع أعماله أصبحت موضوعا يثير الجدل والمناقشة حتى قبل وفاته. وكانت وفاته المبكرة فى الوقت الذى كانت فيه عبقريته العظيمة تتقدم نحو العثور على الأسلوب المناسب للتعبير، كما كانت سببا فى احتدام الجدل والمناقشة. وسيبقى «ولف» بالرغم من أعوامه السبع والثلاثين (الولد الذهبى) الذى ذبل فى وقت كانت أزهار عبقريته قد بدأت تتفتح. وإذا كان المؤلف أفرغ مافى جعبته، وتوقفت مقدرته عند هذا الحد، فإن الموت يكون قد أنقذه قبل أن تجف ثماره. أما إذا كانت عبقريته قد حوت الكثير الذى لم يتحقق بسبب الموت. فإن أمر ذلك سيبقى مجهولا، وستبقى أسئلة دون إجابة واضحة. ومثله فى ذلك مثل (كل الأولاد المصنوعين من الذهب)، الذين ذاقوا مرارة قصر العمر.

كتب «ولف» إلى Edmond Aswell عن حياته الفنية فقال: «لقد بدأت حياتي كاتبا غنائيا.. ثم بدأت الكتابة بعاطفة الشباب من أجل خطط وأهداف الشباب. وكغيرى من الرجال، بدأ يتحول عندى هذا الاهتمام ليصبح انشغالا عاديا عميقا بأهداف الحياة»، كان اتساع دائرة الاهتمام هذا قد شمل العالم المحيط بـه أو (الحياة)، لقد كان هذا الاهتمام موجودا دائما ومتسلطا على فكر الكاتب منذ أن نشر قصة Look Homeward Angel وبقى إلى يوم وفاته. وفى عام ١٩٢٩ عند مولد كتابه الجديد «The October Fair» كتب «ولف» يصف الكتاب لمؤسسة Guggenheim يقول: «إن الكتاب يحاول أن يفسر لماذا الأمريكيون يحبون الترحال والتنقل؟ (لقد كان الكاتب يظن ذلك) ولماذا يشعر الأمريكى شعورا مبهما وقويا بالشوق إلى الوطن أينما ذهب؟ سواء كان ذلك فى الوطن أو فى الخارج». وفى عام ١٩٣٠ كتب إلى Perkins يقول: «أعتقد أنى بدأت أخيرا أن أحسن استخدام المادة التى يكتشفها الكاتب فمن الواجب عليه أن يستوعب ماحدث له فهو العنصر الذى يكون تجارب الدنيا». وبعد أن فرغ من كتابة قصة Look Homeward Angel أراد «ولف» أن يترك Gant إلى بطل آخر (أقل شبها به)، فكان أن اختار David Hawke، وأراد المؤلف أيضا أن تكون القصة التالية تروى بالضمير المخاطب، لاعتقاده بأن البطل فى هذه الحالة. عندما يكون الراوى سيصير أقرب إلى قلب القارئ. ولكنه سرعان ماترك هذه الفكرة فى غمرة الصراع المؤلم الذى جرى بينه وبين Perkins. إذ كان هذا الأخير يرى أن قصة الكاتب التالية يجب أن تكون استمرارا لحياة Eugene Gant مع التركيز على المشاعر الداخلية عند البطل. فقد كتب Perkins يقول: «إن المبدأ الذى أسعى إليه يتلخص فى أن هذا الكتاب ....Look كان يحتفظ بشكله بفضل Eugene ومشاعره». كما قال أيضا إنه احتج على مناظر القصة التى لم تسجل من داخل عواطف ومشاعر Eugene فمثلا لقد حاول أن يستبعد الفقرات التى تناولت موت Gant. لقد كانت هذه الفقرات واحدة من أجمل اللقطات الخالدة التى لم يكتب «ولف» مثلها من قبل. إن الصراع الذى كان سببه نشر قصة (Of Time and the

River) ضد رغبة المؤلف أمره معروف للجميع. ولكن عدم رضاه العميق عن الكتاب لم يكن معروفا قبل نشر (الخطابات) فى عام ١٩٥٦، فعندما نشر القصة كتب المؤلف إلى الناشر يقول: «... وكما أخبرتك عدة مرات فإنى لاأهتم كثيرا إذا كان طول الكتاب النهائى هو ٣٠٠ أو ٥٠٠ أو ١٠٠٠ صفحة مادمت قد حققت كل ماأهدف إليه بالكامل «وإن هذا لم يتحقق. ماذا كان يحدث للكتاب لو تأخر نشره ستة شهور أخرى؟ كان سيصير أكثر كمالا وعندئذ سوف لايكون محلا للنقد وبأن شخصياته عرضية. إن هذا الكتاب لم يكن مكونا من عدة حلقات، ولكنه فى مجموعه حى وكان فى استطاعتى أن أجعله كذلك». من المحتمل أن يكون المؤلف قد تاه فى خضم مخطوطاته وذكرياته، حتى أنه لم يستطع أن يستخلص أى عمل كامل ومتكامل وكبير فى السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٥. بالرغم من أنه كتب أحسن وأشهر قصصه القصيرة والمتوسطة الطول فى هذه الفترة بالذات. وإن دور Perkins (الذى كان عنيفا فى بعض الأحيان)، كان مثله كدور من أراد أن يستخلص أى عمل من المؤلف يكون صالحا للنشر، ومن جهة أخرى إذا فحصنا الثلاثمائة صفحة الأولى من قصة The Web and the Rock، ثم نتذكر أن هذه الصفحات من عمل «ولف» بدون مساعدة هيئة التحرير، وأن نتذكر أيضا قوة ومباشرة كتابيه الأولين فى قصة You Can't go Home Again لكنا تمنينا أن يكون «ولف» قد باشر محاولته وهو حر بمفرده. إذا أضفنا إلى كلمة «لو» (وهى الكلمة التى تدور فى العقل عند وفاة فنان كبير فى هذه السن المبكرة)، ماذا تصبح حياة «ولف» الفنية إذا كان قد ناضل فى سبيل تحقيق شكل القصة بدون مساعدة Perkins؟ بالتأكيد إذا كان «ولف» قد ترك ليكتب (Of Time and the River) بدون أى مساعدة أو تدخل من Perkins، لكانت قصته هذه تختلف اختلافا بينا وجذريا، وكان من المحتمل أن تكون أفضل بكثير. ولكنه لم يفعل، ولهذا تبقى الحقيقة أن ولف كان ناجحا بحق كمسجل لفترة شبابه مستعملا طريقة غنائية وموسيقية كأجزاء فى قصص طويلة. إن حلمه الكبير فى أن يصبح ناقدا لمجتمعه ومحددا لمواطنيه، يمكن أن نشاهد ذلك فى أجزاء متناثرة فى القصص الطويلة، ولكن شكلها العام جاء مهوشا وغير متكامل.

لذلك كانت مشكلات «ولف» الرئيسية مرتبطة كلها بشخصه وبحياته الفنية، وأيضا بأعماله. لقد كتب Louis. D. Rubin الصغير دراسة نقدية لأعمال «ولف» ثم سأل: «إذا كنا نقبل طريقة «ولف» فى سرد القصة عن طريق السّير الشخصية على أنها حقيقة واقعة، ثم نفحصها بعد ذلك باعتبارها قصة؟». فإنى أعتقد أن قصة Look Homeward Angel تكون هى القصة الطويلة الوحيدة المقنعة، وأن الانسان فى القصص الطويلة الأخرى يشعر بأن «ولف»، قد بذل جهدا عبقريا فى عمل بدون شكل، ربما كان هذا الاستنتاج الأخير صحيحا، ولقد نادى به كثير من النقاد الكبار فى أمريكا؛ إن فشل «ولف» فى كتابة أعماله كما كان يرغب، لا يمكن أن يكون مرجعه كله إليه. أما الأسباب فكانت أسبابا معقدة: منها رغبته فى نشر كتبه بأية كيفية (وهناك دلائل على ذلك فى خطاباته)، ومنها أيضا عدم شعوره بالأمان (لقد كان شديد الحساسية لعمليات المراجعة) ومنها أيضا حبه العميق وتقديره للناشر Perkins وشعوره بالامتنان نحوه. قال Willam Faulkner مرة: «إن مسئولية الكاتب الوحيدة هى فنه.. ولا يجب أن يعرف الشفقة إذا أراد أن يكون فنانا صادقا.. إذا وجب عليه أن يسرق أمه فلا ينبغى أن يتردد. صحيح أن «ولف» قد كرس حياته ونشاطه، كى يخلق لنا فنا مستعينا بعقلية لم يتفوق عليها أحد فى هذا القرن، ولكنه لم يكن عديم الرأفة التى نادى بها Faulkner. ولكن الكاتب الذى له أعمال بهذا الحجم الضخم مثل «ولف» ومن كان له مثل خططه الواسعة المدى والأهمية، فإن فشله لا ينبغى أن يمر بسهولة. أو يتغاضى عنه. فهو قطعا مسئول عنه. فهو لم يحاول أن يجعل من القصة وسيلة مناسبة لأحلامه وعبقريته، إنه لم يخضع ذاته إلى تحليق خياله الخلاق فكان الثمن الذى دفعه باهظا جدًا. وكان هذا الثمن، أنه كاتب ملهم فى بعض أجزاء من القصة وكان كاتبا ملهما لقصة طويلة ولكنها لم تكن كاملة.

إن أحد جوانب العظمة عند «ولف»، هو قدرته الفائقة على استعمال اللغة والتعامل معها. إن الكلمة عنده قوة ذاتها. لقد سحرته اللغة كما سحره الايقاع الموسيقى لنبرات الكلمة. لقد فتنته البلاغة ووسائلها، كانت اللغة عنده هى

المفتاح الذى يبحث عنه لكشف المستغلق من الخفايا، وبها يطلق سراح القوى الكبرى فى الأسلوب. لقد كان «ولف» أستاذا دون منافس (فى الاستخدام المؤثر – دقة وحيوية – فى الحوار)، إذ كان من الواضح أنه وهب أذنا موسيقية حساسة. إن شخصياته، يتحدثون باللغة الدارجة بكل لهجاتها. فالشخصية عنده تتكلم لفترة طويلة دون أن تفقد ميزتها فى إلقاء الحديث، أو تكوين الجملة أو النبرة. إن قصة (The Web of Earth) تعتبر مثالا واضحا لسيطرته على لغة الحديث. إن اهتمامه باللغة كان وراء شهرة كتبه وأعماله حتى قيل: «إن كتبه هى مجرد تجارب لغوية، إنها الموضوع لقصصه».

أما المظهر الاجتماعى فى أعمال «ولف»، فقد عولج فى قصصه بدرجات متفاوتة إلا أن الحقيقة تبقى فى أن Sinclair Lewis قد ترك بصماته على الكاتب الشاب عندما كان يهاجم فى تهكم وسخرية مادية المجتمع، حتى أن «ولف» فى عام ١٩٢٣ كتب لوالدته يصف فى احتقار هؤلاء الناس الذين يصيحون: «التقدم» «التقدم».. إنما يقصدون بهذا الهتاف مزيدا من سيارات فورد، ومزيدا من نوادى الروتارى، ومزيدا من الاتحادات الاجتماعية للمرأة الكاثوليكية. إن هذا الاتجاه فى التهكم والذى اكتسبه من Lewis، نراه فى وضوح تام فى قصة Look Homeward, Angel وإن كان يستهدف Main Street ونادى Booster إنه يهاجم باسم الجمال، الروح التجارية القبيحة.

إن السنين التى عاشها «ولف» فى بروكلين وفترة الركود الاقتصادى قد أمضاها فى تأمل الدروب الاجتماعية. لقد كتب يقول: «فى كل مكان حولى فى أثناء هذه السنين كنت أشاهد دلائل العذاب والدمار الكبير.. مصائب عالمية تحيق بكل من أعرفهم». لقد زاد إيمانه بأن هناك خطأ ما فى هذا النظام الاجتماعى. إن خطاباته تدل على أنه رغب فى أن يكتب بعض المناظر الاجتماعية فى قصة (Of Time and the River) إلا أن Perkins اعتبرها ترجمة «ماركسية» لمشاكل المجتمع، وحاول إقناعه بالتحول عنها. إن خطاباته تدل أيضا على أنه تبنى فكرة

المساواة وكذا الراديكالية الاقتصادية فى الطبقة الوسطى ـ فى هـذا الـوقت ـ وجدت هذه الأفكار طريقها فى قصة You Can't go Home Again، حيث عبرت عن نفسها. إن معنى الظلم الاجتماعى فى هذا العالم كان القوة الـدافعة فى كتـابه الثانى The World That Jack Built، وكانت هذه القصة قد نشرت من قبل كقصة قصيرة تحت اسم The Party at Jack's. وفى هذا الكتاب يقوم المـؤلف بـوصف الأغنياء جدًا فى مقابل الطبقات العاملة عندهم وخدمتهم. وفى القسم الذى عنوانه The Hollow Men والذى يعالج انتحار C. Green نرى المؤلف وقد بين أن القيمة الحقيقية للفرد فى هذا المجتمع، قد هبط بها المجتمع إلى أن أصبحت مجرد رقم إحصائى. وكذلك فى الكتاب الرابع بعنـوان I Have a Thing to tell you وكان فى الأصل قصة قصيرة أيضا، يصور لنا الكاتب بعض المجتمع الشـديد فى ألمـانيا النازية.

كان ضمن الاتهامات التى وجهها «ولف» إلى Perkins بأنه كان (محـافظا) فى حين كان «ولف» قد أصبح (ثوريا)، ولكن كانت أفكاره الاجتماعية ينقصها العمق والأهمية. قـالت Pamela Hansford Johnson: إن أفـكار «ولف» الاجتمـاعية. مازالت صغيرة وقائمة على الكرم الغضوب، والعطف الحانق، مثلـه فى ذلك مثـل أغلب مفكرى الطبقة الوسطى من الشباب. وقال E. B. Burgum: «إن «ولف» قد أعد نفسه ليحارب بمفرده». وكانت هذه الرغبة فى الانفرادية هى التى حالت دون أن يقوم بدوره كجزء فى نظام اجتماعى منظم. إن مشـاكل أمـريكا (كمـا صرح «ولف» فى نهاية قصة (You Can't go Home Again) مشاكل إيمان، إيمان مازال يقوم على الروحانيات، وليست الماديات هى مشاكل إحياء ديمقراطيتنا) من داخل نفوسنا. وهنا يذكرنا «ولف» بـالكاتب Whitman، لأن هـذا الـكاتب فى كتـاب (مشاهد ديمقراطية)، يرى الخطر فى أسلوب الحياة الأمريكية من انتشار الفـردية حقًا لقد كان «ولف» (يعكس ما كان عليه Perkins يرى نفسه (ثوريًا)، ولكنه بقى ملتزما بالدفاع عن الديمقراطية المستنيرة للطبقة الوسطى التى كانت نتاج الحياة الأمريكية فى هذا القرن.

لذلك كان من البديهى أن يكون هذا التركيز على الوحدة والانفرادية فى تجربة «ولف» وكتاباته بالاضافة إلى المشاكل الاجتماعية وشقاء البشرية. الذى شاهده فى سنوات نشاطه، يكون كل ذلك قد ترك فى نفسه شعورا بأن العالم ينضح بالشر، مما أعطى صفة المأساة لجميع كتاباته. يضاف إلى ذلك أن الكاتب نفسه نتاج بيئة انحدرت نحو ظلام الهزيمة والمعاناة، وقبول الأمر الذى لم نكن نتوقعه.

لقد كتب «ولف» عن تجربة الصدمة التى مرّ بها فى أثناء حياته فى «بروكين» إبان فترة الركود الاقصادى عن (الصورة السوداء) التى تدل على وحشية الانسان تجاه أخيه الانسان.. عن العذاب والعنف والظلم والجوع والبرد والفقر.. وأضاف: «ومن هذا كله جاءت قدرة الانسان على تحمل المعاناة وإلى حد ما جاءت قدرته على البقاء»، لقد كان الانسان فى نظر «ولف» مخلوقا نبيلا. كان «ولف» يعتقد دائما أن أمريكا باتساعها الكبير وبضخامة الحياة فيها تتطلب أن يكون هناك شكل جديد من أشكال الفن، وكذا لغة جديدة للتعبير عن ذلك الفن، حتى أنه دعا إله الشعر أن يهجر اللهجة الأيونية. وقد كتب يقول؛ «فى الثقافة الأوربية أو الشرقية لم يجد الفنان صورة مسبقة أو نموذجا لهذه الثقافة ولا تقاليد جاهزة تضفى على أعماله الصدق والقوة». كان لزاما على الفنان الأمريكى أن يجد فى خلق تقاليد جديدة ولغة مستوحاة من الحياة الأمريكية. هذا هو الواجب الذى يجب أن يضعه نصب عينيه».

لقد حاول «ولف» بكل إخلاص ودأب ابتكار أسلوب جديد ومنهج قصصى فريد يعبر به عن الحياة الأمريكية، ولكنه لم يستطع فعل ذلك وأصبح من الواضح أن حياته الأدبية لم تمتد لكى يدرك هذا الهدف. كما فشل كذلك فى خلق لغة تعبيرية جديدة توضح صورة أمريكا فى مجال القصة. أما لماذا لم يستطع «ولف» تحقيق هذه الآمال جميعها، فكان ذلك أمرا لم نعثر على إجابة عليه حتى الآن.

إن نوع الخيال والقدرات الفنية قد هيأت للكاتب الفرصة لاتقان رسم الشخصيات، وكذا تصوير الأحداث بدرجة تجعلها واضحة التكامل والانفراد

حتى إن Fitzgerald أشار إلى تلك المقدرة عندما تحدث عن قدرة «ولف» فقال: «إنه يحاول رسم الشخصيات والأحداث فيجعلها كاملة المشاعر فى الزمان والمكان».

ومن هنا ظهرت سيطرته الكاملة على ذلك كله فى قصصه القصيرة وهو الأمر الذى كذب الاتهام الذى وجه إليه عن عدم قدرته على الالتزام بالشكل العام للقصة. ومن هنا أيضا نرى الكاتب يعود إلى قصصه القصيرة ليجعلها أجزاء فى تجاربه الطويلة مستخدما فى ذلك طريقة Whitman عندما كان يروى لنا وصفا عن بلادة أهله. ولكنا نرى الكاتب «ولف» لم يحقق نجاحا كاملا بهذه الطريقة. إذ نلاحظ أن الأجزاء المأخوذة من قصصه القصيرة تفضل كثيرا الاجزاء الأخرى من الكتاب.

وإلى جانب ذلك نرى أن «ولف» قد انفرد بقدرته على رؤية الأشياء بسرور وتلهف يشبهان سرور وتلهف الطفل. فإنه يرى هذه الأشياء بأبعادها وألوانها المختلفة، بل بأصواتها ورائحتها المتعددة. لقد كانت أعماله خير شاهد على ذلك إذ أنها نجحت نجاحا فاق كل وصف فى نقل هذا السرور وهذه اللهفة إلى القارئ بشكل كامل وأخاذ. إن هذا النجاح لم يكن أمرا هينا وبسيطا. فانظر مثلا إلى قصة Look Homeward Angel نجد أنها قصة غنية بكل المقاييس. فهى تحكى آلام وسرور الطفولة والشباب وقد ازدحمت وزخرت بالشخصيات والناس، وبالرغم من وجود بعض الهفوات فإن القصة (وهى قصة رائعة) تحمل بين طياتها عناصر الخلود.

وأخيرا فإننا نستطيع القول أن جميع أعماله كانت تخلق بشكل دقة وأمانة وتركيز؛ وساعده على بلوغ ذلك، جمال أسلوبه اللغوى الذى لم يتفوق عليه أى كاتب نثر فى أمريكا.

ناثانيل وست NATHANAEL WEST

بقلم
ستانلى إدجار هيمان Stanley Edgar Hyman

ولد الكاتب ـ وكان اسمه Nathan Weinstein ـ فى مدينة «نيويورك» ففى ١٧ أكتوبر عام ١٩٠٣، وهو ابن لمهـاجر روسى يهـودى. وأمـه Anna Wallenstein Weinstein، كانت تنتمى إلى أسرة مثقفة، كما كانت على قدر من الجمال. وحين كانت فى أوربا كانت على علاقة بالرسام Maurice Stern، ولما تزوجت وأصـبحت ربة بيت تحولت إلى امرأة بدينة وذات قوة. وكان الأب نحيفا خجـولا وعـطوفا يعمل مقاولا للمبانى، وكان للكاتب شقيقتان، الكبرى «هنـدا Hinda والصـغرى Lorraine (Laura). وكانت الكبرى كبيرة الشبه بأمها، أما الصغرى فكانت تشـبه الأب. أما West فكان شديد التعلق بأبيه ولذا كان قريبا جدا من أخته الصـغرى حتى أنه كان يردد دائما حين صار رجلا بأنه لا يمكن أن يتزوج من فتاة أقل من شقيقته لورا Laura.

لقد أمضى الكاتب سنى دراسته فى «منهاتن»، ولم يعرف عنـه قـط أنـه كان متفوقا دراسيا. لقد كان وهو طفل هزيلا ومنـدفعا فى تصرفـاته ومنعـزلا عـن أصدقائه. كان يذهب فى الصيف إلـى معسـكر Paradox فى Adirondacks، وذكر أحد المشرفين على المعسكر فى وصفه قائلا: «إنـه صـبى هـادئ. لا يحـب الاختلاط». كان يحب أن يلعب «البيس بول» بالرغم من أنـه كان يميـل إلـى التجـوال فى الأراضى الخضراء. وكان يطلـق عليه إخـوانه اسـم Pep لأن كـرة طائرة ارتطمت برأسه ثم ارتدت لتدخل المرمى، وظل يلقب بهذا الاسـم طـوال حيـاته.

إلى جانب هذا الاهتمام كان West يقضى معظم أوقاته فى القراءة. فإذا صدقنا ما جاء فى مذكرات شقيقته فإن West قد قرأ كل أعمال «تـولستوى Tolostoi» فى العاشرة من عمره. ولما بلغ الثالثة عشرة قرأ أعمال «ديسـتوفسكى Dostoevski» وغيرها من الأدب الروسى، كما قرأ أعمال Flaubert و Henry James. ودرب كلبه الصغير على أن يعض كل من يدخل عليه حجرته وهو يقرأ. وحين انتهـى مـن الصف العاشر التحق بمدرسة De Witt Clinton الثانوية وفيها عرف بأنه أضعف تلاميذ المدرسة فلم يكن يشترك فى أى نشاط بالمرة. وفى يونيو عام ١٩٢٠ تـرك «وست» المدرسة قبل أن ينتهى من دراسته. وفى سبتمبر عـام ١٩٢١ قبـل فى جامعة Tufts (بموجب خطاب اتضح فيما بعد أنه كان مزورا وكان الخطاب مـن مدرسة De Witt Clinton). وبعد شهرين من الدراسة انسـحب مـن الجـامعة لصعوبة المواد. ثم التحق بجامعة Brown فى فبراير عام ١٩٢٢، على أنه تحـول من جامعة Tufts وبموجب خطاب من ملف آخـر اسـمه Nathan Wenstein وكان هذا الطالب يدرس أيضا فى جامعة Tufts. وفى جامعة Brown بعد أن تم تسجيله بها بذل أقصى جهد حتى نجح فى جميع المواد، بل إنه انتهى من دراسته كلية فى سنتين ونصف سنة وقد اشتهر فى أثناء دراسته بأنه متحفظ فى سلوكه، لطيف مع أصدقائه، مجامل وكريم، وقد ساعده فى ذلك، ما كان يرسله له أبوه مـن مبـالغ كبيرة. كما كان يجيد العزف على الآلة الموسيقية الوترية Bango. أمـا بـالنسبة لعلاقاته بالفتيات فقد كان خجولا جدا أو مهذبا جدا. ففى صـيف مـا ذهـب «وست» مع صديق له يدعى Quentin Reynold واشتغلا عند أبيه فى حمل الطوب فنمت العضلات فى جسده النحيل كما أثبت نجاحا كبيرا فى تعامله مع العمال. لم يتلق وست أى تعليم يذكر فى الديانة اليهودية. بالرغم من أنه ختّن دون أن يقـام له حفل الختان التقليدى. وفى أثناء وجوده فى جامعة Brown كان وسـت يحـاول التخلص من كل ما يربطه باليهودية. لقد عانى الكثير مما تبقى له من هذه الديانة حتى أن صديقا له John Sanford قال بعد ذلك: «إنى أعرف أكثر من أى شخص آخر ما كان يعانيه Pep من لعنة ديانته، لم يكن له أى علاقة بأى نشـاط يهودى

منظم فى الجامعة، ولم يعرف عنه الاختلاط بالاخوة اليهود. حتى قال عنه زميل بالجامعة: «لم يكن أحد يعرف أن Pep يهودى ولكن إخوانه اليهود يعلمون ذلك». لقد اشتهر West فى الجامعة بأنه فيلسوف مولع بالجمال، ولقد شغل نفسه بالتصوف أيضا وبطقوس السحر وبكاثوليكية القرون الوسطى، كما وردت على لسان بعض القديسين المغمورين. لقد أحب Joyce و Verlaine و Baudelaire و Rimbaud و Huysmans و Arthur Macher. وكانت مكتبته الخاصة أكبر مكتبة لطالب فى جامعة «براون» وقتئذ، وكان يقرض كتبه بكل سهولة وسخاء. وبعد أن أنهى Nathan Weinstein برامج العلوم والاقتصاد بنجاح، ركز اهتمامه لبرامج الأدب والفلسفة والتاريخ. أما نشاطه خارج البرامج الدراسية، فكان منصبا على عمله كمحرر فى مجلة «Casements» الجامعية الأدبية. لقد رسم أول غلاف لهذه المجلة كما اشترك فى تحريرها بقصيدة بعنوان (الموت) وبمقال عنوانه Euripides كاتب مسرحى. وفى عام ١٩٢٤ وصفه الكتاب السنوى Liber Brunensis بأنه عبقرى له مستقبل لا يمكن التنبؤ به.

وبعد أن تخرج فى عام ١٩٢٤، تمكن من إقناع والده بأن يرسله إلى «باريس»، وهناك أمضى عامين كان فيهما سعيدا جدا وأطلق لحيته الحمراء. ثم عاد إلى «نيويورك» فى أوائل عام ١٩٢٦، فعمل فترة مع والده. وفى عام ١٩٢٧، وبفضل علاقاته العائلية، تمكن من الحصول على وظيفة مساعد مدير فى فندق Kenmore الذى يقع فى الشارع رقم ٢٣ شرقا. كان عمله ليلا، فسهل له هذا العمل قضاء وقت طويل فى القراءة. وقد كان يسمح لأصدقائه فى الجامعة أن يبيتوا فى الفندق هم وزملاؤهم بالمجان، وكان من بين هؤلاء Dashiele Hammett الذى انتهى من قصة (The Maltese Falcon) وهو ضيف على وست يمده بالخمور المهربة. وفى عام ١٩٢٨ انتقل إلى مثل وظيفته فى فندق أكثر (أناقة) «The Sutton» الذى يقع فى الشارع السادس والخمسين شرقا. كان وست يستضيف الكتاب الساقطين نظير أسعار مخفضة، وربما بدون أجر على الاطلاق. وكان من بين هؤلاء Eriskine Cadwell و James T. Farrel» وبعد انهيار سوق الأوراق

المالية الذى تسبب فى إفلاس والد وست أصبح سطح فندق Sutton المشمس المكان المرغوب لعمليات الانتحار حتى أن وست قد أطلق عليه (قفزة الموت).

أما قصته الأولى The Dream Life of Balso Snell فيظهر أنه كان قد كتبها حين كان طالبا، ثم أعاد كتابتها فى أثناء عمله فى فندق Sutton، وطبعها على نفقته عام ١٩٣١، وقد طبع منها خمسمائة نسخة فقط. ولولا أن مقالا واحدا ظهر فى مجلة Contempo عن هذه القصة لكانت من المجهولات ولا تثير أى اهتمام ما. لقد كتب عن القصة أن المؤلف هو Nathanael West، وكان هذا أول دليل رسمى على تغيير اسمه بعد أن كان اسمه فى أثناء دراسته الجامعية Nathan Von Wallenstein Weinstein، وأخذ يوقع باسمه الجديد مقالاته التى اشترك بها فى تحرير مجلة الجامعة «Casements». أما كيف اتخذ هذا الاسم البعيد عن الأسماء اليهودية إلى حد ما. فيقول William Carlos Williams إن Horace Greeley قال له اذهب إلى (الغرب The West) أيها الشاب ففعل. وبهذا يتضح جليا أنه كان ضد السامية حتى أنه كان يشير إلى الفتيات اليهوديات بألفاظ غير كريمة، بل كان يتجنبهن.

وفى عام ١٩٣١ نال «وست» إجازة من عمله بالفندق Sutton وذهب مع صديقه Sanford وهو قصصى ملهم إلى مكان بجبال Adirondacks بالقرب من Warrensburg وأجرا كوخا صغيرا. وكانا يكتبان فى فترة الصباح أما فترة بعد الظهر فيقضيانها فى الصيد. كان «وست» فى ذلك الوقت يكتب قصة (Miss Lonelyhearts)، وكان من عادته أن يقرأ مايكتبه بصوت مرتفع. لقد أعاد كتابة هذه القصة خمس أو ست مرات عندما كان على جبال Adirondacks، ثم فى فندق Sutton والمرة الأخيرة فى فندق بمدينة Frenchtown فى ولاية New Jersey بعد أن ترك العمل فى Sutton. وفى أواخر عام ١٩٣٢ اشترى وست وصديقه Perelmans بيتا ريفيا فى مقاطعة Bucks بولاية Pennsylvania وجاءت أمه بعد ذلك إلى هذا البيت لتقوم بإعداد الطعام لهما ولتحاول إقناع ولدها وست بالعودة إلى

صناعة الفندقة. وفى عام ١٩٣٢ نشر قصة (Miss Lonelyhearts)، وقد استقبلت القصة بمقالات حماسية، ولكن لسوء الحظ اختار الناشرHorace Liveright هذا الوقت ليعلن إفلاسه فرفضت المطبعة تسليم بقية النسخ، وكان لديها الجزء الأكبر منها. وبعد أن تمكن وست من الاتفاق مع ناشر أخر ليتسلم القصة، كانت المقالات الحماسية التى استقبلت القصة قد نسيها الناس ولك وكل مابيع من القصة لايزيد على ثمانمائة نسخة فقط وكان إيراد وست من كتابيه الأولين مع ثلاث سنوات من الكتابة والتعب هو مبلغ ٧٨٠ دولارا.

وفى عام ١٩٣٢ أصبح «وست» محررا مساعدا مع Dr. Williams فى مجلة صغيرة هى «Contact» نشر فيها مقالات وفصولا من قصة (Miss Lonelyhearts) كما نشر هذه الفصول فى مجلة «Contempo» فى عام ١٩٣٣. وفى أغسطس عام ١٩٣٣ أصبح وست المحرر المشارك لمجلة «Americana» والتى كان يرأس تحريرها Alexander King. وقبل أن تختفى مجلة «Americana» فى نوفمبر كان وست قد نشر فيها قصة سينمائية هى Business Deal وبعض المقتطفات من قصة (Also Snell) وبعد ذلك كتب وست قصصا لبعض المجلات الخفيفة، ولكنه لم ينجح فى بيع أى منها. ثم تقدم للحصول على منحة Guggenheim، (وكان F. Scott. Fitzgerald) أحد الذين زكوه لهذه المنحة ولكنه فشل فى الحصول عليها.

كتب وست بعد ذلك قصة (A Cool Million) كتبها فى سرعة، فقد كان يأمل فى استغلال فرصة المقالات التى كتبت فى صالح قصته الأولى لكى يكسب بعض المال. ولكن ظهر لسوء الحظ فى عام ١٩٣٤ بعض المقالات فى غير صالح القصة مما أثر على حركة البيع فباع منها أعدادا قليلة وما تبقى أصبح من المخلفات.

كانت حياة وست الشخصية لا تقل فشلا عن حياته الأدبية. لقد أهدى قصة (Balso Snell) إلى Alice Shepard وهى فتاة تنتمى إلى الديانة الكاثوليكية، وكانت ملتحقة بمدرسة Pembroke الثانوية مع شقيقته Laura. لقد كانا مخطوبين، ولكن بشكل غير علنى. حصل وست على إذن بالزواج من السلطات المحلية وكان يحمل

هذا الاذن معه لعدة سنوات، ولكنهما لم يتزوجا قط، فقد قيل إن السبب فى عدم إتمام الزواج هو فقر وست ولكن السبب فى رأى Sanford، كان مرجعه إلى الاختلاف فى الديانة. وفى عام ١٩٣٣ سافر وست إلى «هوليود» وبقى هناك عدة أشهر قليلة. وفى هذه المدة تمكن من بيع قصة (Miss Lonelyhearts) لشركة Twentieth Century Fox كما تعاقد على الكتابة نظير مبلغ ٣٥٠ دولارا شهريا. ولكنه لم يعط أى عمل يستحق الذكر، ثم شاهد قصته وقد تحولت إلى جريمة قتل Lee Tracy فعاد «لنيويورك» فى يوليو وقد غمرته المرارة والحزن.

وفى عام ١٩٣٥، حين كانت جميع الأبواب مغلقة فى وجهه عاد وست إلى «هوليود» وعمل فى وظيفة كاتب سينمائى فى استوديو شركة Republic ثم انتقل إلى شركة R.K.O. للاذاعة، وكان ذلك فى عام ١٩٣٨ هذا إلى جانب عمله مع شركة Universal International السينمائية. وفى السنوات القليلة التى تبقت من حياته بعد ذلك كتب وست عددا من القصص السينمائية التافهة، بمفرده أو بالاشتراك مع غيره. وكان من بين هذه القصص Five Came Back و I Stole a Million و Spirit of Culver» وكان نتيجة التسهيلات والتيسيرات التى منحت له فى وظيفة كاتب سينمائى أن تمكن وست من أن يعيش حياة سهلة وآمنة لأول مرة منذ إفلاس عام ١٩٢٩. كان يعمل عددا قليلا من الساعات أسبوعيا. ولديه سكرتيرة يملى عليها ما يريد. وكان يمضى إجازات آخر الأسبوع فى الصيد. أما الشهور التى تلى الموسم السينمائى فكان وست يقوم برحلات كل عام من Oregon عبر California إلى المكسيك.

كان وست يكره أصحاب الأعمال فى هوليود الذين يستغلون موظفيهم ولا يتركونهم إلا بعد أن يلهثوا من التعب. لقد حاول الهروب من هوليود بشتى الطرق. اشترك مع غيره فى كتابة مسرحيتين لمسارح Broadway المسرحية الأولى لم تمثل أبدا أما المسرحية الثانية فقد مثلت ليلتين فقط. التحق بعد ذلك بالحزب الشيوعى كعضو رحالة يروج لنداءات الكتاب الامريكيين الذى عقد فى عام ١٩٣٥، كما روج لقرارات نقابة الكتاب السينمائيين. ثم عمل فى جد ونشاط لصالح

الديمقراطيين فى صراعهم ضد الدكتاتورية فى أسبانيا ولأغراض أخرى عديدة. لقد نشر فى أوائل عام ١٩٣٣ قصيدة ماركسية فى مجلة «Contempo» وقبل أن يذهب إلى California فى عام ١٩٣٥ أوقف مع غيره من الشيوعيين، ووضع فى السجن لبضع ساعات وذلك بتهمة «تعطيل المرور» ، وكان من حسن حظه أنه لم يستطع أن يضمن قصصه ميوله السياسية فى صراحة.

نشر وست بعد ذلك قصة (The Day of the Locust) عام ١٩٣٩ آملا من نجاحها حتى يتمكن من الخروج من هوليود. ولكن بالرغم من ظهور بعض المقالات فى صالح القصة فقد كانت فاشلة تجاريا فقد بيع منها ١٥٠٠ نسخة فقط (قال الناشر Bennett Cerf): «إن السبب فى فشل القصة يرجع إلى السيدات ، لأنهن لم يحببن القصة». وفى عام ١٩٤٠ وضع «وست» حدا لوحدته بصورة غريبة ومفاجئة، وذلك حين أحب Eileen Mc Kenney بطلة مسرحية My Sister Eileen للكاتبة Ruth Mc Kenny وقد تزوجا فى نفس العام (١٩٤٠ فى شهر أبريل) وفى Oregon أمضى وست وزوجته ثلاثة أشهر فى الصيد (عقب الزواج مباشرة)، وبعد عودته إلى هوليود حصل وست على وظيفة فى شركة «كولمبيا» للسينما بأجر أفضل. وبعد ذلك اشترت هذه الشركة قصته (A Cool Million) وحولتها إلى قصة سينمائية بالاشتراك معه. واستمرت حياة وست فى سعادة، (وقد بدأت حياته السعيدة هذه فى الربيع حتى نهاية العام تقريبا). ففى ٢٢ ديسمبر من نفس العام كان وست وزوجته عائدين من رحلة صيد فى المكسيك وعند مدينة El Centro بولاية «كليفورنيا» اصطدمت سيارته (وكان يقودها بنفسه مع ضعف نظره) بسيارة أخرى عندما تخطى وست بطريق الخطأ علامة المرور. فماتت زوجته Eileen فى الحال ونقل هو إلى المستشفى، حيث مات هو الآخر بعد ساعة (وهو فى الطريق).

ومنذ أن توفى وست أخذت شهرته تعلو باستمرار فقد بيع من قصة (Miss Lonclyhearts) مائة وتسعون ألف نسخة، وبيع من قصة (The Day of the Locust) رُبع مليون نسخة. وقد نشرت عنه المقالات على نطاق واسع فى الولايات

المتحدة والخارج، حتى أنهم فى انجلترا نشروا جميع مؤلفاته ما عدا القصة الأولى. وقد تحولت قصته Miss Lonelyhearts إلى مسرحية ثم إلى فيلم وأوبرا. وفى عام ١٩٤٦ قام Marcelle Sibon بترجمة القصة إلى اللغة الفرنسية تحت اسم Mademoiselle Coeur Brise كما كتب Philippe Soupault مقدمة الترجمة الفرنسية، وكان من الواضح ظهور تأثير هذه المقدمة على القصة باللغة الفرنسية. وهناك اتفاق عام أن وست يعتبر من أهم الكتاب الأمريكيين الذين ظهروا فى الثلاثينات.

(The Dream Life of Balso Snell) وهى القصة التى نشرت عام ١٩٣١. هذه القصة من المستحيل تقريبا أن يقوم أحد بعمل ملخص لها. وتدور القصة حول الشاعر Balso Snell الذى عثر على حصان طروادة ورحلة الشاعر داخل القناة الهضمية لهذا الحصان. ومن خلال هذه الرحلة يقابل الشاعر دليلا يهوديًا Maloney الأسخربوطى. وهو متصوف كاثوليكى «وجون جيلسون John Gibson» وهو تلميذ يسبق عمره فى النضوج Miss McGeeney وهى مدرسة «جون». ولكل واحد من هؤلاء قصة ولبعضهم أكثر من قصة. وكل هذه القصص تمتزج بأحلامهم وبأحلام الشاعر Balso بشكل يبعث على الحيرة وبطريقة محيرة ومتعمدة أيضا، وينتهى الكتاب عند شهوة جنسية طاغية تجتاح الشاعر وهو مازال فى أمعاء الحصان. ففى حلم يرى الشاعر نفسه يضاجع Miss McGeeney فهو يحلم كما يحلم تلميذ المدرسة.

إن القارئ ليشعر بتأثير كبير من فاسد الجسد والنفور منه. ففى إحدى شطحات John Gibson يتخيل أنه يضرب (مدرسة) وكان يبرر فعلته هذه بقوله: «إن عندى دملا فى جفن عينى، وألما باردا على شفتى، ودملا عند حافة الياقة التى تحك رقبتى، ودملا آخر فى ركن فمى، ومخاطا مالحا على طرف أنفى. ثم يستطرد قائلا، إنى أشعر وكأن كل مواد الدنيا: الخشب ـ الزجاج ـ الصوف ـ الجلد تحتك داخل دمل جفنى، وفى كل الدمامل التى فى جسمى». وكذا عندما يقابل Balso الشاعر Miss McGeeney وهى امرأة متوسطة العمر. أما فى هذه

اللحظة فتبدو فتاة جميلة وعارية وتقول للشاعر وهى تصف حلمها الشاعرى: «إن المنازل البارزة على جسم الشارع تظهر وكأنها بثور وأورام ودمامل وحلمات أثداء وأكياس دهنية متقيحة، وأورام سرطانية صلبة ولينة».

وفى حلم داخل حلمه، ينعطف الشاعر نحو الفتيات الكسيحات «لقد أحب فيهن أفخاذهن المعوجة، وأرجلهن القصيرة والحدبات التى فوق ظهورهن وأقدامهن المقوسة إلى الداخل أو إلى الخارج فكل ذلك كان يزينهن».

وصاح مرة لواحدة منهن وهى الحدباء Janey «بالنسبة لى، فإن دماملك مثل الزهرات اليانعة الحمراء. دماملك براعم ورد أحمر، إنى أحبها جميعا».

ومن أجمل ما كتبه وست ذكريات الشاعر Balso عن فتاة قد هام بها فى وقت ما. كانت لا تعمل شيئا فى أثناء النهار سوى أن تضع قطع اللحم الصغيرة والزبد والجبن فوق أوراق الورد لكى تجذب أسراب الذباب بدلا من الفراشات والنحل.

وكما كان ينظر إلى الجسم البشرى من خلال الدمامل والبثور والأورام، كان ينظر إلى المسيحية من خلال جروح المسيح وجسده الدامى. يكتب Maloney الأسخربوطى سيرة حياة القديس Puce وهو برغوث ولد وعاش ومات تحت إبط السيد المسيح. إن أفكار Maloney الكافرة من أن St. Puce ولد من الروح القدس مكنت وست من التهكم من معميات فكرة التجسيد، ولذلك كانت حياة البرغوث على الجسد المقدس ودمه فرصة استغلها وست كى يسخر من فكرة العشاء الربانى عند المسيحيين.

لم تقف مرارة وست فى الكتابة على المسيحيين فحسب، بل تعدتها إلى اليهودية وأعطاها نصيبها أيضا، فالمرشد ظهر أنه لم يكن مجرد يهودى عادى فقط، ولكنه يهودى متعصب، إذا جاء ذكر أسماء يهودية مثل «Hernia Hornstein» و Paresis Pearlberg»، صاح هذا مؤكدا أنه يهودى ثلاث مرات.

وهنا يجيب Balso فى أدب: «إن من بين أحسن أصدقائه يهوديا، ثم يضيف ما ذكر Doughty فى: «إن اليهود مثل رجل يجلس فى إنسان العيون ورأسه تلمس السماء». ويؤخذ على هذه القصة أن جميع شخصياتها كانت تتصرف بطريقة صبيانية: مثل منظر دخول الشاعر إلى أمعاء (حصان طروادة) وبعد نشر قصة Balso Snell بسنتين أى فى عام ١٩٣٢، نشر قصة (Miss Lonelyhearts) تحدث عنها وست إلى Liebling، إنها ليست كقصة Balso إنها صناعة مختلفة فهى قصة متكاملة ونظيفة. تحوى قليلا من التصوف إلا أنها تافهة». ولقد وصفها أيضا فى ملاحظاته بعنوان: «بعض الملاحظات عن Miss Lonelyhearts بأنها صورة القسيس يعيش فى أيامنا يتمتع بخبرة دينية». وقال وست فى وصف القصة إنها: «صورة عنيفة قد استخدمت لتصوير الحوادث والأحداث كما وقعت تماما».

أما القصة فهى ساخرة تتهكم على طريقة «سوفوكليس» إنها سهلة مثل قصة (Balso Snell) تحكى قصة صحفى شاب يكتب عمودا فى صحيفة يرد فيه على المعذبين من الناس ويوقع بإمضاء Miss Lonelyhearts، وقد وصل به الأمر إلى النقطة التى كان يظن أنه أصبح بالفعل امراة خاصة بعد أن وقع تحت تأثير قرائه الذين يكتبون إليه على هذا الاعتبار. وقد ساعد على تثبيت هذا الظن زميله «الساخر William Shrike والذى سيصبح بعد ذلك رئيسا للتحرير. فشل Miss Lonely_hearts فى ملاحقة زوجة Shrike وكان اسمها Mary كما أنه لم يستطع أن يغازل ويرضى حبه لخطيبته الجميلة Betty وفى النهاية وجد مصيره مع اثنين من قرائه: الأول Peter Doyle وكان رجلا مقعدا. والثانى كانت زوجة هذا الرجل واسمها Faye Doyle. لم يلق Miss Lonelyhearts جزاءه لوقوعه مع الزوجة Faye. إنما وجده حين تشاجر مع Doyle فى المقابلة الثانية ليبعده عنه. لقد أدى هذا الشجار إلى أن أطلق Doyle النار عليه.

إن شخصيات القصة رمزية وإن كانت جميعها مقنعة فى نفس الوقت: Miss Lonelyhearts شخصية بروتستانتية من سكان «نيو انجلند» وكان أبوه

قسيسا معمدانيا. تربى الابن تربية دينية قوية وملتزمة وإن كان لا يتبع أى طائفة كنسية. فهو شخصية متدينة وملتزمة بدينها.

فلما طلبت اليه Betty أن يترك هذا العمود، قال لها : « لا أستطيع وحتى إذا استطعت فهذا لا يغير من الأمر شيئا فسوف لا أنسى الخطابات مهما فعلت ».

ومن اللمسات الذكية جدا فى هذه القصة أن وست لم يذكر اسم «Miss Lonelyhearts» بل كان يميزه بوظيفته التى يقوم بها. (فى مخطوط سابق للقصة قال وست : إن اسمه هو «Thomes Matlock». ولكن تبقى الحقيقة أنه بدون اسم وكان أكثر وقعا. «فنراه حين يتحدث إلى «Faye Doyle» بالتليفون يقول : « إن المتحدث هو «Miss Lonelyheart» الرجل الذى يكتب العمود ». كان يتمسك بعدم ذكر اسمه وبالتزامه بتأدية رسالته حتى بدون الرجوع إلى الكنيسة. كان «Miss Lonelyhearts» هو النبى العزوف والمتقشف الذى لا يستجيب لاغراء، ويقى كذلك حتى مات. لقد ميز Miss Lonelyhearts الفتاة «Betty» بأنها كانت تمثل مبدأ النظام والرتابة. كانت تشعره دائما أنه إذا حل عقدته وعدلها فإنها ستعتدل معه أكثر فأكثر. فقد كانت تمثل أيضا براءة وطهارة الطبيعة مقابل الشخص الآثم الذى يعيش دون مبدأ. فلما كان الصحفى Miss Lonelyhearts مريضا كانت Betty تقدم له الطعام وتنظف حجرته وتسرى عنه بأن تقص عليه أحلامها وذكرياتها عن الريف. قالت : « إنها فى أثناء طفولتها كانت تعيش فى مزرعة وكانت تحب الحيوان، ووصفت له الأصوات والروائح فى الريف. لقد كان كل شىء هادئا وجميلا ونظيفا، ثم قالت إن عليه أن يفكر فى الحياة الريفية »، فإن فعل فإنه سيبين أن المدينة هى السبب فى جميع مشاكله.

ولما استرد Miss Lonelyhearts صحته صحبته Betty إلى حديقة الحيوان وكان سعيدا (لاعتقادها الواضح فى قوة الحيوان الخلاقة). ثم أخذته إلى الريف حيث بقيا هناك عدة أيام، وكان الصحفى غير قابل للمساعدة، ولكن Betty كانت نموذجا للصبر والبراءة، فهى كانت كقطة طيبة نظيفة مما جعل للكتاب رنة حزن فى قلوب القراء.

لقد كانت Betty حواء البريئة وهو آدم الساقط الذى خرج من الجنة وحــده. أما بقية أشخاص الكتاب الأربعة، فقد كانوا مخلوقات متوحشة بمعنى الكلمة كان Shrike يمثل النصف السيئ الـذى انفصـل عــن Miss Lonelyhearts ذا ذكاء تهكمى. لقد كان اختيار اسم Shrike له اختيارا موفقا ومناسبا. فـإن Shrike أو الطائر الكاسر يسحب فريسته ويخرقها بشوكة. لقــد كان Shrike وهــو الســاخر المتهكم طوال القصــة والذى سلم Miss Lonelyhearts تاج الشوك ليضــعه على رأسه. كان طائرا مفترســا دائم الصراخ وحين يكون غير مفترس يســبح كطــائر النورس الكســول الدائم الصراخ. «أما مارى Mary زوجــة Shrike فهى صــورة لامرأة ذات صدر كبير مثير للضيق، ولما أراد Miss Lonelyhearts أن يتحدث إلى مارى بالتليفون (لسبب ما)، تخيلها وكأنه يرى إعلانا كبيرا لامرأة. وقــد اهتــم الرســام اهتماما كبيرا عندما رسم ثدييها وحلمتى الثديين البارزتين مثل قبعتين حمراوين صغيرتين. وعند ذلك تذكر الدور الذى كان ثديهــا يلعبه. فقــد كانــت تستخدمه كما كانت تفعل بنات الهوى فى الماضى لشد انتباه المعجبين. ومن حيل مارى أنها كانت تضع ميدالية حول عنقها ثم تطيها بسلسلة إلى نصف صــدرها فإذا سألها الصحفى أن يرى الميدالية كانت تميل عليه بصدرها حتى يراها بدلا من أن تخلعها من رقبتها وتعطيها له». واكتشف أيضــا أنه لم يعرف بعد مــاذا كانت تمثل هذه الميدالية. خرج معها مرة فى أمســية مرحة وتحدثت مارى طويلا عن كيف ماتت أمها بسرطان الثدى وعرضت صــدرها. وهنا فقط رأى الصــحفى الميدالية لأول مرة وقــد نقش عليها «منحتها مدرسة Boston الابتــدائية للفــائز بالمركز الأول فى العــدو لمائة ياردة. وعندما أعاد «مارى» إلى بيتها قبل صدرها لأول مرة حتى يهدئ من رغبتها. أما Doyle وزوجته Faye فقد ظهرا فى صــورة حيوانية جــدا كتبت Faye إلى Miss Lonelyhearts خطابا تدعوه فيه لــزياراتهــا جنسيا. فعزم على أن يحدثها أولا تليفونيا ورأى صورتها بعين خياله «خيمة» من اللحم مغطاة بالشعر والعروق. وهو هيكل عظمى. فلما دخــل هذا الهيكل العظمى هذه الخيمة من اللحم ازدهرت هذه لخيمة وانتعشت مفاصلها. كانت Faye امرأة

عملاقة لهــا ساقان أشــبه بالهراوات الهندية وصـــدر كالبالون، وجبهة كالحمــام. فلما أمسكها من ذراعها أحس كأنها فخذ، فلما أخذها إلى بيته، وصعد وراءها علــى السـلم لاحظ حركة جسمها فكانت أشبه بقطعة ضخمة من لحم الخنزير. كأنهــا شقى رحى كبيران، وعندما تخلع ملابسها كانت تحــدث أصواتها تشبه أصــوات البحر. كشىء يرف ويخفق كأنه شراع. كان الصــوت كصرير الجبال. ثــم ســمع صــوت المطاط وهو يرن على الجسد كأنه صوت الموج، عندما يلطم الــرصيف. وعندما كانت تدعوه كان صوتها يشبه أنين البحر. وحين رقد بجانبها، كانت تتنهد وكأنها ترفع شــيئا ثقيلا. وفى النهاية سحب Miss Lonelyhearts نفســه من علــى السرير وقد أنهكت قواه مثل السباح المتعب وهو يخرج من الماء. إلا أنها جذبته إليها من جديد. فإذا كانت Faye وحشا من وحوش المحيطات فــإن Peter Doyle مجــرد جرو سيئ الطالع. فهو يطلب إلى Miss Lonelyhearts الحضــور إلى بيته تنفيذا لأوامر زوجته، ويعلق على ذلك بنصف نكتة قائلا « ألست قوادا لأنى أحضر رجلا إلى بيتى من أجل زوجتى؟ فيكون رد الفعل عند الزوجة أن تضربه جــزاء فهمه بجريدة ملفوفة فى يدها، فيزحف الزوج كالكلب ويمســك الجريدة بأسنانه ثم يطرحها جانبا، ويزحف على يديه وركبتيه كما يفعــل الكلب، وعندما يميــل عليــه الصحفى ليعاونه على الوقــوف يندفع Doyle ويفــك أزرار بنطلون الصحفى ثــم ينسحب وهو يضحك. «لقد كان كلبا تركله Faye بقدمها». إن الموضوع السائد فى القصــة هو الألم والعذاب الانسانى. وكان هذا العذاب، وأغلبه وقع على الجنس النسائى يتجلى فى الرسائل التى كانت تصل إلى Miss Lonelyhearts فى الجريدة. منها خطاب من زوجة كاثوليكية وأم لسبعة أطفال (من إحدى عشرة ســنة زواج) وحامل مرة أخرى، وتشــكو من آلام مبرحة فى الكلى. ورسالة من فتاة بائســة فى السادسة عشرة من عمرها ولدت بخرق فى وجهها فى مكان الأنف ترغب فى الخروج مع الشباب مثل الفتيات الأخريات. أما هارولدس Harolds فإنه يكتب عن أختــه Gracie الصماء البكماء ذات الثلاثة عشر ربيعا، والتى اغتصبها رجل عندما كانت تلعب فوق ســطح المنزل، وهى تخشى أن يعرف أبواها فينزلان عليها العقــاب،

أما من جانب الرجل فلم يصل للصحفى Miss Lonelyhearts سوى خطابين. الأول من صبى مشلول يرغب فى أن يتعلم العزف على الكمان، والثانى كان Peter Doyle الذى يشكو من ألم فى ساقه المشلولة وعدم جدوى حياته. جاءت صور العذاب الذى على المرأة فى القصص التى كان يرسلها الأصدقاء على عنوان الجريدة، ويظهر أن أغلب هذه القصص كانت تنصب على عمليات الاغتصاب الجماعى، ومنها امرأة تعرضت لاغتصاب ثمانية أشخاص من جيرانها، وأخرى سجنت فى غرفة خلفية ثلاثة أيام وفى اليوم الأخير من سجنها، كانت تباع تذاكر للزنوج للدخول عليها. والقصة لم تستطع أن تبرهن، أو حتى تشرح سبب هذه المعاناة، بل إنها اكتفت بالابلاغ عن وجودها، وفى يوم كان الصحفى يرقد مريضا فى فراشه فرأى حلما عن حياة البشر، فقد وجد نفسه فى محل لعب الأطفال وفيه فراء وقطع من الماس، وخواتم وساعات وبنادق صيد، ومجموعات من أدوات صيد الأسماك، وآلات المندولين، وكل هذه الأشياء هى أدوات المعاناة والتعذيب. فقد يتراقص العذاب على حد مدية مهداة. تركزت صيحات العذاب والمعاناة التى ملأت الكتاب على ما أسماه الصحفى «عقدة المسيح». واعترف هو بأن المسيح هو الرد الوحيد على خطابات القراء، ولكن إذا أراد أن يتجنب المضايقات فليبتعد عن مسألة «المسيح»، خاصة وأن «المسيح» كان هدفا لتهكم ونكات Shrike. خرج الصحفى يوما من مكتبه وسار فى وسط حديقة جرداء فقرر أن يكتب للذين يراسلونه طالبا إليهم الحضور إلى هذه الأرض ليرووها بدموعهم، ولكنه تخيل Shrike وهو يطلب منه أن يعلمهم صلاة الصباح، فيقولون : «أعطنا يا الله اليوم حجرنا اليومى»، وتذكر أنه أعطى قراءه كثيرا من الأحجار وأنه لم يبق معه سوى واحد هو الذى يكون فى قناته الهضمية. علق الصحفى تمثالا للمسيح على جدار الحجرة بمسامير كبيرة، ولكن التمثال خيب ظنه، لأن «المسيح» ظل معلقا فى هدوء كأداة للزينة بدلا من مساعدته على الكتابة. وعندما كان صبيا فى كنيسة والده اكتشف أن شيئا يتحرك فى داخل نفسه عندما كان يصيح بصوت عال باسم السيد المسيح. اكتشف شيئا مجهولا وقويا جدا.

ولكن لســوء الحظ أنه يعترف بأن هذا الشىء لم يكن سببه الايمان، بل تهيج عصبى، لأن المسيح بالنسبة له كان أكبر مثير طبيعى. ولقد ذكر الصحفى أنــه: «إذا كان قد استطاع أن يؤمن بالمسيح لأصبح كل شىء بســيطا وكانــت ردوده على خطابات القراء أمرا ســهلا». ولكنه يعترف فى النهاية أن Shrike قد أجهــز على أمله عندما علمه أن يتعامل مع المسيح بقفاز خشن من الكلمات. ولكن بعــد ذلك آثر Miss Lonelyhearts الابتعاد عن Shrike وزوجته. وأصبح صخرة أمام كل المهازل والمغريات، وبنى على صخرته كنيسة العزلة حيث كان يتعبد فيها بمفرده. وبعد ثلاث أيام من رقاده فى الفراش ســما فيها قلبه إلى حالة الهــدوء، حضرت عائلة Shrike لتأخذه معهــا إلى حقل يقام فى بيتها. كما هى العــادة ألقت Faye بنفسها على حجر الصحفى وهى فى العربة وأخــذت تتلوى، ولكنه بقى كالصخر. وفى الحفل قاوم كل نكات وتهكمات Shrike بهدوء كالصخر، كل ما يدور فى البحــر لا تهتم به الصخرة، فترك الحفل ومعه Betty، ولابد أنها قد لاحظت هى الأخرى أنه أصبح قويا كالصخر. وقد وعدها فى شجاعة بالزواج. إن الصخرة كانت تقــوم على صلابة شعوره وقوة ضميره وإحساسه بالحقيقة ومعرفته بنفسه.

وفى اليوم الثانى كان الصحفى يعانى من بعض الحمى وجــاءه Doyle وأخــذ يرقى السلم وكان يحمل (مسدسا). اندفع الصحفى لملاقاته وساعده على الصعود بسبب ساقه المشلولة، ولكن Doyle لم يفهم ذلك فانزعج ورمى (مسدسه) بعيــدا فانطلقت منه رصاصة أصابت Miss Lonelyhearts الذى كان قــد ضم Doyle إلى صدره فسقط الاثنان إلى أسفل السلم، وكانت Betty ترقبهما من فوق. إنها صورة معبرة عن الشذوذ الجنسى. رجلان يتعانقان وامرأة تقف وتنظر فى حسرة. لقد كان وراء تعاسة الصحفى نوع من الشذوذ التام. وهذا يفسر لنا لماذا أعــطى وســت هذا الاسم لهذه الشخصية. كما يفسر لنا لمــاذا كان يهرب من مــواعيد Mary، ولماذا كان باردا نحوها؟ ويتذكر حياته فيقول: «إن جسمى لم يعتره أى تغييــر مثلما كان يحــدث لجسمها، كان جسمى كجسم رجل ميت لا يبعث فيــه الــدفء والحركة إلا الاحتكاك. كان يرتاح إلى مغازلة Faye له.

إن الضجة التى أحدثاها Miss Lonelyhearts فى الجريدة كانت بسبب جلوسهما صامتين وهما متشابكى الأيدى، وكان الصحفى يضع يده على يد Doyle (بكل الحب الذى يستطيعه). لنعد ثانية إلى بيت Doyle فيبدو أن فتح Doyle أزرار بنطلون الصحفى، وبعد أن ركلت Faye زوجها تركت الحجرة، ثم عادت لتجدهما يمسك الواحد بيد الآخر فقالت: «ما أجملكما من زوج مخنث» وكان هذا أبلغ تهكم من وست بهذه الحالة. حالة التعانق الرمزى الذى كان نتيجة لرصاصة أدخلها شخص فى جسم شخص آخر.

من الممكن أن نكتب قصة حياة الصحفى Miss Lonelyhearts قبل أن نقابلها فى الرواية. كان أبوه رجل دين شديد القسوة. وكانت نتيجة ذلك، أن الصبى امتلأ قلبه بالخوف والرعب فى حين كانت أمه لينة الجانب عطوفا عليه، فطرح الصبى جانبا وهو مازال غضا رغبات الرجولة واستراح إلى صدر أمه وانحاز إلى كل ما هو مؤنث فتولدت عقدة أوديب ثم كان Shrike وزوجته كالأب والأم بالنسبة له. إن المنظر الذى شاهدناه فى آخر المقابلة التى تمت بين الصحفى ومارى كان منظرا مريعا. فقد كان الاثنان واقفين خارج الشقة أمام الباب. وفجأة وبشعور جارف ينزع الصحفى ملابس Mary فأصبحت عارية إلا من المعطف الفرو. استمرت المرأة فى حديثها عن موت أمها وهى لا تعى ما تقول، وتكرر فى الكلام حتى لا يشعر زوجها بالسكون المفاجئ فيخرج ليرى ما عساه قد حدث. وفى النهاية تدعوه إلى الدخول وتذهب لتطل على زوجها الذى يطل هو برأسه وقد خلع ملابسه إلا من الجزء الأعلى من البيجاما وهنا تظهر عقدة (أوديب) بكل وضوح فهو يترك جسم أمه ليذهب إلى خصمه الأقوى.

إن الصيغة التى استخدمها وست للتعبير بها عن موضوعاته، تناسب تماما تلك الموضوعات. وأهم شيء فى هذه الصفة هى النغمة الشاذة المتوحشة التى تظهر فى كل المناظر. فى كل العنف. فى كل المعاناة والعذاب أينما كان. إنها نغمة فى عالم ينتظر فيه الجنون والتهور على التعقل والأناة. فمثلا يقول الصحفى. Miss Lonelyhearts لصديقه Shrike إنه فى انتظار فتاة على قدر كبير من الذكاء

«فيلوح Shrike بيده فى استدارة مصــورا صدرا كبيرا قائلا «ذكاء كبير»، وعندما يهم الصحفى بالدخول إلى المخدع يصطدم برجل يستدير ليقدم اعتذاره فيفاجأ بلكمة على وجهه.

أما الذى ينمو ويزدهر فى هذه الصحراء فهى بلاغة Shrike فى الخطابة يبــدأ الكتابة بصلاة كتبها Shrike (فى قالب ساخر تهكمى) ليقولها الصحفى لقد كانت فى منتهى البلاغة وكذلك كل ما كان يؤلفه Shrike عن: الدين عن الهروب والفرار عن الانجيل فى نظــر الصحفى. حتى نقد ألف خطاب تهكمى للــه. كان Shrike لاذع النكتة وصاحب بديهة لا ترحم. ففى أثناء لعبته السادية فى الحفــل يقــرأ Shrike بعض الخطابات التى وردت للصحفى ومنها خطاب أرسلته امرأة عجوز تبيع أقلام الرصاص لتعيش فقال عنها: «إنها امرأة تشكو من رشح عينيها فمن عنده مكان فى قلبه؟».

والمظهر الآخــر لهذه الزهرة المتفتحة فى هــذه البرية هــو العنف: فمثلا فى الفصــل الذى يدمى القلب وعنــوانه «Miss Lonelyhearts and the Lamb» وهــو عبارة عن حلم ذكريات متجمعة عن حادث هروب من المدرسة الثــانوية: نــرى Miss Lonelyhearts ومعه صبيان آخران (بعد أن هربوا من المدرسة) قد قضــوا الليل فى الشرب ثم اشتروا (حملا) وذهبوا إلى الغابة قبل أن يأكلوه. فأوقدوه على مذبح مغطى بالأزهار، ثم هم الصحفى بقطع حلقومه، ولكنه لم يفلح إلا فى إصابته بجرح بعد أن كسرت السكين فهرب الحمل إلى داخل الغابة وزحف مختبئا تحت شــجرة ثم فر الصبيان. فيعود Miss Lonelyhearts بعد فترة إلى الغــابة ويــأتى بحجر ويحطم رأس الحمل هذا منظر يشبه الكابوس إنه يومئ بالكفر إذا ما قورن بتضحيات «إسحق والمسيح». كما يتضمن المتناقضات المرة المملوء بها الكتاب من أشكال انحراف الحب.

أما الجــزء الذى كتب فيه الكاتب شيئا عن الكرامة والجمال والأمان، فــكان عندما قضى الصــحفى بضــعة أيام مع Betty فى المنزل الــريفى فى Connecticut

حيث ولدت Betty وكان الوقت ربيعا وكان الصحفى قد بدأ فى الاعتراف لنفسه بأن الريف مكان سعيد. فأوراق الشجرة الجديدة تلمع فى الشمس كأنها شموع، وأن الهواء ملىء بالروائح الجميلة المنعشة. «لقد عملا معا فى تنظيف البيت وكانت Betty تطهو أكلات بسيطة ثم يذهبان بعد الأكل إلى البركة لمشاهدة الغزلان، فيغازلها Miss Lonelyhearts ولكن Betty تعترف له بأنها مازالت عذراء. وفى اليوم التالى يسبحان وهما عاريان».

إن عظمة قصة (Miss Lonelyhearts) ترجع إلى كونها القصة الفريدة فى العالم التى جاءت إلى الوجود دون أن يسبق لها مثيل، وكانت أيضا ذات تأثير على عدد وفير من الروائيين الذين جاءوا بعد. وإنى أعتبر هذه القصة واحدة من أحسن ثلاث قصص كتبت فى القرن العشرين. أما القصتان الأخريان فهما : The Great Gatsby للكاتب F. Scott Fitzgerald و The Sun also Rises لهمنجواى والقصص الثلاث تشترك معا فى أن البطل فى كل منها ذهب ضحية الأحداث، وأنها تشبعت بمرارة تعبر عن تفاهة حضارتنا، ثم حدث جو من الحزن نتيجة للفشل.

إذا كانت الموسيقى فى قصة Miss Lonelyhearts جاءت أكثر ارتفاعا، وكانت ألوان صورها أكثر إبهارا وخطوطها أكثر سرعةً وهستيرية فتكون قد عبرت عن الثلاثينيات بشكل مناسب، كما عبرت أيضا عن العشرينيات.

أما قصة (A Cool Million) وكان عنوانها الفرعى The Dismantling of Lemuel Pitkin فهى تدور حول صبى فقير Lemuel Pitkin ولكنه أمين. هذا الصبى من مدينة Vermont. إنه يحاول أن يشق طريقه فى الحياة. وفى كل مرة يحاول فيها Pitkin مواجهة مشكلاته بالأمانة (على الطريقة القديمة) أو بالرزانة أو بالاقتصاد أو بالروح الرياضية أو بالشجاعة والفروسية أو العطف، كان جزاؤه أن يصير ضحية للسرقة أو الغش أو التشويه أو الضرب. وفى غمار القصة يقابل البطل Elizebeth Prail (وهى فتاة تمثل الفتاة الأمريكية المحترمة)، وكانت تعيش فى المنزل المجاور بعد أن اغتصبها أحد الأشخاص الشواذ وضربها ضربا مبرحا. ثم

خطفها أحـد تجار الرقيق الأبيض الذى باعهـا إلى بيت من بيوت الدعارة. ثـم نجدها وقد انقلبت تتصيد الزبائن من الشوارع وهكذا.. وفى هذه الأثناء كان رجل الأعمال وويبل فى المدينة Mr. Whipple (وكان رئيسا سابقا للولايات المتحدة) قد أسس حركة فاشية أمريكية واستولى على السلطة.

والقصـة فى مجموعها عبارة عن نكتة طـويلة، وقد تكون أطـول مما ينبغـى. فمسارح القصة عبارة عن مسارح أعدت لعملية تفكيك Dismantling الفتـى Lem. فنراه يدخل السجن نتيجة مكيدة دبرت له. فخلعت كل أسنانه لأن الحارس يـرى أن الاسنان هى مصدر العدوى الأخلاقية.

ثم نراه يفقد عينا أيضا وهو يحاول إنقاذ رجل المال وابنه، من حصان جامح، ثم قطع أصبعه الابهام فى حادث تصادم سيارة لما حاول وكلاء الشيوعية الدولية اختطافة. ثم فقد ساقه حين حاول إنقاذ Betty من أن تغتصب فوقع فى فخ لصيد الدببة. لقد كان الرجـل الشرير الذى يريد اغتصاب الفتاة قـد نصب هذا الفخ. وعندما كان واقعا فى الفخ فاقدا وعيه جاء رجل هندى تعلم فى «هوهرفارد» وسلخ جلد رأسه. وفى النهاية عمل كمهرج فى مسرحية استعراضية. وكان دوره يتـطلب ضربه بالعصا فى كل مرة يضرب فيها يطير من فوق رأسه شعره المستعار، فتظهر رأسه المسلوخة. وكانت عينه تجحظ وأسنانه تبرز وحتى ساقه الصـناعية كانـت تسقط على المشاهدين، وفى نهاية القصة يسقط Lemuel ميتا من طلقة نـارية فى أثناء إلقائه خطابا لتأكيد الفاشية الأمريكية. وكان نتيجة لاسـتشهاده أن نجـح أتباع Whipple ذوو القمصان الجلدية. وأصبح يوم ميلاد Pitkin عيدا قوميا ينشد فيه شباب أمريكا (فى أثناء سيرهم فى المواكب) نشيد Lemuel Pitkin. والـكتاب كما هو واضح ليس له شكل عام. فهو عبارة عن عدة منـاظر كوميـدية جمعهـا الكاتب، الواحد بجانب الآخر، ثم ربطها معا لتصبح مجالا لتهكم وست مما يـراه من تلك المناظر.

فمثلا انتهز وست فرصـة بقـاء Betty فى بيت الدعارة الذى يديره Wu Fong ليكتب عددا من الصفحات من الوصف الكوميدى: فالبيت (لكل الأمم)، حـوله بعـد

ذلك Wu Fong إلى مؤسسة (لكل الأمريكيين)، بعد الحملة الصحفية فى صحف ومجلات Hearst تحت شعار Buy American، وزاد وست على ذلك كل وصف الملابس والعادات والأطعمة الاقليمية لكل فتاة فى بيت الدعارة: إذا زار أحد Lena Haubengrauber، فإنها ستقدم له قطعا من لحم الخنزير مع البيرة، أما فى حجرة Mary Judkins فيجد الزائر السنجاب المقلى والخمور المصنوعة من الذرة.

أما القاعدة عند Partricia Van Riis فتقدم سرطان البحر مع الشمبانيا. وزبائن Powder River Rose يجدون عندها المحار مع النبيذ. إن Dolores تقدم لحم السلحفاة مع الكونياك. وعند Betty Prail يجد الزائر السمك وقدح الروم من صنع «جامَيكا». أما الفتيات المودرن فيقدمن سندوتشات الطماطم والخس مع الجبن.

وكان آخر كتاب للمؤلف وست قصة (The Day of the Locust) الذى نشر عام ١٩٣٩، وتدور القصة حول رسام شاب Tod Hachett، كان يعمل فى مجال السينما مصمم أزياء ومناظر فى هوليود وحول من يقابلهم من الناس وفى مقدمتهم Faye Freener الفتاة الجميلة التى كان يحبها الرسام، ثم والد الفتاة وكان ممثلا قديما (كوميديا) فى (مسرحيات الفورفيل) الاستعراضية، ثم Earle Shoop وهو رجل (يلعب دور رعاة البقر) وصديق للفتاة Faye ثم Miguel المكسيكى ويتخصص فى تربية (الديوك) من أجل المصارعة وهو صديق Earle ثم Abe Kusich وهو (جوكى) فى سباق الخيل ثم Homer Simpson وهو شاب برىء من أهالى الوسط الغربى الأمريكى وكان يحب هو أيضا Faye. ومن خلال القصة نعرف أن Harry يموت، فتذهب Faye وأصدقاؤها ليعيشوا مع Homer فى بيته. وتبلغ الحركة فى القصة ذروتها بحفل مجونى صاخب فى بيت Homer وينتهى الحفل وتذهب الفتاة لتنام مع Miguel. وقد تولد عن هذا الأمر فى اليوم التالى فقدان Homer عقله فيقتل صبيًا. أدت هذه الجريمة إلى قيام الصخب والشغب فى شوارع المدينة، وينتهى الكتاب عند هذا الحد. إن الكتاب قد اتخذ عنوانه من وباء الجراد الذى اجتاح مصر أيام الفراعنة وقصته المعروفة فى «سفر الخروج» والشخصيات فى هذه القصة أقرب إلى أن تكون رمزية، كما هو الحال فى Miss Lonelyhearts، وإن

كانت هذه الشخصيات الرمزية فى قصة (The day of the Locust) أكثر بعدا عــن الحقيقة الانسانية فشخصية «Tod» كانت ترمز لعين الرسام وطوال القصة يــرى الرسام وهو يخطط لصورة كبيرة «طريق لوس أنجلوس» لكى تلخص عنف وجنون الحضارة. إنها ترينا حريق المدينة وقت الظهر. تقوم بإشعال الحريق جماعة مرحة يقضون إجازاتهم وقد حملوا فى أيديهم مضارب كرات (البيس بول)، ومعها بعض المشاعل، يرقصون ويغنون بدون ملل فى ضوء اللهب. وفى خلفية الصــورة يــظهر Tod وأصدقاؤه وهم يهربون من الزحام و Faye نصف عارية، و «Homer» نصف نائم، و Tod يقف ويقذف الجموع بالحجر وفى هذه الأثناء يقوم النــاس بحــرق المدينة.

إن Faye فى هذه القصة، لاتشبه Faye فى قصة Miss Lonelyhearts وإنما كان وست مقتصدا فى الأسماء. أما Eaye فهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها (طويلة ولها كتفان عريضتان، ولكن ساقيها رقيقتين كالسيف) ووجهها أشبه بالقمر عريض من ناحية عظام الخدين، وضيق عند الدقن والجبهة شعرها أصفر فاقع، وثـدياها متباعدان، وردفاها كالقلب المقلوب، تلبس كما تلبس فتاة فى الثانية عشرة، وعقلها صغير كالبندقية. كانت تمثل الطبيعة مثل Betty، ولكن مظهر البراءة فى الـطبيعة عند Faye مظهر مخادع. نرى Tod ينظر إلى صورة مثيرة (الفتاة) وهى راقــدة ممددة الساقين واليدين، وكأنها تدعو عاشقا ولكن Tod يقول: «إن دعوتها هــذه ليست للمتعة، ولكن للشجار والقتال (بعنف وبوحشية)؛ إنه لأهون عليك مــن أن تلقى بنفسك من أعلى ناطحة للسحاب من أن ترضى عليها. فــإنك لا تنتــظر أن تنهض ثانية».

أما بقية الأشخاص حول Faye فهم جميعا غائبو الذهن، وإن كان ذلك يــأخذ أشكالا متباينة، فأبوها مثلا Harry Greener بعد أربعين عــاما مــن العمــل فى المسارح الاستعراضية أصبح لا يملك شخصية منفصلة عن شــخصية المهــرج الذى كان يقــوم به فى الروايات. أما Earle Shoop (راعى البقر) فــكان صــورة لبلاهة الرجولة.

كان وجهه ذا بعدين، حتى أن الطفل لا يستطيع رسمه إلا إذا استعمل المسطرة والفرجار، وكانت ذقنه كاملة الاستدارة وعيناه مبتعدتين الواحدة عن الاخرى. كان فمه الرقيق بشكل زاوية قائمة مع أنفه. أما لون وجهه فكان الأحمر فيه ينسحب على طوال المساحة بين منبت شعر الرأس حتى رقبته، كما لو أن خبيرا فى الالوان قام بدهانه، وهذا مما زاد فى قرب شبهه بالرسم الهندسى. أما المكسيكى Miguel فكان صورة للجنس لونه يميل للسمرة وعيناه واسعتان كعيون الارمن، وشفتاه غليظتان ولونهما أسود، ورأسه مغطى بالشعر المجعد وقد أحسن تصفيفه.

وحين استجابت له Faye لمع جلده وشعره بالزيت فى أول القصة نراه يغازل Faye مما أغضب Earle فضربه على رأسه بعصا.

أما فى نهاية القصة نراه يرقص مع Faye رقصة التانجو وبمجرد انتهائهما من الرقص، يتوجهان رأسا إلى الفراش واستخرج Tod من ذلك كله حكمته: «أن أهل المكسيك مهرة جدا مع النساء».

أما Homer فكان أكثر الشخصيات شرودا للذهن. فإذا كانت Mary فى قصة (Miss Lonelyhearts) قد صغرت حتى صارت مجرد ثديين كبيرين، كذلك صار Homer يدين كبيرتين مستقلتين عن باقى جسده. فعندما يستيقظ فى الصباح فإن كل جزء فى جسمه يستيقظ إلا يديه، فما تزالان نائمتين، ولايبعث ذلك الدهشة عند Homer لأن يديه تحتاجان فعلا إلى معاملة خاصة. وكانت تطلبان ذلك كأنهما طفل مستقل، لقد اعتاد Homer حين كان طفلا أن يغرس فيهما دبابيس حتى أنه حشرهما مرة فى النار. أما الآن فقد تعود أن يضعهما فى الماء البارد، كنا نراه وهو يغمر كفيه فى ماء الحوض الذى كنا نغتسل فيه ويدعهما ترقدان فى القاع مثل زوج من الحيوانات المائية. وعندما تبردان تماما وتبدآن فى الزحف يخرجهما من الماء ثم يلفهما فى المنشفة. وعندما كان يدخل ليستحم. كان يحتفظ بيديه الكبيرتين مطويتين حول بطنه. وبالرغم من هدوئهما التام فقد كانتا تبدوان

كما لو كانتا مشدودتين أكثر من كونهما مستقرتين. وعندما جرح Homer يده مرة عندما كان يفتح علبة من صفيح «كانت اليد المجروحة تتلوى ألما حتى جاءت إليها اليد الثانية وحملتها إلى الحوض ثم غطستها فى الماء بكل حنان».

وحين بكت Faye فى لقائهما الأول؛ جعل Homer يديه تتراقصان نهاية الذراعين، لقد حاولت اليدان أن تتقدما لمواساتها ولكن Homer نجح فى كبحهما، وعندما كانا يجلسان (هومر وفاى) ويأكلان؛ بدأت اليدان فى إزعاجه فأحكم وضعهما على المنضدة ليتخلص من مزاولة الهرش، ولكن هذه العملية أثارتهما.

وعندما شبكهما خلفه كانت المعاناة غير محتملة فقد أصبحتا حمراوين ومتورمتين.

وهنا لم يجد بدا من الاعتذار بحجة الأطباق، فحملهما ووضعهما تحت صنبور الماء البارد فى الحوض. وحين استأذنت Faye فى الانصراف كان Homer خجلا حتى أنه لم ينطق بأية كلمة من كلمات الحب والحنان. ولكن كانت يداه أشجع منه، فلما صافحته Faye بيدها قبضت يداه على يدها ورفضت أن تتركها وحين انصرفت الفتاة، كانت يداه تشغلان باله. فكانتا ترتعشان وتنتفضان كأنهما فى حلم مزعج، ولكى يهدئهما شبكهما معا فالتفت الأصابع حول بعضها البعض كما تتشابك الأفخاذ، وهنا فصلهما عن بعض وجلس عليهما، وفى أثناء الحفل الأخير كان Tod يجلس خارج القاعة يتحدث إلى Homer لاحظ أن يديه تدقان أكثر الدقات تعقيدا «كأنهما ترقصان (باليه)». «تركت يداه الكبيرتان حجر Homer وكانتا تلعبان لعبة (هنا الكنيسة وهنا البرج) وتسللتا إلى تحت إبطيه وبقيتا هناك فترة قليلة ثم انزلقتا على فخذيه ومرة أخرى استقرتا فى حجره، اليد اليمنى ترفع مفاصل اليد اليسرى واحدا واحدا، ثم يأتى دور اليد اليسرى فتقوم بنفس العمل لليد اليمنى ثم تلا ذلك فترة قصيرة من التراخى. إن هذه الصورة الفريدة والصارخة لتدل على مدى العنف المكبوت عند Homer، إنهما يدان لشناق ومغتصب العذارى. لقد سمح وست بخلق هذه القوة لأسباب نجهلها.

وعندما انطلقت هذه القوة فى النهاية بعد أن هجرته Faye وأدى ذلك إلـى فقـد أعصابه وعقله، كان قد ألقى عليه حجرا مستعملا فى ذلك قدميه ولم يلمسه بيديه أبدا. وأكثر شخصيات هذا المتحف شذوذا كان هذا القزم المسمى Abe Kusick. لقد كان ضئيل الجسم، اعتاد أن يلبس ملابس متنافرة الألوان كان وحشا صغيرا مثل يدى «هومر» تظهر هذه الناحية عندما ركله Earle بقدمه فى بطنه فهاجت فى نفسه موجة من العنف والوحشية فهجم على Earle فى غضـب عـارم وأمسـك بخصيتيه وأخذ يضغطهما ويعصرهما ولم يتركهما حتى سقط Earle على الأرض.

كان وست فى أول الأمر قد أطلق اسم The Cheated على قصـة (The Day of the Locust) وكان الموضوع الرئيسى فى القصة هـو العنف الـكامن فى نفـوس المخدوعين والغوغاء الذين أحرقوا «لوس أنجلوس» كمـا ظهـر فى لـوحة Tod والشـغب والفوضى اللذان ظهرا فى آخـر الكتاب. فى «هوليود» كان المخـدوعون معزوفين من أول نظرة، «لقد كانت ملابسهم داكنة اللون رديئة التفصيل كما لـو أنها اشتريت عن طريق البريد. كانوا يقفون فى الطرقات يدققون النظر فى المارة، وعندما يرد الناس على نظراتهم القاسية هذه كانت عيونهم تنطق بالحقد. هـؤلاء هم الذين جاءوا إلى كاليفورنيا ليموتوا. ولأول مرة فى الحالات النادرة جدا التـى يفصح فيها وست عن ميوله الماركسية يجده لايدخل عنصر العمال بين الغـوغاء. لقد كانوا من الطبقة الوسطى السفلى. يقول Tod كان من الخطأ أن نظن أنهـم مجرد فضوليين مسالمين.

إنهم بالعكس متوحشون يشعرون بالمرارة، وخاصة من هم فى متوسط العمـر والكبار. لقد صاروا كذلك بسبب الملل واليأس. لقد عاشوا حياتهم عبيدا للعمـل الشاق الممل خلف المكاتب، أو فى الحقول أو أمام الآلات المملة. يوفرون كل بنس انتظارا ليوم راحة. وعندما يأتى هذا اليوم يسحبون أجورهم وهى بيـن عشرة أو خمسة عشر دولارا، ولكن إلى أين يذهبون؟ بالطبع يـذهبون وينـطلقون نحـو «كاليفورنيا» أرض الشمس والبرتقال. إن الشمس المشرقة ليست كافية. لقد ملوا

أكل البرتقال. لا شيء جديد. لم يعرفوا ماذا يفعلون بوقتهم. إنهـم غير مؤهلين عقليا للفراغ والراحة، لا من الناحية المالية ولا من الناحية الجسمانية. ترى هل تعبوا وشقوا فى حياتهم لمجرد الذهاب فى رحلة إلى Iowa. زاد الملل عندهم أكثر وأكثر وأصبح شيئا فظيعا. لقد أيقنوا أنهم خدعوا، وأحـرقتهم نيـران التـذمر والاستياء كل يوم يقرءون الصحف، وكل يوم يدخلون السينما، وهذه وتلك كانـت تغذيهم وتغريهم بحرب العصابات، وجرائم القتل وجـرائم الجنس، والانفجـارات والحرائق، وأوكار الدعارة والثورات والحروب وحالات الغرق. هذا الغذاء اليـومى قد فتح عيونهم، وأضحت الشمس فى نظرهم مجرد نكتة، والبرتقال ما عاد يدغدغ أحلامهم.

وأصبح لايوجد شيء ينبه عقولهم أو أجسامهم. لقد خدعوا وجانبهم النـاس، لقد تعبوا وكدوا كالعبيد من أجل لا شيء.

وكما كانت مسيرة ذوى القمصان الجلدية صورة خيالية عند وست عن الفاشية الأمريكية. كانت هذه الدهماء، وكان هؤلاء الغوغاء هم أيضـا صـورة متخيلـة للديمقراطية عنده. كان إطلاق ينابيع العنف على آخرها هى الحـركة فى القصـة (The Day of the Locust) مثل : وحشية Abe وتحـطيم رجـولة Earle وتحـطيم Miguel للقزم Abe انتقاما، وقتل Homer للصبى، والفوضى والاضطراب والحريق الذى سببه المخدوعون.

وفى مقال للـكاتب نشره عـام ١٩٣٢ فى مجلـة «Contact» بعنـوان (بعض الملاحظات) عن العنف، كتب يقول: «قد يكون ماهو مأسوى فى نظر الأوربيين غير ذلك فى نظر الأمريكيين. فالكاتب الأوربى إذا أراد أن يكتب عـن العنف (ولـكى يبدو عنيفا حقا). عليه أولا أن يكتب فى علم النفس وعلم الاجتماع أبوابا مطولة، وقد يحتاج إلى ثلاثمائة صفحة ليبحث عن الدوافع لجرائم صغيرة. ولكن الأمـر غير ذلك فى أمريكا. فإن القراء فى أمريكا على استعداد لتقبل الأعذار الفنيـة إذا حذف للكاتب أى سبب يدعو إلى ارتكاب الجريمة.

إن أقوى الصور فى الكتاب، ربما تكون أقوى مما جاء فى قصة (Miss Lonelyhearts كمنظر الشغب من ناحية كونه تهديدا، ومن ناحية كونه صورة للضعف الجنسى. Tod تعترف به الغوغاء، ويقع على فتاة كانت ملابسها قد مزقت تقريبا. وفخذها يدخل بين ساقيه وتتعلق الفتاة برقبته طالبة النجاة، ولكنه لاحظ أن رجلا عجوزا يهاجمها من الخلف وقد وضع يده داخل ملابسها فى حين أخذ يقرس ركبتها. ولما حاول Tod أن يخلصها من هذا العجوز قذفته الاضطرابات بعيدا، ورأى أن الفتاة وقعت فى يد رجل آخر. وفى الناحية الأخرى من هذا الزحام والشغب كان هناك من يتحدث بسرور وبهجة عن رجل شاذ قام باغتصاب فتاة بعد أن هددها بمقص.

إذا استبعدنا مثل هذه المناظر القوية وغيرها، فإنى أعتقد أن قصة (The Day of the Locust) قصة فاشلة. فالقصة تنتقل من Tod إلى Homer ثم إلى Tod ثانية بدون أن يكون هناك وحدة درامية تربط الأحداث جميعها. كما أنه غاب عن القصة اللب الأخلاقى (وهو موجود فى قصة Miss Lonelyhearts).

إن قصص وست تشمل الكثير من الفكاهة ولكن القليل من البهجة. بها الكثير من الأفكار الجنسية، ولكن ليس بها إلا القليل من الانجاز الجنسى. إن العالم الذى يصوره لنا وست عالم منفر ومرعب.

إن وست فى حياته القصيرة لم ينجز سوى عمل واحد ضخم هو قصة (Miss Lonelyhearts ويجانبها ثلاث قصص أقل نجاحا ولكنها تتضمن الكثير من الأفكار الذكية والأشياء العجيبة. لقد كان «وست» رائدا وبطلا مثقفا شجاعا، سهل على الكتاب الشباب الذين جاءوا بعده، وكان من بينهم أحسن كتابنا، سهل عليهم أن يكتبوا فى يسر وبراحة ماكان يكتبه هو فى وجه التحديات فى أيامه.

المحتويات

<table>
<tr><td>رقم الإيداع</td><td>١٩٨٣/٣٠١٨</td></tr>
<tr><td>الترقيم الدولى ٢-٠٤٦٩-٠٢-٩٧٧</td><td>ISBN</td></tr>
</table>

١/٨١/٣٣٥

ـ طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذا الكتاب

مقالات شائقة كتبها بإسهاب نقاد معاصرون بارزون ، تتناول سبعة من أهم الكتاب الأمريكيين فى هذا القرن . كُتبت سير هؤلاء الكتاب بأسلوب قوى مقنع ، فى قالب من التحليل الأدبى الثاقب ، قدم الكاتب كفنان وإنسان ، ووضعه فى مكانه ، بالنسبة للزمن الذى يعيش فيه وتقاليد عصره .

يتضمن هذا المجلد مقالات عن : **إديث وارتون** ، بقلم لويس أوكينكلوس ، **وسنكلير لويس** ، بقلم مارك شورروف ، **وسكوت فتزجيرالد** ، بقلم شارلز شين ؛ **وويليام فولكنر** ، بقلم فان أوكنور ، **وإرنست همنجواى** ، بقلم فيليب يونج ؛ **وتوماس وولف** ، بقلم هيو هولمان ، **وناثانيال وست** ، بقلم ستانلى إدجار هايمان .

ص
١٤٠